# الاغتيال الثاني للسادات

صالح الحنفي



# بطاقة فهرسة



مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : الاغتيال الثاني للسادات

المؤلف : صالح الحنفي

رقم الإيداع :

٢٠١١/١٦١٦٥

الطبعة الأولى ٢٠١١



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾

[فصلت]



# إهداء

إلى
عيون تعشق ضوء الحقيقة

وعقول تأبى أن تكون فريسة
إلى
شباب مصر

# تقديم

عندما يكون النقد فى سهولة التنفس ، عندما يكتسب التجريح شرعية الحقيقة ، عندما تُنزع نياشين الإنجازات من صدور الزعماء ، عندما تتغلب شهوة الانتقام على فضيلة الرحمة ، عندما تعلق الأقلام مشانقها للتاريخ ، عندما تصبح زناداً يقدح شرارة التعصب ، عندما تقع الأحكام تحت طائلة الأهواء ، عندما تحدث ضبابية الرؤية ، عندما تتبدل معايير الوطنية ، عندما يصبح الخائن بطلاً والبطل خائناً ................. فاعلم أنها «جريمة تشويه التاريخ» .

تعتبر الكتابة الحد الفاصل بين عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخي ، وتبدأ العصور التاريخية باختراع الإنسان للكتابة ، وبدء تسجيل ما قام به من نشاط ، وما مر به من أحداث ، وكان من الطبيعي أن يحظى تاريخ مصر الطويل باهتمام شديد من المؤرخين والكتاب والمفكرين ... ورغم عشق المصريين لتاريخهم واعتزازهم بأمجاد حكامهم ، فإن هناك طائفة منهم تعمد بشكل واضح إلى تشويه التاريخ ولى عنقه بدافع التعصب أو نشاط الأهواء والمصالح ، فتمجد من الحكام من يتفق ومذاهبهم أو يتوافق مع مصالحهم ، و فى نفس الوقت تهيل التراب على أمجاد من سبقوه ؛ لذا لم تبلغ كتابتهم وشهادتهم وأقوالهم الغاية المنشودة من المصداقية ، ولعلها عادة توارثوها من أجدادهم الفراعنة عندما كان يستهل بعض ملوك الفراعنة عهودهم بطمس آثار وأمجاد وانتصارات أسلافهم من الملوك من على جدران المعابد ، ويسعى أرباب المصالح فى كل حقبة زمنية إلى تمجيد أعمال الحاكم وتضخيم ذاته وتبرير أخطائه ، ونقد أعمال وسياسة سلفه كنوع من تقديم فروض الطاعة والولاء ، ومع إشاعة هذه المفتريات وتداولها بين الناس أجيالاً تلو الأجيال ، قفزت فى أذهانهم كأنها حقائق وأصبحت تلقى استجابة وصدى لدى الكثير منهم .

وفى عصرنـا الحـديث بلـغ التزييـف مـداه ، حتـى أصـبحنا ننقـب عـن الحقـائق ونتلمسها من بين حطام الأحداث فى ظل هذا الخضم من الافتراءات ، ورأينا رمـوز ألفنا أنها وطنية تلهبها سياط النقد من جلاد التـاريخ الـذين بثـوا سـموم أقلامهـم فى وريد التاريخ ، فحولوا رموز الوطنية إلى عناوين للخيانة والعمالـة ، وانطلقـت تلـك الخفـافيش تنقـل أفكارهـا حتـى وجـدت مكانهـا للاسـتيطان فى عقـول الأجيـال وانطبعت فى أذهانهم .......... ، ولم يكن هذا الكتـاب إلا محاولـة بسيطة للتصـدى لهذه الوقاحة التاريخية التى نالـت أحـد زعـماء الـوطن الـذى عهـدناه بطـلاً للحـرب والسلام ، حارب من أجل تحرير الوطن وأرسى السلام من أجل رخائـه واستشـهد وهو يحتفـل بـنصره . ركـز هـذا الكتـاب عـلى كـل مـا أثـار الجـدل فى حيـاة السـادات السياسية من مواقف وقرارات اختلف حولها البعض ، وابتعـدنا قـدر الإمكـان عـن سرد المعلومـات المعروفـة عـن حياتـه الشخصـية بهـدف إعطـاء الأولويـة لتاريخـه السياسى الذى جرى تشويهه من البعض والذى كان جزءا مـن تـاريخ مصر فى هـذه الفترة ، ولست بصدد تأريخ لتلـك الفـترة السـاداتية ، فـلا أمتلـك موهبـة المؤرخين الذين يستطيعون النظر إلى الماضى من خلال منظور تحليلى ، كما لم أطحن بين تـروس التجارب والخبرات لأقدم للقارئ خلاصتها ؛ فكاتـب هـذه السـطور لم يـتخط بعـد عامه الثانى والعشرين ، ولكنى أزعم أن لى رأيا ربما يحتمل الصواب وتسانده الحجة . رغم أن هدفنا الرئيسى فى هـذا الكتـاب هـو الـدفاع عـن منجـزات السـادات التـى جرى تشويهها من البعض وتفتيح عيون الأجيال على حقيقة هذه الإنجازات ، فإننـا لم نغمض أعيينا نحن عن ذكر بعض سلبيات السادات حتى تخرج الصـورة فى إطـار من الموضوعية فهذا الكتاب ليس دفاعاً عن السـادات بقـدر مـا هـو دفـاع عـن مصر وتصحيح تاريخها الذى جرى تشويهه بهتاناً وزوراً .

# تمهيد

!!! .. هكذا يمكن أن نبدأ حديثنا عن الرئيس السادات وهكذا أيضا يمكن أن ننهى حديثنا عنه بـ «علامات تعجب» ؛ فقد مثلت حياة الرجل وسيرته وسنوات حكمه سلسلة من المفاجآت والألغاز التى صعب على المؤرخين والمفكرين والكتاب فك طلاسمها ... إنها شخصية محيرة بالفعل .. ، فقد سارت حياته بطريقة درامية يصعب على خيال أمهر كتاب الروايات والقصص تصورها ونسج أحداثها المشحونة وانعطافتها المختلفة وتحولاتها المفاجئة ومغامراتها المشوقة ... فمن ضابط فى الجيش المصرى إلى سجين سياسى مشرد إلى سواق إلى حمّال إلى أحد ضباط الثورة إلى رئيس مجلس الأمة إلى رئيس جمهورية !! ولم ينضب صندوق المفاجئات والألغاز ، فبعد وصول السادات إلى سدة الحكم يبدو عليه الضعف لخصومه وملامح الفلاح طيب القلب المغلوب على أمره ، نراه يخلع هذا القناع ويكشف عن مكر الفلاح ودهائه فيطيح بكل خصومه ومعارضيه بضربة واحدة ! وبينما يستهل عهده بنزع أسنان الديكتاتورية فيفتح السجون والمعتقلات ويلغى الرقابة ويرسى قواعد الديمقراطية ، نجده ينهى حياته بزرع أنياب حادة لديمقراطيته فيعتقل عددًا كبيرًا من جميع القوى المعارضة ومن مختلف التيارات السياسية ! وحينما كانت روح اليأس تسيطر على الشعب المصريين من إمكانية قيام الحرب وتحقيق النصر ، ومع اطمئنان العدو ، وبينما يغط العالم فى سبات عميق ، فاجأ السادات الجميع بقيام الحرب وتحويل الهزيمة القاسية إلى نصر مؤزر فى ست ساعات !

ومع يأس الجميع فى إمكانية حل الصراع العربى الإسرائيلى وإحلال السلام ، أذهل السادات عقول الجميع بزيارته التاريخية للقدس وذهابه إلى عقر دار عدوه

الذى امتد صراعه معنا لأكثر من ربع قرن ثم يبرم معه معاهدة سلام !

ورغم أن السادات هو الذى أفرج عن الجماعات الإسلامية وأعطى لها قبلة الحياة ورعاها ، تنتهى حياته بالاغتيال على أيدي أفراد من إحدى هذه الجماعات !

ولم يكن السادات كالكثير من الحكام الذين أصبحوا فى ذمة التاريخ وحُسم مالهم وما عليهم ؛ حيث ترك الرجل بعد موته تركة ثقيلة من القرارات التى وصفها بالصدمات السياسية أدهشت العالم وهزته من أعماقه وانقسم حولها الجميع ، فبينما يرى الغرب السادات أحد أعظم القادة فى القرن العشرين ، يراه العرب الخائن الأعظم للقضية العربية ! وتحركت رؤية المصريين للسادات بشكل بندولى بين الفريقين ، وبعد مرور أكثر من ربع قرن على وفاة السادات ما يزال إلي هذا اليوم محل جدل لا يهدأ ولا يستقر في كل الأوساط وعلى كل المستويات المحلية والدولية ، أما عن رؤية كاتب هذه السطور فلم تكن أقل حيرة ممن سبقوه ولكن بالنظر إلى منجزات السادات وبالنظر إلى أخطائه، وبالنظر إلى بعض قرارته التى أثبت الزمن أن له بعد نظر فيها نراه : أخطأ كما أخطأ سواه ولكنه أصاب أكثر مما أصاب كثيرون ، ورغم إثارته للجدل فإنه جدير بالاحترام، ورغم سلبياته، فإنه من أعظم الشخصيات فى تاريخ مصر . لكن البعض أطلقوا العنان لأقلامهم تنهش سيرته بعد موته وكرسوا جهدهم لإظهار عهد الرجل بأنه سلسة متصلة من الأخطاء وجردوه من كل إنجازاته، وأوغلوا أقلامهم فى صدر أحد رموز التاريخ فكان «الاغتيال الثانى للسادات» .



## الاغتيال الثاني للسادات

# الفصل الأول

# صفات وسمات أثارت الجدل



من ذا الذي تُرضى سجاياه كلّها ؟

كفى المرء نبلاً أن تُعدَّ معايبه!

«بشار بن برد»

قبل أن نلهث وراء سياسة السادات بكل ما حملته من أحداث مشحونة وبكل ما اتسمت به من تناقضات وتحولات غريبة ، نتريث لنبدأ بالتطرق إلى بعض صفاته وسماته التى لم تسلم من الجدل الحائر فى محاولة للتعرف على بعض جوانب هذه الشخصية التى حيرت العالم .

كانت مشكلة السادات دائماً أنه كان مختلفًا ، فعلى مستوى سياسته أحدث تحولات جذرية وقلب مصر رأساً على عقب أكثر من مرة رغم أن فترة حكمه لم تتجاوز ١١ عاماً ! فعل إنجازات لم تؤمن بها الناس إلا بعد موته بسنين ، واقترف أخطاء لم يغفرها الناس له حتى الآن ، وبالمثل كانت شخصيته كحاكم تخالف ما آلفه دول العالم الثالث من حكامهم ، لم يحط نفسه بالسرية كما تعودت شعوبنا أن تصطدم بسياج من السرية والكتمان حول صفات وأفعال وتصرفات الحاكم الشخصية ، لم يكن أحد يجرؤ من قبل أن يكتب ما يمس حياة الحاكم الشخصية ، ولم يكن يُكتب إلا عن سياسته كحاكم وسيرته كرجل دولة وكان هذا هو معيار الحكم على شخصيته ، لم يكن يعرف الشعب ماهى طباع حاكمه ؟ وما هى صفاته الشخصية ؟ ماهى أخلاقه هل هو ملتزم متدين صالح أم منحرف وفاسد ؟ كان كل ذلك يبنى على السياسة التى يتبناها الحاكم وعلى قراراته التى يتخذها رغم أن سياسة الحاكم لم تكن دائماً دليلاً على شخصيته ، وما غير ذلك من صفات الحاكم الشخصية كان لا يعرفها الناس إلا من خلال أخبار تتسرب أو من شائعات تنتشر إثر حدث للحاكم صعُب حصره فى سياجه الأمنى حول تصرفاته الشخصية ،

وعندما جاء السادات إلى سدة الحكم حطم كل الأسوار حول شخصه ، كانت حياته مكشوفة للناس ، لم يكن أحد فى مصر لا يعرف أين يقضى السادات وقت فراغه ، ومتى يذهب إلى قريته ، أين يوجد فى الأوقات غير الرسمية ، سمح للمصور الصحفى «فاروق إبراهيم» بمرافقته والتقاط صور له تعبر عن حياته الخاصة ، وتم نشر الصور ، ونال الناس الصدمة والدهشة والاستغراب ، لقد رأوا صور رئيسهم وهو يحلق ذقنه ويهذب شاربه كبقية البشر ! ، ورأوه وهو يجلس ويفترش الأرض التى يمشون عليها ! ، رأوه وهو فى حمام السباحة ! ، ورأوه وهو يتوضأ ويصلى ! وهو يقرأ الجرائد ! ظهر لهم كإنسان عادى بسيط بحسناته وسيئاته يمارس حياته الشخصية كسائر الناس فاصطدم ذلك بمعتقدات موروثة لديهم عن شخص الحاكم ، أراد السادات أن يظهر للناس أنه منهم ، أراد أن يحطم التأليه التقليدى للحاكم فى دول العالم الثالث ،كما كان يسجد اليابانيون لإمبراطورهم وينزلونه منزلة الآلهة ، أراد أن يبدد رهبة الحاكم وما يشاع عنه من خرافات ، وتحدث إليهم عن قريته وعن القيم التى ورثها منها.. وأنه فلاح مثلهم ... فاستصغر الناس شأنه وسخروا من كلامه ، واعتبروا تدينه نفاقاً ، وبساطته استعراضاً ، ولما اصطدم السادات بمعارضيه بعد ذلك وزج بهم فى السجون فى أواخر أيامه ، ظن الناس أن هذه هى الحقيقة الوحيدة ! ودائما ما تكون الأحداث الأخيرة هى الراسخة فى أذهان الناس ، فرغم كل إنجازات السادات ، لم يُغفر له حتى الآن ما فعله فى أواخر أيامه ! .

## ارتباطه الشديد بالقرية وبساطته

« أنا أنور السادات فلاح نشأ وتربى على ضفاف النيل حيث شهد الإنسان مولد الزمان ..» هكذا بدأ السادات سيرته الذاتية فى كتابه «البحث عن الذات» .

لم ينس السادات يوماً أنه نشأ فلاحاً بإحدى قرى الدلتا ، وظل طيلة حياته يشير فى كل مناسبة إلى قرويته وارتباطه الشديد بالأرض وإلى بساطة القرية التى يعشقها

وأنه يعيش أفضل أوقاته حينما يكون فى القرية مرتدياً جلبابه البلدي المحبب إليه كسائر الفلاحين بالقرية التى يستعيد فيها صفاءه الروحي وراحته النفسية ، إلا أن الكثير من منتقدي السادات كانوا يهزؤون من دعواه ، وأشاروا بسخرية إلى ملابسه الفاخرة ، ومقتنياته النادرة الثمينة ، وغيرها من مظاهر الترف ، ولم يفهموا ما يقصده السادات ؛ نظراً لقصور نظرتهم إلى شخصية السادات ، حيث ركزوا على المظاهر فقط دون التعمق فى الشخصية ، فتركزت نظرتهم على السادات الحاكم الذى يظهر فى أبهى صوره ويبدو أكثر تأنقاً فى المناسبات الرسمية والمحافل الدولية ، فبنوا حكمهم على مظاهر الشخصية وغفلوا القيم التى أشار إليها السادات والتى كانت واضحة المعالم فى شخصيته بل أثرت عليه كحاكم وعلى شاكلة القرارات التى كان يتخذها ، فلا نجد حديثاً له عن حياته يخلو من إشارته المتكررة إلى قريته ، ولا نكاد نطوى صفحة من صفحات كتابه «البحث عن الذات» الذى يروى فيه سيرة حياته إلا وتطالعنا عباراته بعشقه الدفين لقريته، واعتزازه بقرويته ، والتصاقه بالأرض، وتشبعه بقيم القرية وما تتسم به من البساطة والهدوء والجمال والكرم والأمانة ، وسعادته البالغة بتواجده فى قريته التى يجد فيها ذاته ، فنجده يقول فى كتابه :

« كل شيء كان يسعدنى فى ميت أبو الكوم قريتى الوديعة القابعة فى أحضان دلتا النيل ».

« فبمجرد أن تنتهي الدراسة كنت أهرع إلى قريتي وأرتمي فى أحضانها .. مجتمعي المثالي الذى كنت أجد فيه نفسى ».

ويشير إلى انتمائه للأرض وقيم القرية فيقول :

« كنت أستعيد قول جدتى : «لا شيء يساوى أنك ابن الأرض .. فالأرض هى الخلود لأن الله أودعها كل سره .... »

« عندنا الأرض التى انتمى إليها ..صلبة..دائمة ..لا تزول تماماً مثل قيم القرية

التى لا يعرفها أهل المدينة .. » .

لقد كان من عادة السادات أن يقضى نهاية كل أسبوع فى قريته ويصلى الجمعة معهم ويجالس الناس ويحل مشاكلهم ، يقول الدكتور «محمود جامع» طبيب السادات وصديقه والذى كان يرافق السادات فى قريته « كان السادات يحضر دائماً كل أسبوع إلى قرية «ميت أبو الكوم» .. ويلبس جلبابه البلدى المحبب إليه .. ويفتح بيته وقلبه لكل أهله وأحبابه وأهل قريته يعيش معهم .. ويحل مشاكلهم ويسهر معهم .. ويصلى معهم الجمعة .. وكان يقف على باب المسجد بعد الصلاة حتى آخر لحظة فى حياته ويسلم على جميع المصلين أثناء خروجهم .. ويعرف أسماءهم واحدا واحدا وينادى كل واحد منهم باسمه ويسأله عن زوجته وأبنائه ويتلقى منهم طلباتهم بكل ود وحنان .. ويخرج من المسجد وسيدات البلدة يقفن فى انتظاره ويسلمن عليه .. بكل بساطة .. وأذكر أنه جلس فى منزل ليصلح بين سيدة وحماتها لخلافهما على نصف جاموسة ،ولما طلبت منه أن يتركها مع المشكلة حرصا على وقته قال لى : يا محمود إننى أريد أن أُسعد أسرة.... وكان يتمشى على قدميه ويسير بشوارع القرية بنفسه ، وقد يدخل أحد المنازل ويشرب الشاى مع أهل المنزل بكل بساطة ...، وفى إحدى المرات طلب أن يركب حماراً ويجوب فى شوارع القرية وكان فى قمة سعادته .... » هكذا كانت الملامح الحقيقية لشخصية السادات بسيطاً على سجيته ، صادقاً فى إحساسه بقريته ، فلاحًا أصيلًا بالمعنى الأخلاقى والتكوين الإنسانى ، بدد ببساطته الشديدة رهبة الحاكم ، فلم يقترب منه شخص على المستوى الإنسانى إلا وأحس بقيم الفلاحين التى شكلت شخصيته ، يقول الدكتور «على لطفى» رئيس وزراء مصر ووزير المالية فى عهد السادات « كان السادات فلاحاً بسيطاً بحق وليس ادعاء كما يعتقد البعض ، فكان يحمل قيم الفلاحين الأصيلة الحقيقية ، ولا يصطنع هذا الكلام .. أذكر أننى حين كنت أذهب إليه فى استراحة الهرم أو القناطر ، من أول وهلة .. أشعر بالبساطة فى التعامل وتضيع منى الرهبة

تماماً لأنه كان أول ما يفعله معى هو أن يمسك بيدى ويقول لى : «اتفضل ياعلى يابنى» .. وهناك مشهد دائماً يحضرنى حين أتذكر مقابلاتي مع الرئيس السادات فى استراحته أنه كان يصفق بيديه ويقول للسفرجى : «تعالى يابنى هاتلنا شاى» ، وهذا يؤكد أنه لم ينسلخ من جلده وظل فلاحاً مصرياً لم تغيره المواقع حتى كونه رئيس جمهورية »[1] ، ويقول الكاتب الصحفى «عبد الستار الطويلة» عن لقاءاته مع السادات « وطوال لقاءاتي بأنور السادات لم يكن يهمه إطلاقاً بساطة لغتى وخلوها من الألقاب والعبارات البروتوكولية ... لقد ساهم السادات ببساطته هذه فى تحطيم التأليه التقليدى فى العالم الثالث للحاكم » ، كانت هذه هى شخصية السادات التى تشبعت بقيم القرية ، لم يجامل الناس ولم ينافقهم ، كانوا ينتقدوه ويسخروا منه بإطلاق النكات ، وكان يضحك من قلبه ، ويروى النكتة التى تقال عنه بل كان يطلب من جلسائه أن يُسمِعوه آخر النكات التى تقال عنه ! لقد ورث السادات كل قيم القرية حتى بلغ تأثيرها فى تشكيل شخصيته كحاكم حتى قال البعض أنه حكم مصر كعمدة فى قرية ، أو ابن بلد وليس كرئيس جمهورية ، كان يرى نفسه أب العائلة المصرية وليس حاكم شعب رغم أن دولة المؤسسات لا تعرف هذه الرؤية ! ، أكسبته القرية دهاء الفلاح ، فخدع العالم كله بحرب أكتوبر ، وتأثر بهدوئها وسكونها فاكتسب عمق الرؤية ، تربى على عزيمة الفلاح ، فلم تهن عزيمته ولم تتزعزع فى استرداد أرضه كاملة ، تشبع بصلابة الأرض فكان جسوراً مغامراً ذهب لعدوه فى عقر داره وفرض عليه السلام ، وعرف قيمة الأرض فلم يتخل عن شبر فيها حتى آخر لحظه فى حياته . قد يكون أصاب السادات بعض الغرور بعد أن أصبح ملء السمع والأبصار بعد حرب أكتوبر ، نعم جعل الإعلام الغربي منه طاووساً سياسياً وأكسبه بعض الغرور بعدما لكم إسرائيل وطرحها

---

(١) من حوار الدكتور «على لطفى» مع مجلة الإذاعة والتليفزيون بتاريخ ٢٧ من ديسمبر ٢٠٠٨م ، بمناسبة مرور ٩٠ عاماً على ميلاد السادات .

أرضاً ورأينا فيه صورة مقولة الملاكم العالمى محمد على كلاى حينما قال « من الصعب أن تكون متواضعاً ، عندما تكون بمثل عظمتي » قالها كلاى فى غرور يحسب عليه ولكنه ظل الملاكم الأسطورة عند الناس، ولكن لم يكن نفس الشيء بالنسبة للسادات ، نعم فقد توازنه النفسى وصفاءه الروحى الذى اكتسبه من قريته وكان عصبيا ثائراً فى أواخر أيامه ، نعم أصدر بعض القرارات الطائشة التى نبعت من بوتقة الأحداث والصراعات والإضرابات التى أحاطها بنفسه فى أواخر حكمه نعم اقترف أخطاء ، ولكن ... لم يكن كل هذا معبراً صادقاً عن شخصية السادات ، لم يكن رمزا حياً لبساطته وحنكته التى اشتهر بها ، لم تكن إلا غشاوة أعمتنا عن حقيقة الرجل ، أو ضباباً أفقدنا الرؤية السليمة لشخصيته ؛ لذا كان من الظلم أن نتصيد بعض أخطاء السادات أو نسيء فهمه فى بعض المواقف ، ونغلف بها شخصيته ونصفه بأنه كان شخصية استعراضية ، لقد بدأ السادات فى أواخر أيامه يبنى منزلاً بقريته «ميت أبو الكوم» ، آملاً أن يعيش هناك بعد التقاعد من منصب الرئاسة ، ولكن القدر حال دون ذلك ، ولكن الكثير أهال التراب على ملامح شخصية السادات الجيدة بدعوى النفاق والاستعراض . لم يكن السادات مثالياً ولكنه لم يكن شيطاناً أيضا كما صوره البعض .

## تدينه وتلقيبه بالرئيس المؤمن :

إن أشد ما يطعن به المرء أن يطعن فى دينه ، وأن يتهم بأنه يتظاهر بالتدين لأغراض معينة ، ولم يبرأ السادات من هذه التهمة ، والحقيقة أن السادات كان متديناً بالفعل وكان معروفاً عنه حفاظه على الصلاة ، وكان يرتل القرآن ويسجله بصوته وتوجد هذه التسجيلات الصوتية ضمن مقتنياته بمتحف خاص به بمكتبة الإسكندرية وكان يقدر المقرئين ويحبهم ، وكان قد حفر على ساعته «آية الكرسي» ، كما كان للسادات صلات كثيرة بالعديد من الشيوخ ورجال الدين أقربهم إليه : الشيخ «محمد متولى الشعراوى» ، والشيخ «عبد الحليم محمود» ، والشيخ «عبد الحميد عيسى» شيخ السادات ومعلمه فى كتاب القرية ، والشيخ المبتهل «سيد

النقشبندى» والذى كان السادات معجباً بصوته وكان يستمع إلى أناشيده الدينية ويرسل فى طلبه حينما يزور قريته «ميت أبو الكوم» ، وعندما أصبح السادات حاكماً أعلن أن دولته هى « دولة العلم والإيمان» ، وكان يستشهد بالكثير من الآيات فى خطبه ، وكان يحارب الشيوعية التى تخالف الشريعة وحاول بترها من المنطقة ، ودعم الرئيس السودانى «جعفر النميرى» ضد الانقلاب الشيوعى الذى حدث في السودان ، ورغم أن للدعم وجهة سياسية ولكنه كان مصلحة كبرى لصد الزحف الشيوعى على البلاد المسلمة ، وكان مشهوراً عن السادات أنه كان يعتكف فى بعض المساجد بدون حراسة بل كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان بالوادي المقدس طوي بسيناء ، كما أن السادات لم يكن متعصباً بل تخرج من مدرسة قبطية قريبة من قريته وله أصدقاء أقباط ، وكان الكاتب الصحفى المسيحى «موسى صبرى» يكتب له بعض خطاباته ، كما يقال أن السادات أول من أمر بإذاعة الآذان فى أوقات الصلاة فى التليفزيون ، وكان فضيلة الشيخ «الشعراوى» يقدر دائماً مواقف السادات وإنجازاته وكان مؤيداً له فى خطواته نحو السلام ، وكان يرى أن المولى عز وجل أنعم على السادات وأعانه على فعل أشياء لم يفعلها غيره ، وفى حوار له مع الكاتب الصحفى المخضرم «محمود فوزى» ، سُئل الشيخ « الشعراوى» : ما رأيك فى موقف السادات من الشريعة الإسلامية ومن الجماعات الإسلامية ؟

أجاب الشيخ «الشعراوى» : « يكفى أن عمدة الشريعة الإسلامية وهو القرآن الكريم كان على ذكر منه ، وكان يقضى كل وقت فراغه فى قراءة القرآن ... ويكفيه أنه قد سُئل ذات مرة عن التليفزيون ... فقال لهم السادات : أحب أن أشاهد شيئين فى التليفزيون .. الأفلام الأمريكية ، وحديث الشيخ الشعراوى ، وأنا عايز أكثر من كده ايه ... الدين والحياة .. »[1] .

ولكن الناس اعتقدت أن تدين السادات نفاقاً ، وترسخ لديهم هذا الاعتقاد

(١) محمود فوزى – الشعراوى والفتاوى .

حينما اصطدم السادات بالتيار الإسلامي ، وأعلن أنه «لا سياسة فى الدين ، ولا دين فى السياسة » ، واتهم بعض الجماعات بالاتجار بالدين للوصول إلى أغراضهم ، كما تعرض لبعض الشيوخ بالهجوم القاسى فى زمرة غضبه الأخير الذى دفعه إلى اعتقال كل معارضيه ، وسخر الناس من تلقيب السادات بـ «الرئيس المؤمن» ، وجعلوا منها أضحوكة رغم أن السادات كان متديناً بالفعل ولكن الناس لم تغفر له تصريحاته العصبية والقاسية وهجومه العنيف على بعض رجال الدين ممن كانوا يحظون بشعبية لدى الناس ، وكم كان السادات سيئ الحظ حينما أضاع باندفاعه صدق تدينه .

## أناقة أشيك رجل فى العالم !

استهزأ الكثير من السادات حينما كان يظهر بالبدل ورابطات العنق الأنيقة ، وكانت صوره على أغلفة «مجلة التايم الأمريكية» التى وصفته بأنه أشيك رجل فى العالم مع كونه يصبغ نفسه دائماً بالبساطة ويردد دائماً أنه فلاح وابن الأرض !

ربما أتاحت ظروف المنصب أن يظهر السادات بملابس أنيقة تفوق فى ثمنها أضعاف ثمن ما كان يرتديه قبل أن يصبح رئيس جمهورية ، وهذا أمر طبيعى فقد انتقل بل قفز من طبقة إلى طبقة أخرى ، وأصبح الرجل الأول فى مصر ، ولكن السادات بشهادة الجميع كان طوال حياته أنيقاً فى مظهره وملابسه ، ففى كتابه «البحث عن الذات» يقول : « ولقد نشأت على حبى للجمال فى كل شيء ... وكانت ملابسى ضمن الأشياء التى أتطلب فيها الجمال » .. وكان السادات يحب أن يبدو مظهره جميلاً حتى فى أصعب ظروفه وبأقل الإمكانيات المتاحة لديه ، فقد كانت «الأناقة» صفة ملازمة له ، فكانت ملابسه أنيقة حتى ولو كانت بسيطة.

ويقول الكاتب الصحفى «موسى صبرى» حينما كان فى المعتقل مع السادات : «وكان السادات يتميز بالأناقة ، رغم أنه لم يكن يمتلك إلا قميصين ، وبنطلونين من قماش الزى العسكرى ... ولكنه كان يكويهما بعناية ، ويبدو وعلى رأسه قبعة من

القش ، وفى قدميه صندل ... وكأنه «لورد» ! »

ويقول «جمال عسكر» أحد زملاء السادات بالكلية الحربية «دفعة فبراير ١٩٣٨» : « كان السادات يعتنى دائماً بمظهره ، ويطلب منا تقليده ، وكثيراً ما سمعته يقول «المظهر الأنيق يعطيك إحساساً بالقوة والنشاط ، ويمكن أن تكون فقيراً جداً ، ونظيفاً جداً فى نفس الوقت» »

وهذا يدل على أن السادات فى أحلك الظروف كان يحافظ على أناقته ومظهره ، حتى فى المعتقل كان يبدو أنيقاً ! وإن اختلف شكل التعبير عن الأناقة من طبقة إلى طبقة أخرى حسب الإمكانيات المتاحة وهو ما حدث مع السادات حينما أصبح رئيساً فظل محتفظاً بأناقته وأتاح له المنصب أن يزيد من رونقها . ولا أعتقد أن شياكة الرئيس أصبحت تهمة ! ولكن من الممكن أن تكون تهمة حينما ينفق ببذخ شديد على ملابسه بالقدر الذى يكلف ميزانية الدولة أعباء ثقيلة ، ولا أعتقد أن السادات كان قد وصل لهذه المرحلة حيث أن مقتنياته التى توجد فى متحفه الخاص بمكتبة الإسكندرية تظهر أن ملابسه كان الكثير منها يصنع فى مصر وليس الخارج كما قيل .

## هل كان السادات مثقفاً ؟

كان السادات بجانب الفصاحة التى كان يتمتع بها فى اللغة العربية يجيد اللغة الإنجليزية والألمانية ويتحدث الفارسية ، وكان السادات معروفاً بحرصه الدائم على القراءة ، وعندما كان يدرس فى الكلية الحربية كان يقضى أجازته فى القراءة ، وكان يتصيد الكتب من سور الأزبكية عندما كان يزور القاهرة ، وعندما أُودع سجن الأجانب إثر اتصاله بالجواسيس الألمان لمعاونتهم ضد الانجليز ، أقبل السادات على قراءة الكتب والقصص الإنجليزية حتى أجاد اللغة الانجليزية ، كما تعلم اللغة الألمانية وأجادها إجادة تامة ، وفى إحدى زيارات السادات للنمسا ألقى خطاباً بالألمانية ، وجذب الشعب النمساوى الذى أُعجب بهذه الشخصية العربية ،

حيث كانت المرة الأولى التى يخطب فيها مسؤول عربى بلغتهم ، حتى أن كيسنجر قال أن السادات يتحدث الألمانية أفضل منه ؛ لأن كيسنجر كان من جنوب ألمانيا ، وكان السادات يتحدث بلغة الشمال التى هى أقرب إلى الألمانية السليمة ، خلال نفس الزيارة تعرف السادات على كاردينال النمسا وهو من الشخصيات الهامة فى الفاتيكان ، فسأل السادات : أين تعلمت الألمانية بهذا الإتقان ؟ ، ودُهش حينما أجابه السادات: أنه تعلمها فى المعتقل ! ، وكان السادات يحتفظ بكراسة خاصة أطلق عليها «كراسة السجن» يدون فيها كل ما يشد انتباهه ويؤثر فيه من آراء وأفكار وأشعار للكتاب والمفكرين من الشرق والغرب .

كان السادات يحب قراءة التاريخ ، وقرأ عن الثورة البلشفية Bolshevism Revolution فى روسيا ، والثورة التركية وأعجب بـ «كمال أتاتورك» الذى قاد تركيا إلى الاستقلال ، كما اشتغل السادات فترة من حياته بالصحافة ، فبعد خروجه من المعتقل عمل بـ «دار الهلال» ونشر فيها مذكراته « ٣٠ شهر فى السجن » ، وبعد قيام الثورة ، تولى السادات رئاسة تحرير جريدة الجمهورية التى أنشأتها الثورة ، وقد ادعى الأستاذ الكبير «محمد حسنين هيكل» أن السادات كان يعطى أفكاره إلى أحد الكتاب فى جريدة الجمهورية ليصوغها، وأن هذا الكاتب هو الذى كان يكتب مقالات أنور السادات التى تحمل توقيعه ، ولا نجد رداً على الأستاذ «هيكل» أفضل من شهادة الدكتور «محسن عبد الخالق» الذى كان رئيساً لمجلس إدارة جريدة الجمهورية أثناء عمل السادات بها.. حيث قال رداً على هذا الاتهام : « أشهد الله وهذه شهادة أسأل عليها لم أر أحداً يكتب لأنور السادات مقالاته وكان مكتبه أمام مكتبى .. وكنت أستعجله فى كتابة مقالاته لأن ماكينات الطباعة لا تنتظر أحد .. وكنت أدخل عليه فأجده دائما يكتب .. وكان أنور السادات مولعًا بالتراث .. وكان يقرأ الروايات الإنجليزية .. وكان يحفظ أجزاء من أشعار عمر الخيام بالفارسية ولذلك قيل بأنه رد على شاه إيران بالفارسية فى مؤتمر الرباط وألقى جزءاً من أشعار

عمر الخيام يومها صفق له الشاه طويلاً وقام واحتضنه .. »[1] .

وافترضُ الأستاذ «هيكل» الكاتب العملاق فى كتابه «خريف الغضب» « أنه ربما أضاع السادات فرصة نصر أكتوبر ولم يستثمره استراتيجياً بسبب نقص حصيلته من «التعليم والتعلم» » . ولا أعلم كيف لم يستثمر السادات حرب أكتوبر وقد أعاد لنا سيناء كاملة ! ، وعن «افتراض» الأستاذ «هيكل» الذى أشار فيه إلى نقص حصيلة السادات من التعليم والتعلم ، فإنه يمكن الرد عليه بما سردناه عن ثقافة السادات ، وحتى لو سايرنا الأستاذ «هيكل» فى افتراضه واعتبرنا السادات يعوزه العلم والتعلم ، فسرعان ما سيثبت خطأ نظرية الأستاذ «هيكل» فى افتراضه الذى عول فيه كفاءة الحاكم السياسية على حصيلته من العلم والتعلم ، فكم من الزعماء الذين قادوا بلادهم بنجاح لم يكونوا على قدر كبير من التعليم والتعلم بل كان منهم أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ، وكم من الأميين يتفوقون بـ «وعيهم السياسى» على كثير من أرباب العلم والشهادات ، فمثلاً «محمد على» مؤسس مصر الحديثة والذى قام بالعديد من الأفعال العظيمة ، كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه كان عبقرياً فى إدارة معارك الحرب والسياسة ،كان أمياً وطور التعليم فى مصر بصورة مذهلة وأرسل البعثات التعليمية إلى أوروبا ، وعندما سمع عن كتاب «الأمير» لمكيافللى والذى يعد مرجعاً سياسياً لكثير من قادة العالم عقب الثورة الصناعية ، طلب «محمد على » إحضار الكتاب ، وعندما قُرئ الكتاب أمامه ، قال : « إنى أرى بوضوح أنه ليس لدى مكيافيلى ما يمكنى أن أتعلمه منه ، فأنا أعرف من الحيل فوق ما يعرف ... فلا داع للاستمرار فى ترجمته » ! نعم كان «محمد على» الأمي يدير السياسة بأفضل مما دُوِّنَ فى كتاب مكيافيلى . لقد أغفل الأستاذ «هيكل» معيار «الوعى السياسى» الذى لا يرتبط دائماً بحصيلة الحاكم من التعليم ؛ حيث إن أخطر ما يمكن أن يتصف به رجل الدولة هو «الأمية السياسية» ، وفى اعتقادي أن قيمة

(١) محمود فوزى- حكام مصر السادات .

الثقافة الحقيقية للسادات والتى كانت تمثل كنزاً فى شخصيته هى ثقافته التى اكتسبها من دراما حياته الغريبة ، لقد صهرته الأحداث التى مر بها طوال حياته ، وأتيح له مالم يتح لغيره أن يخوض عامداً أو بغير عمد الكثير من التجارب ، لقد خاض السادات تجارب السجن والاعتقال وعاشر المسجونين والمعتقلين ، تولى العديد من المناصب التى جعلته يحتك بجميع طوائف الشعب وفئاتها فقيرها وغنيها ، جهالها ومثقفيها ، فمن سائق وتباع على عربة نقل إلى حمّال إلى صحفى إلى ضابط إلى رئيس مجلس الأمة إلى نائب للرئيس إلى رئيس للجمهورية ! لم يترك تنظيما سياسياً أو حزباً إلا واشترك فيه ، كافح ضد الإنجليز واتصل بالألمان ، اتصل بالإخوان المسلمين وعاشر الجماعات الإسلامية حتى أصبح كما قيل : نسيج وحده فى مكونات شخصيته ، كل هذا صُبَّ فى بوتقة شخص واحد فكان من الطبيعى أن تحيرنا شخصيته ، وأن تفاجئنا قراراته ، وأن تدهشنا بصيرته بالمستقبل وسبقه لعصره .



# الفصل الثاني

## السادات وثورة يوليو

◆◆◆

**« إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب .. خليقة بالإطراء .. فعبقريته العسكرية الممتازة .. وشجاعته .. ورباطة جأشه .. وإخلاصه وتفانيه في خدمة المثل العليا .. إلى جانب قوة إرادته .. وتنزهه عن الغرض .. ورقة عواطفه .. وميله الغريزي للعدالة والإنصاف .. كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو والسير بها قدما في سبيل النجاح »**

« الرئيس جمال عبد الناصر »

## تاريخ نضالى وطنى قبل الثورة:

عاش السادات طوال عمره جسوراً ومغامراً ولم يوفر لنفسه حياة هادئة قط فمنذ تخرجه من الكلية الحربية عام ١٩٣٨ ، كان الحس الوطنى يسرى فى عروقه وشغلته قضية تحرير مصر وقضى شبابه فى الكفاح من أجل طرد الإنجليز من مصر ، اشترك فى جميع التنظيمات السرية قبل الثورة ، كانت أفكاره كشاب وطنى متحمس تقوده إلى أن القوة وحدها هى القادرة على إخراج الإنجليز من مصر كما فعل أتاتورك الذى قاد تركيا إلى الاستقلال و الذى اعتبره السادات مثله الأعلى ، اتصل السادات بالتنظيمات السرية داخل الجيش واتصل بالإخوان المسلمين وكان من أشد المعجبين بالمكافح الوطنى «عزيز باشا المصرى» إثر لقاءاته المتكررة معه ، و حاول السادات مساعدته على الهرب من مصر إلى العراق لمعاونة «رشيد عالى الكيلانى» فى ثورته ضد الإنجليز ، ولكن محاولة هروب «عزيز المصرى» فشلت وقبض على السادات ، ولم تهدأ ثورة السادات النضالية ففى أثناء الحرب العالمية الثانية ومع تقدم «روميل» فى الصحراء الغربية اتصل السادات ببعض الجواسيس الألمان وحاول أن يساعدهم على أمل التحالف مع الألمان ضد انجلترا لتخليص مصر من الاحتلال البريطانى فقد كان كل الشعب المصرى متعاطفاً مع الألمان حتى أن «روميل» حينما وصل إلى العلمين خرج المصريون فى مظاهرات يقولون « إلى الأمام يا روميل » غير مدركين أنه بهزيمة الإنجليز

ربما يتخلصون منهم ولكن من سيخلصهم من الاحتلال الألمانى ونازيته! ، واكتشفت المخابرات البريطانية أمر الجواسيس الألمان وتم القبض عليهم واعترفوا على السادات الذى قبض عليه وتمت محاكمته وفصل من الجيش وأودع سجن الأجانب عام ١٩٤٢ وظل معتقلاً حتى استطاع الهرب بمساعدة زميله حسن عزت عام ١٩٤٤ وظل متخفيا منتحلاً أسماء مختلفة وشغل العديد من المهن الشاقة من حمّالاً على عربة لورى إلى ناقلٍ للأحجار من المراكب النيلية لاستخدامها فى الرصف ثم انتقل للعمل فى شق ترع الرى إلى أن سقطت الأحكام العرفية State of Siege عام ١٩٤٥ واستطاع الظهور وممارسة حياته الطبيعية ،وما هى إلا شهور قليلة حتى عاود السادات نشاطه واتصل بحسين توفيق المشهور بقتل الجنود الإنجليز .

وفى ذلك الوقت صرح « أمين عثمان باشا » وزير المالية ورئيس جمعية الصداقة المصرية -البريطانية بتصريح استفزازى Provocative Declarations قال فيه «ينبغى أن يكون عقد زواج بريطانيا البروستانتينية والدولة المصرية المسلمة على طريقة الزواج الكاثوليكى الذى لاطلاق فيه» فكان هذا التصريح بمثابة حكم إعدام له ، دبر السادات خطة اغتيال «أمين باشا» وأسند التنفيذ لحسين توفيق ، وتم اغتيال «أمين باشا» ولكن البوليس قبض على حسين توفيق الذى اعترف بالعملية كلها ، فتم القبض على السادات وكان ذلك عام ١٩٤٦ وبقى فى المعتقل حتى حُكم له بالبراءة فى أغسطس ١٩٤٨ .

## السادات يعود إلى الجيش وينضم للضباط الأحرار

وفى عام ١٩٥٠ عاد السادات إلى الجيش بمساعدة صديقه يوسف الرشاد الطبيب الخاص بالملك، وكان السادات قد تعرف عليه أثناء خدمته العسكرية بالجيش ، وفى هذه الأثناء كان تشكيل الضباط الأحرار قد توسع بقيادة جمال عبد الناصر وتعددت الخلايا السرية فى الجيش ، وانضم السادات إلى الحرس الحديدى[١]

(١) هو تنظيم كونته السراى ، وأشرف على اختيار أعضائه الطبيب البحرى يوسف رشاد ، ليكون عين السراى على الضباط الوطنيين فى الجيش .

وفى نفس الوقت بدأ الاتصال بالضباط الأحرار ، وضمه عبد الناصر إلى الهيئة التأسيسية لقيادة تنظيم الضباط الأحرار نظرا لتاريخ السادات السياسى والنضالى الكبير وتجاربه الكثيرة إلى جانب الاستفادة من موقعه فى الحرس الحديدى فى معرفة أخبار القصر وإبلاغها للضباط الأحرار ، وقد اتهم البعض السادات فى هذه الفترة بأنه كان عميلاً مزدوجاً لصالح الطرفين وكتب الأستاذ «هيكل» أن كل أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار عارضوا انضمام السادات للتنظيم نظرا لتاريخه السياسى المشبوه من الاتصال بالألمان واغتيال أمين عثمان وانضمامه للحرس الحديدى الذى يعمل لصالح الملك ، إلا أن عبد الناصر أصر على ضمه للسادات ! وهذه الرواية من جانب الأستاذ «هيكل» غير مقبولة وغير مقنعة فلو سايرنا وصفه لتاريخ السادات السياسى وتوجس الضباط الأحرار من ضمه لأنه من الممكن أن يكون عميلا مزدوجاً، فما الذى يدفع عبد الناصر إلى المخاطرة بضم السادات الذى يمثل كل هذه الخطورة على الثورة ، وإذا كان السبب هو البقاء عليه معهم لمعرفة أخبار القصر لصلة السادات بيوسف رشاد وحسب فكان من المفروض طرد رجل بهذه الخطورة من مجلس قيادة الثورة أو حتى إبعاده عن أى منصب أو عمل سياسى بعد نجاح الثورة إلا أننا نجده يذيع بيان الثورة ويتولى عدة مناصب فى الدولة بعد ذلك إلى أن وصل نائباً لعبد الناصر رئيس الجمهورية !! لقد تغاضى الأستاذ «هيكل» عن كل ذلك بل إنه بقوله أن عبد الناصر أصر على ضم السادات رغم اعتراض كل أعضاء الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار يتهم عبد الناصر بالديكتاتورية ، والحقيقة أن السادات كان طوال عمره وطنيا مخلصاً وجه كل طاقته وجهده نحو مصلحة الوطن أفنى شبابه من أجل مصر وله تاريخه الثورى المعادى للقصر والإنجليز واعتقل وفصل من الجيش وامتهن أشق الأعمال فلا يحتاج إلى دليل على وطنيته وإخلاصه وقد كانت كل مسيرته من أجل مصر ، وحينما ساعده موقعه فى الاقتراب من الملك ومعرفة أخبار القصر كان مصدر معلومات لضباط الثورة فى معرفة ما يدور فى السراى . وعلى الجانب الآخر كان

السادات يضلل يوسف رشاد بأخبار ملفقة عن الضباط الأحرار ليبلغها للملك فاروق .

## أحداث تعجل من قيام الثورة :

كانت عجلة الأحداث تدور سريعاً وكان الموقف السياسى فى مصر يزدادا سخونة بصورة متلاحقة ، فالنحاس باشا ألغى معاهدة ١٩٣٦ فى أكتوبر ١٩٥١ واشتعل الموقف فى الشارع المصرى ، وقرر عبد الناصر مع الضباط الأحرار قيام الثورة فى نوفمبر ١٩٥٥ ، ثم اندلع حريق القاهرة فى ٢٦ من يناير ١٩٥٢ ، ومن خلال اتصال السادات بيوسف رشاد عرف منه مدى تدهور مركز الملك وضعفه بعد حريق القاهرة ، وتوالت المنشورات وانضم عدد كبير من الضباط إلى تنظيم الضباط الأحرار وأصبح الجو مهيأ تماما لرجال الثورة مما دفع عبد الناصر بتعجيل موعد قيام الثورة لتكون فى نوفمبر[1] ١٩٥٢ .

## السادات ينقذ الثورة

ومع اتصال السادات بيوسف رشاد عرف منه أن الملك فى حالة غضب عارم لأنه وجد على مكتبه منشوراً مذيلاً بتوقيع الضباط الأحرار وعزم الملك على تعيين «حسين سرى عامر» وزيراً للحربية والذى كان يعد تعيينه كارثة للضباط الأحرار لأنه يعرف أسماءهم جميعاً وعلى علم بأسرارهم ، أدرك السادات خطورة ذلك وأوهم يوسف رشاد أن الضباط الأحرار ليست لهم صلة بالمنشور ، وأن صاحبه هو «مصطفى كمال صدقى» عضو الحرس الحديدى والذى كان على علاقة سب مع يوسف رشاد ، وقد اختاره السادات لعلمه بمدى ضيق يوسف رشاد منه ورغبته فى التخلص منه ، وبالفعل اتصل يوسف رشاد بالملك وأقنعه بالعدول عن تعيين حسين سرى عامر وتعيين إسماعيل شيرين «زوج الأميرة فوزية أخت الملك» وزيرا

(١) ذكر السادات فى مذكراته أنهم اختاروا شهر نوفمبر لأن فيه يكون الملك والحكومة قد عادا من الإسكندرية وبالتالي يستطيعون تركيز ضربتهم فى القاهرة .

للحربية[1] .

## وبدأ العد التنازلى

وفى ١٦ يوليو ١٩٥٢ أصدر الملك قراراً بإلغاء انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط وتنحية اللواء محمد نجيب الذى تم ترشيحه من جانب الضباط ، وفى ٢٠ يوليو ١٩٥٢ وردت أخبار لعبد الناصر من أن هناك تشكيلًا وزاريًا جديدًا فى طريقه إلى التعيين وأن وزير الحربية فى الوزارة الجديدة هو حسين سرى عامر الذى يعرف الضباط الأحرار واحداً واحداً ، فعرف الأحرار أن الوقت ليس فى صالحهم وقرروا أن تقوم الثورة فى اليوم التالى مباشرة ٢١ يوليو ولكنها تأجلت إلى يوم ٢٣ من يوليو لأسباب مختلفة منها عدم وجود بعض الضباط المتواجدين فى العريش الذى لم يتم إخطارهم بعد مثل ( السادات وصلاح سالم وجمال سالم ) .

## دور السادات ليلة الثورة

كان السادات فى رفح وأرسل له عبد الناصر رسالة يوم ٢١ من يوليو ١٩٥٢ للنزول إلى القاهرة يوم ٢٢ يوليه ، ولكن عبد الناصر لم يذكر للسادات بالتحديد يوم قيام الثورة وبحسب رواية السادات فإن عبد الناصر حدد له موعد قيام الثورة فى الفترة من ٢٢ من يوليو إلى ٥ من أغسطس ١٩٥٢ ، ونزل السادات إلى القاهرة ورجع إلى منزله واصطحب زوجته إلى السينما ، وعندما عاد إلى المنزل فى المساء وجد رسالة من عبد الناصر تركها مع بواب العمارة مكتوب فيها « المشروع يبدأ الليلة » ، وصعد السادات مسرعاً إلى شقته وارتدى ملابسه العسكرية وحمل مسدسه وذهب إلى ثكنات الجيش بالعباسية.. ، وقيل : أن السادات كان على علم بليلة الثورة ودخل إلى السينما وافتعل مشاجرة فيها ليثبت تواجده فى السينما فى هذا التوقيت للتنصل من الثورة فى حالة فشلها وهو أمر ليس بمستبعد عن دهاء السادات الذى

(١) محمود جامع – عرفت السادات .

كان يجيد هذه الحيل مثل تواجده فى مكان وله شهود بتواجده فى مكان آخر فى نفس التوقيت كما فعل فى حادثة اغتيال أمين عثمان .. ، وحتى وإن صحت هذه الرواية فهى ترتيباً أمني وتكتيك من رجل سياسى ذكى يؤمن فيه جانبه فى حال فشل المهمة ، ويواصل مسيرته بعد ذلك للمشاركة فى العمل الوطنى فلم يرد أن ينهى نفسه إذا خسر الجولة الأولى ، حتى أن عبد الناصر نفسه كان حذر جداً ليلة الثورة وعندما أراد الاتصال بشمس بدران ليحرك لواءه إلى رئاسة الجيش ، أخبر عسكرى التحويله عند اتصاله أنه «الصاغ» جمال عندما سأله عن اسمه رغم أنه كان برتبة «بكباشى» حتى يكون مؤمنا فى حال فشل الثورة لأنه إذا فشلت الثورة وراجعوا المكالمات التليفونية سيجدون «الصاغ» جمال وليس «البكباشى» وبالتالى لا يكون هناك دليل عليه ..

وعن مشاركة السادات ليلة الثورة ...يقول «توفيق عبده إسماعيل» أحد الضباط الأحرار « ... ما كانوش لاقيين ضابط الإشارة ..أمين شاكر[1] كان فى إيطاليا ..كان لازم ضابط فى سلاح الإشارة لأنه هو المسؤول عن الاتصالات التليفونية واللاسلكية مع وحدات الجيش وكان دوره محورياً ... لو كان أمين شاكر موجودًا كان السادات فضل فى العريش .. وبعثوا للسادات عن طريق الأخ صفوت كلفوه إنه يجيبه بسرعة وهو كلف ضابط آخر مسافر برسالة ظريفة راح لصلاح سالم وقاله : عاوزين «زبيبة» بأسرع ما يمكن فى القاهرة ..لأن السادات كان بيصلى وله زبيبة ومعروفة .. الاسم الكودى بتاعه كان «زبيبة»... وجاء أنور السادات وبدأ التحرك الفعلى ...»

ثم أضاف « فكر مجلس قيادة الثورة فى الاتصال بسيناء لأنه كان مهم جداً أن يتصلوا بسيناء .. وبعدما جاء السادات الساعة الثانية إلا ثلثًا .. لقوا الخطوط متقطعة .. لأنهم لما اقتحموا القيادة قطعوا خطوط التليفونات .. ماكنش ممكن حد يقدر يتصل غير واحد زى السادات عنده خبرة بأجهزة اللاسلكى .. هو اتصل

(١) ضمه عبد الناصر إلى التنظيم لعمله فى سلاح الإشارة وأوضح له أهمية سلاحه ودوره المحورى عند قيام الثورة

بتوفيق عبد الفتاح فى القنطرة وعن طريقه اتصلوا بصلاح سالم .. وصلت الرسالة لصلاح سالم بعد ٤ صباحاً بعد ما أمكنهم الاتصال به علشان يدوا له إنذارًا إننا سيطرنا على القاهرة »[١] .

ومن الواضح أن السادات لم يشارك منذ بداية الثورة لتأخره إلا أنه أدى عمله فى حدود مهمته كضابط فى سلاح الإشارة مسؤول عن الاتصالات التليفونية واللاسلكية بوحدات الجيش ، وبالتالى لم يقد أى وحدة أو كتيبة دبابات أو مدفعية كما فعل الضباط الآخرون ، ولاشك أن الكثير من الضباط الأحرار حاولوا تجريد السادات من أى دور يذكر فى الثورة وأنه تقاعس ليلة الثورة ، ولكن لو كان السادات يريد التقاعس لما غادر المنزل مسرعاً وهو يحمل مسدسه بعد رجوعه من السينما وبقى فى المنزل كما تقاعس ضباط آخرون ليلة الثورة ولم يخرجوا ، كما أنه رجل عرف طوال تاريخه أنه لم يتقاعس عن عمل ظن حقاً أو باطلاً أنه عمل وطنى ، كما أنه عرف بالمغامرة طوال عمره فلا سبيل إلى تخوفه من المشاركة ليلة الثورة .

## السادات يذيع بيان الثورة :

بعد أن تم حصار الإذاعة .. سعى رجال الثورة إلى إذاعة أول بيان للحركة ، وطلب من اللواء «جمال حماد» أن يكتب البيان لكونه كاتباً وأديبا .. وتم اختيار السادات لإذاعة البيان فى الإذاعة لأنه يتمتع بصوت جيد رصين ويجيد القراءة باللغة العربية الفصحى ، وذهب أنور السادات إلى الإذاعة وأذاع بيان الثورة المشهور فى السابعة صباح ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ ليعد يوماً فاصلاً فى تاريخ مصر ، واستقبل الشعب الثورة بالترحاب والبهجة والتأييد ، ثم أسند إلي السادات مهمة حمل وثيقة التنازل عن العرش إلى الملك فاروق . وفى ٢٦ من يوليو ١٩٥٢ غادر الملك فاروق مصر ليطوى صفحة سوداء من الفساد عاشتها مصر تحت حكمه ..

(١) طارق حبيب - ملفات ثورة يوليو .

## السادات خارج دائرة الصراع بعد الثورة:

لم تدم فرحة السادات بنجاح الثورة طويلاً ، حيث بدأت الصراعات تنشب داخل مجلس قيادة الثورة ، وجرت مناقشات عنيفة حول الديمقراطية وكان هناك تباين فكرى وعقائدى واضح بين الضباط ، كما ظهرت بوادر الأطماع من قبل بعض الضباط الأحرار وبدأت نشوة السلطة تلعب بعقولهم ، وكان من المفترض أن تجرى انتخابات فى فبراير ١٩٥٣ كما أعلنت الثورة إلا أن مجلس قيادة الثورة تجاهلها ، وثارفريق من الضباط الأحرار على مجلس قيادة الثورة وقام المجلس باعتقال هؤلاء الثائرين ومحاكمتهم ، وفى ١٨ يونيو١٩٥٣ أعلن إلغاء النظام الملكى فى مصر وإعلان الجمهورية وأصبح «محمد نجيب» أول رئيس لجمهورية مصر ، إلا أن عبد الناصر أخذ يحجم دور محمد نجيب وسيطر على مجلس قيادة الثورة ثم الجيش بعد تعيينه لرفيقه عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وصارع عبد الناصر محمد نجيب على السلطة ، ما لبث أن أنهاه عبد الناصر لصالحه فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ بعد أن اعتقل محمد نجيب ، وحدد إقامته في منزله ، وانفرد وحده بالسلطة ، وخلال هذه الموجة من الصراعات والانقسامات ، ماذا كان موقف السادات منها ؟

اتخذ السادات لنفسه مسار الظل ، ونأى بنفسه بعيداً عن هذه الصراعات مؤمناً بأن الثورات تأكل أبناءها ، ولم يجهد نفسه فى المشاركة فيها وإبداء الرأى ، وورَّثَ هذا الاتجاه من جانب السادات انطباع لدى رجال الثورة بأن السادات يتسم باللامبالاة ، والضعف والعجز عن أن يكون له أى دور ، ولم يتبدد انطباعهم هذا عن السادات إلا بعد أن تولى الحكم وأطاح بكل معارضيه وانفرد بالسلطة فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، وهو ما عرف بثورة التصحيح ، وكان السادات يصف الضباط الأحرار المتصارعين بأنهم مجموعة من الضباط الشباب كانوا قبل الثورة يجلسون إلى مكاتبهم كغيرهم من أفراد القوات المسلحة .. لم يعرفوا الجوع والتشرد ، ولم يتعرضوا للسجن والاعتقال مثله .. ثم بعد ثلاثة أيام من إعلان الثورة وجدوا أنفسهم فى مركز السيادة .

# الفصل الثالث

# السادات

# في الطريق إلى الرئاسة





« أنا أمشي ببطء ، ولكن لم يحدث أبداً أننى مشيت خطوة واحدة للوراء »

« إبراهام لنكولن »

## السادات هدوء وتحفز بعد الثورة:

استحق السادات بجدارة أن يوصف بالثعلب السياسى ، فقد كان أكثر رجال الثورة تجربة وخبرة وأعرفهم بالسياسية وألاعيبها ، كان الأكثر دهاء ومكرا ومراوغة ، لم يندفع نحو أهدافه ولم يتعجل لتحقيقها ، بل ركن إلى الظل وبمزيد من الصبر والهدوء والمكر سعت إليه الفرصة دون أن يلهث وراءها وفاجأ الجميع بقفزه من وراء الكواليس إلى قمة الأضواء ، عرف السادات أن الثورات تأكل أبناءها ، ورأى بعينه كيف دارت الصراعات بين رجال الثورة وكيف آلت هذه الصراعات إلى تصفيتهم ، كما رأى كيف أجبر عبد الناصر محمد نجيب على الاستقالة ، ثم حل مجلس الثورة وانتخاب عبد الناصر رئيساً للجمهورية ، ورأى مصير كل من اصطدم بالرئيس عبد الناصر ، وفطن السادات إلى شخصية الرئيس عبد الناصر بإيجابياتها وسلبياتها ، تلك الشخصية القيادية التى استحقت الزعامة عن جدارة ولكنها لا تقبل النقد ولا المعارضة ؛ فعرف السادات أنه لا سبيل إلى معارضة عبد الناصر ؛ ولهذا لم يعارض السادات عبد الناصر مطلقاً منذ توليه الرئاسة حتى وفاته وإن عارضه لم تخرج معارضته عن إطار العتاب الرقيق ، فعندما أطلق ناصر خطاباً ملتهباً فى الإسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن فيه تأميم شركة قناة السويس ، عاتبه السادات بعدها قائلاً بلطف : « لو سألتنى كنت هاقولك حاسب .. لأن الخطوة دى معناها الحرب وإحنا مش جاهزين حالياً....ولكن بما أنك اتخذت القرار خلاص فيجب أن نقف جميعاً إلى جانبك وأنا أولهم.... ».

والحقيقة أن السادات ظل مخلصاً لشخص عبد الناصر إلا إنه لم يكن بنفس

الإخلاص لمبادئه وتوجهاته السياسية ، فالسادات له فكره المختلف تماماً عن عبد الناصر وهو ما أثبته بعد توليه الرئاسة بعد عبد الناصر حيث كانت له توجهاته المختلفة تماماً عن عبد الناصر فمن اشتراكية عبد الناصر إلى انفتاح السادات ، ومن عروبة عبد الناصر إلى مصر أولاً للسادات ومن حماسة عبد الناصر المثيرة إلى واقعية السادات المستفزة ومن ميل عبد الناصر إلى الديكتاتورية إلى خداع السادات بالديمقراطية من قرارات عبد الناصر الملتهبة التى تثير حماس الشعب إلى قرارات السادات المفاجئة التى تصدم توقعه ، كان لكل منهما تفكيرهما المختلف فى الحكم .

### مناصب فى الظل :

منذ قيام الثورة لم يطلب السادات منصباً كما أنه لم يرفض منصباً أسند إليه ، ورغم أن المناصب التى تولاها السادات فى ظل مجلس قيادة الثورة وفى ظل رئاسة عبد الناصر كان أغلبها مناصب إشرافية ولم تكن تنفيذية تأخذ حيزاً وشكلاً فعالاً فى السياسية المصرية حتى أن البعض لامه على قبولها ، إلا أن السادات بشكل أو بآخر استطاع كعادته أن يستفيد من الإمكانيات المتاحة لديه وأن يدعم خبرته من خلال تجاربه فى المناصب المختلفة التى تولاها ، ففى عام ١٩٥٣ أنشأ مجلس قيادة الثورة جريدة الجمهورية وأسند إلى السادات مهمة رئاسة تحرير هذه الجريدة نظراً لسابق اشتغاله بالصحافة وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٦، ومع أول تشكيل وزارى لحكومة الثورة تولى السادات منصب وزير دولة فى سبتمبر ١٩٥٤ ، كما عين سكرتيراً عاماً للمؤتمر الإسلامى، وربما اختاره عبد الناصر لهذا المنصب لميل السادات إلى الدين ، واستطاع السادات من خلال جولاته الخارجية فى بلدان العالم الإسلامى أن يوطد علاقاته ببعض الشخصيات الهامة مثل ولى عهد الملك سعود وهو «الملك فيصل» – أصبح ملكاً للسعودية فيما بعد – والذى كان له دوره البارز فى حرب أكتوبر من خلال استخدام سلاح البترول ، كما وثق السادات صلته بـ «كمال أدهم» صهر «الملك فيصل» وأحد الذين أثارت علاقته بالسادات الكثير من

الجدل خصوصاً بعدما أصبح مشرفاً على المخابرات العامة السعودية ، كما وطد علاقاته مع «آل الصباح» الأسرة الحاكمة بالكويت ، وفى عام ١٩٦٠ انتخب السادات رئيساً لمجلس الأمة ، كما أنه في عام ١٩٦١ عين رئيساً لمجلس التضامن الأفرو - آسيوي.

## السادات نائبا لعبد الناصر

كان اختيار عبد الناصر للسادات ليكون نائباً له فى ديسمبر عام ١٩٦٩ مثيراً للدهشة والحيرة للكثير من معاصريه واعتبروه لغزا يصعب فهمه ؛ نظراً للصورة التى كانت مرسومة للسادات فى أذهانهم بأنه رجل ضعيف وليس له دراية وخبرة بتصريف الأمور ، وانطلقت التحليلات والتفسيرات والتبريرات لهذا القرار الغريب من وجهة نظرهم ، وكان على رأس هؤلاء الأستاذ الكبير والكاتب العملاق «محمد حسنين هيكل» الذى كان مقرباً من الرئيس عبد الناصر وأبرز من كتب عن العهد الناصرى ، وحاول الأستاذ «هيكل» من خلال روايته لقرار عبد الناصر المصيرى باختيار السادات نائبا له أن يقدم للقارئ تعليلات وتبريرات هذا الاختيار .

## الأستاذ «هيكل» يتحدث إلى قارئ من كوكب آخر!

كانت رواية الأستاذ «هيكل» التى ساقها فى كتابه «خريف الغضب» عن اختيار السادات نائبا لعبد الناصر أشبه ما تكون بمسرحية هزلية ظهر فيها تحليل الأستاذ «هيكل» ضعيفاً ومهلهلاً استخف بعقل القارئ وكان مدعاة للكثير من النقد ، وأثر البغض الشخصى للسادات من جانب الأستاذ «هيكل» على تفسيره مما خرج به عن النزاهة الموضوعية ولوى به عنق التاريخ . يروى الأستاذ «هيكل» للقارئ كواليس هذا القرار فى كتابه «خريف الغضب» قائلاً :

« كان على عبد الناصر أن يشارك في أعمال مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ذلك

الوقت فى الرباط بالمغرب ، وأتذكر أنني كنت معه فى هذه الرحلة وعندما دعاني إلى الجلوس بجانبه بعد إقلاع الطائرة كما كان يفعل دائما فإنه أشار إلى بالجلوس وعلى وجهه ابتسامة وفوجئت به يقول: هل تعرف ماذا فعلت اليوم ؟ ولم أكن أعرف وقال لي : « كان أنور السادات سيمر عليّ لكي يصحبني إلى المطار وطلبت منه أن يجيء معه بمصحفه ولم يفهم ماذا عنيت بهذا الطلب وعندما جاء فقد جعلته يقسم اليمين ليكون نائبا لرئيس الجمهورية في غيابى ..... وأبديت دهشتى وسألت عن السبب الذى دعاه إلى ذلك ومدّ عبد الناصر يده إلى ملف كان قد وضعه أمامه على المائدة فى الطائرة وسحب منه عدة أوراق ناولها لى ....وكانت بينها برقية تقول أن هناك معلومات بأن الجنرال «محمد أوفقير» وزير الداخلية المغربي يتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في محاولة لاغتيال عبد الناصر أثناء وجوده في المغرب .. ولقد فكرت في أنه إذا فرض وصدقت المعلومات هذه المرة وحدث شيء فإن أنور السادات يصلح لسد الفترة الانتقالية ... وفي فترة الانتقال فان دور أنور السادات سيكون شكلياً .. ثم أضاف عبد الناصر «إن الآخرين جميعا واتهم الفرصة ليكونوا نوابا لرئيس الجمهورية إلا أنور، ولعله دوره الآن .. » » ثم تحدث الأستاذ «هيكل» بعد ذلك عن دوامة الأحداث التى شغلت الرئيس عبد الناصر فى الفترة التالية ، ثم قال الأستاذ «هيكل» . « وفى الواقع فإن زحام الأحداث قد حوّل الأنظار كثيراً عن وجوده فى هذا المنصب ... إن وضع أنور السادات كنائب للرئيس كان قضية منسية حتى وإن كان قد خطر للبعض بما فيهم عبد الناصر نفسه أن الأمر قابل لإعادة النظر فيه وهكذا بقى أنور السادات في مكانه حتى تلك اللحظة الحزينة... ».

كانت هذه هى رواية الأستاذ «هيكل» عن القرار المصيرى لعبد الناصر ، وفى الواقع أنه لا عزاء للعاقلين فى هذه الرواية التى يصعب قبولها وتصديقها لأسباب كثيرة وقبل أن نسترسل فى ذكر الأسباب ، يمكن القول بأن ضعف صياغة رواية الأستاذ «هيكل» ترجع إلى حيرته فى كيفية إقناع القارئ بعدم خطأ عبد الناصر فى

اختياره للسادات خاصة بعدما رسم هيكل للقارئ نفسه صورة سيئة لشخص السادات ذكر الأستاذ «هيكل» أن عبد الناصر على علم بمكنونها ، فمن ناحية لا يريد الأستاذ «هيكل» أن يُخطئ قرار عبد الناصر ، وفى نفس الوقت لا يريد أن يُظهر السادات مستحقا لاختيار الزعيم الرئيس عبد الناصر ، وفى سبيل ذلك ساق الأستاذ «هيكل» كل ما يملك من تعليلات وتبريرات وحجج نجدها هزيلة وغير مقنعة للأسباب التالية :

- بعد أن فعل السادات الكثير من الأخطاء السياسية — حسب كلام الأستاذ «هيكل» - والتى أغضبت الرئيس عبد الناصر كما ذكر كان رد الفعل من عبد الناصر أن كافأ السادات وعينه نائبا له !!!.
- كيف تحول منصب نائب رئيس الجمهورية منصب الرجل الثانى فى مصر إلى «قضية منسية» بسبب كثرة شواغل الرئيس عبد الناصر التى حجبت عينه عن نائبه حتى وفاته !! وهل تواجد السادات بعد تعيينه نائبا فى كل المناسبات الرسمية وظهوره أمام عبد الناصر يوميًا ليس كفيلاً بتذكير عبد الناصر بهذه « القضية المنسية» !!
- وهل زحام هذه الأحداث الجسام التى عددها الأستاذ «هيكل» من شأنها أن تذكر الرئيس بقدرة خليفته على تحمل المسؤولية وهل هو على مستوى هذه المسؤولية أم لا أم تنسيه وجود خليفته فى هذا المنصب الذى من الممكن أن يؤول إليه مصير الوطن فى أى وقت ! ربما الرئيس عبد الناصر «ورَّثه مصر ونسى » ! كما ذكر الدكتور «فؤاد زكريا» فى كتابه «كم عمر الغضب» .
- ذكر الأستاذ «هيكل» أيضا أن السادات بعد تعيينه نائباً أغضب عبد الناصر بتصرفاته مثل موقف السادات من مبادرة روجرز ... ألم تكن هذه التصرفات كفيلة أن يلتفت الرئيس إلى نائبه وسوء تصرفه ، ويتذكر «القضية المنسية» ! أم أن الوقت لم يحن بعد انتظاراً لكثير من الأخطاء !! وكان تفسير الأستاذ «هيكل» أن حظ

السادات هو الذى أبقاه فى المنصب إلى وفاة عبد الناصر !

- إن إعلان السادات رفضه لمبادرة روجرز ، وإلقاءه خطابا معلناً فيه عن رفضه للمبادرة أمام اللجنة المركزية التى أوصت برفض المبادرة وفقاً لوجهة نظر السادات ، دون الرجوع للرئيس عبد الناصر الذى كان متواجداً فى ليبيا والذى قبل المبادرة وهو متواجد فى ليبيا دليل على أن دور السادات فى منصبه كنائب للرئيس لم يكن مهمشاً أو شكليا، كما ذكر الأستاذ «هيكل» وإنما يستطيع أن يساهم فى اتخاذ القرارات وأن يقدم على بعض الخطوات السياسية .

- ذكر الأستاذ «هيكل» أن عبد الناصر أخبره بأن الكل أخذ فرصته ليكون نائباً لرئيس الجمهورية إلا السادات وأن دوره حان الآن ، فهل أصبحت «سياسة الدور» هى معيار اختيار الرؤساء لنوابهم ، وعلى الكل أن يأخذ نصيبه من الكعكة !! إن الأستاذ «هيكل» أساء للزعيم عبد الناصر دون أن يدرى ورغم أنه يدافع عنه .

- بعد كل هذه المفارقات الغريبة والمتناقضة من جانب الأستاذ «هيكل» ، وعدم اقتناعه بأحقية السادات أن يكون نائباً ، نجده بعد وفاة عبد الناصر يدير الحملة الانتخابية للسادات، ويصفه بأنه اختيار الزعيم عبد الناصر وأنه الأجدر بالرئاسة !!! .

## السادات نائبا لعبد الناصر لأنه الأكفأ :

هذه هى الحقيقة الوحيدة من بين كل التفسيرات لقرار الرئيس عبد الناصر باختيار السادات نائباً له لعدة أسباب :

- لم يكن من بين كل الموجودين أكفأ وأنسب لهذا المنصب من السادات ، فالرئيس عبد الناصر كان يرى كل من حوله من رجال الثورة يتصارعون فيما بينهم على المناصب ومنهم من يمد نفوذه ليزحف على السلطة ، وكان السادات الوحيد الذى لم يطلب منصباً أو تصارع على منصب أو سلطة وظل مخلصاً لعبد الناصر ووفيا له .

- تاريخ السادات السياسى ونضاله وكفاحه وكثرة تجاربه وتعددها يرجح كفته أمام أى رجل آخر من رجال الثورة .
- إن المعلومات التى وردت لعبد الناصر باحتمال اغتياله فى المغرب ، جعلته يدقق فى رجاله ويختار أكفأهم ليكون خليفة له تحسباً لاغتياله وهو ما حدث واختار السادات لأنه رأى أنه الأكفأ .
- لقد اختار عبد الناصر السادات من قبل من دون رجال الثورة كلهم ووضعه على رأس لجنة تتولى تسيير شؤون الدولة فى غيابه وذلك بعد تعرض عبد الناصر لأزمة قلبية ، ثم هاهو عبد الناصر يختار السادات أيضا مرة أخرى ليكون نائبه عندما أحس بالخطر على حياته ، إن ذلك يولد انطباعا بأن الرئيس عبد الناصر لم يجد أفضل من السادات ليحل محله وقت الأزمات والشدائد ولو كان هناك أفضل من السادات لأخذ مكانه ، وليس من المعقول أن يختار السادات فى هذين الموقعين الخطيرين دون أن يكون مقتنعاً به .
- لا يمكن لشخص فى زعامة الرئيس عبد الناصر ورؤيته السياسية يعرف أن مصير الوطن مرتبط بتعرض حياته للخطر، ويختار رجلاً بصورة شكلية ليكون خليفة له أو يسد مرحلة انتقالية فى حالة وفاته كما ذكر الأستاذ «هيكل» لاسيما وأن الوضع فى مصر كان حرجًا للغاية بعد النكسة والأمر لا يحتمل أي فراغ سياسى أو الانتقال من مرحلة شكلية إلى رسمية.
- أراد الرئيس عبد الناصر الاستفادة من السادات الذى تربطه علاقات جيدة بالكثير من القادة العرب فى ذلك الوقت ، فى محاولة من عبد الناصر لجذب الدعم العربى لجهود مصر لاستعادة الأراضى المحتلة بعد عام ١٩٦٧ .
- إن المتتبع لأقوال وآراء الرئيس عبد الناصر عن السادات يرى بوضوح مدى تقدير عبد الناصر لتاريخ ونضال السادات ، ومن مقتطفات أقوال الرئيس عبد الناصر عن السادات : « إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب ، خليقة

بالإطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ، وشجاعته ورباطة جأشه ، وإخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا إلى جانب قوة إرادته ، وتنزه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للصداقة والإنصاف كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة يوليو والسير بها قدماً فى سبيل النجاح » ، كما قال عنه «لكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ولم تتزعزع عقيدته ، ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخاً وإيماناً...إن السادات صار رمزاً حياً للمطالبة بالحرية ، ومعبراً صادقاً للشعور الجامح الذى سرى فى شعب وادى النيل ...مطالباً بالتحرر من الظلم والاستعباد والطغيان » .

## السادات الرئيس المفاجئ :

وهكذا اختار عبد الناصر أكفأ رجاله ليكون نائباً له ، وربما لم يتوقع كثيرون أن إمكانيات السادات من الممكن أن تؤهله لشغل منصب مرموق ولكنه خذل توقعهم وأصبح نائباً لرئيس الجمهورية ، وربما اعتقد البعض أن السادات لا يمكن أن يتجاوز طموحه السياسى هذه المرحلة ، خاصة وأنهم كان يرونه «سياسيًا محتقرًا» ، ولكنه فاجأهم وأصبح رئيساً للجمهورية وانطبقت عليه مقولة «لتزاروس» « السياسى المحتقر اليوم قد يكون رجل الساعة غدا » ، وربما أيضا أيقن البعض أن ظروفه لن تسمح له بإحكام سيطرته على مقاليد الحكم فى ظل مراكز القوى التى تسيطر على البلد ، ولكنه أذهلهم وأطاح بكل معارضيه وقبض بيد من حديد على زمام السلطة ، وهكذا شاءت الأقدار أن يكون السادات رئيساً لمصر ويكتب الله على يديه النصر ، ويسترجع أرضها المسلوبة، ثم يجلب السلام لشعب مصر الذى عانى كثيراً من ويلات الحروب .



# الفصل الرابع
## السادات والسوفييت



« في السياسة ليس هناك عدو دائم أو صديق دائم هناك مصالح دائمة »

« تشـ شل »

«لا أستطيع التكهن برد فعل روسيا، فهو فزورة مغلفة بلغز داخل سر...»

« تشرشل »

أفردت فصلاً كاملاً يخص علاقة الرئيس السادات بالاتحاد السوفييتى منذ توليه حكم مصر خليفة لسلفه الرئيس عبد الناصر ؛ لأن علاقة مصر بالاتحاد السوفييتى كان لها أسبابها التاريخية وأبعادها السياسية شديدة الأهمية ومرت بمراحل مختلفة وتحولات مفاجئة ؛ فكان من الصعب اختزالها وتضمينها فى أحد الفصول ...

ووجدت من الصعب أن أخوض فى تحليل الأحداث التى جعلت الرئيس السادات يصطدم بالسوفيت ، ويقرر إنهاء تواجدهم فى مصر قبل أن نحاول أن نلقى نظرة تاريخية نستقرأ بها الأحداث تباعاً من أسباب لجوء مصر إلى المعسكر الشرقى ، ثم انحياز مصر الكامل للاتحاد السوفييتى والاعتماد عليه كمصدر رئيسى للتسليح خاصة بعد النكسة ، وقيام الزعيم جمال عبد الناصر بمجهودات مضنية من أجل إعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة معتمدا على مستودع السلاح السوفيتى ورحلاته المتكررة إلى موسكو لإبرام صفقات الأسلحة مع القادة السوفييت التى توجت ببناء حائط الصواريخ، ثم رحيل الرئيس عبد الناصر بعد قبوله مبادرة روجرز ، ثم تولى الرئيس السادات الحكم وتزايد الحذر والشكوك بينه وبين السوفيت إلى أن أصدر قراره الشهير بطردهم ، وبدون الغوص فى عمق الأحداث ستطفو السياسة التى انتهجها السوفييت نحو تسليح ودعم مصر عسكريا لترفع عن كاهلها عبء الاحتلال الإسرائيلى لأراضيها....

***

## تسليح مصر يكسر احتكار السلاح الغربى !

بعد نجاح ثورة يوليو فى التحرر من القبضة البريطانية بعد توقيع اتفاقية الجلاء وإنهاء الوجود البريطانى فى مصر كان لابد وأن تلتفت سريعاً إلى إعادة بناء قواتها المسلحة كمبدأ شديد الأهمية من مبادئ الثورة ، فكان من الطبيعى أن تتجه إلى المعسكر الغربى[1] الذى اعتادت على طرق أسواقه ولكن الثورة فى سعيها هذا قوبلت باللامبالاة الأمريكية والتسويف البريطانى ، وعلى الجانب الآخر كانت فرنسا تزود إسرائيل بأحدث مافى ترساناتها العسكرية ومن ذلك صفقة النفاثات الأوراجان قبل نهاية عام ١٩٥٤[2] ، إزاء هذا كله قبل الرئيس عبد الناصر العرض الشرقى فى ٢٧ سبتمبر عام ١٩٥٥ ، والذى وافقت بموجبه تشيكوسلوفاكيا على تقديم ما تحتاجه مصر من أسلحة فكانت صفعة قوية للغرب حيث استطاعت مصر كسر الاحتكار الغربى للسلاح ، وكانت نصراً سياسياً كبيراً للاتحاد السوفيتى وبالطبع لم تغفل إسرائيل فى استغلال الموقف المصرى فى إثارة الغرب ضد مصر فكانت أحداث العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولم تكن مصر قد أكملت تسليحها بعد وما أن زالت آثار العدوان حتى بدأت تكمل تعاقداتها مع تشيكوسلوفاكيا ، وتزايدت الصفقات مع السوق الشرقى ، وتم إرسال بعثات من العسكريين المصريين للتدريب فى مدارس الكتلة الشرقية ، وكانت إسرائيل على الجانب الأخر تستكمل تسليحها وتمهد سياسيا لعدوان مفاجئ ، حتى نجحت فى شنه صباح الخامس من يونيو عام ١٩٦٧[3] بضربة جوية مفاجئة أخرجت الطيران المصرى من المعركة منذ اللحظات الأولى ، وما تلا ذلك من أحداث مريرة وهزيمة قاسية للعرب كسبت فيها إسرائيل سيناء والجولان والضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع

(١) مصر كانت قبل ذلك جزءاً من المعسكر الغربى بحكم معاهدة ١٩٣٦ والتى أبرمها النحاس باشا والذى ألغاها هو أيضا عام ١٩٥١ .

(٢) اللواء طيار أركان الحرب على محمد لبيب – القوة الثالثة تاريخ القوات الجوية المصرية – ص ١٠٠.

(٣) يذكر أن جاء تحذير سوفيتى لمصر فى الثالثة صباح يوم ٥ يونيه بعدم البدء بإطلاق النيران ! .

غزة نتيجة للتخطيط الإسرائيلي الجيد ،وتخبط القيادة العسكرية المصرية فى ظل قرارات سياسية دفعت الموقف إلى الانفجار[1]

## من عدم الانحياز إلى الانحياز الكامل !

وبعد أن أفاقت مصر من الهزيمة رأت القيادة السياسية المصرية أن الاتحاد السوفيتي وقف يشاهد ماحدث دون تدخل ، نظراً لعدم وجود اتفاق بينه وبين مصر يتيح التدخل بينما إسرائيل تلقى تأييدا كاملاً من حليفتها الولايات المتحدة ، فأدرك الرئيس عبد الناصر أنه لا مفر من الانحياز الكامل للاتحاد السوفييتي لتوريطه معه فى الصراع العربى الإسرائيلي ،وأنه لا جدوى من سياسة عدم الانحياز Non - Alignment بالنسبة لمصر وإسرائيل تلقى التأييد والدعم الكامل من الولايات المتحدة ، وأراد عبد الناصر أن يشرك موسكو فى أزمة الشرق الأوسط وأن يجر قدم السوفييت فى النزاع العربى الإسرائيلى مما يحقق لعبد الناصر أن يرفع مستوى النزاع من المستوى المحلى إلى المستوى الدولى ، وبالفعل تم التحالف Alliance بين مصر والاتحاد السوفييتي وتم الاتفاق بين الرئيس عبد الناصر والسوفييتي على إعادة تسليح الجيش المصرى وأتيحت تسهيلات للأسطول السوفييتي[2] فى مينائى الإسكندرية وبورسعيد ، وطالب السوفييت المصريين بالصبر وحذروهم من مغبة الإقدام على أى مخاطرة عسكرية .

(١) قامت القيادة السياسية فى ١٤ مايو عام ١٩٦٧ ، بإعلان حالة الطوارئ ورفع درجة استعداد القوات المسلحة المصرية إلى الحالة القصوى وبدأت فى اليوم التالى فى حشد قواتها فى سيناء نتيجة للتهديدات الإسرائيلية لسوريا ، كما أعلنت مصر عن سحب قوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة ، كما أصدرت مصر قراراً بإغلاق مدخل خليج العقبة (مضيق تيران) أمام الملاحة الإسرائيلية .

(٢) بهذه الخطوة لم يعد البحر حكراً على الأسطول السادس الأميريكى ، وأصبح للروس وجود بحرى ونفوذ عسكرى يضيق الخناق على الأسطول السادس ، إلا أن موسكو لم تسع أبداً إلى المواجهة العسكرية مع الأسطول السادس الأمريكى ولكنها أرادات حرمانه من كامل الحرية التى كان يتمتع بها .

## التسليح السوفيتى لمصر:

وبدأ الاتحاد السوفييتى بإغداق الأسلحة على الجيش المصرى الذى بدأ يسترد ٧٠٪ من عافيته عام ١٩٦٨[1] ، كما استعانت مصر بمستشارين عسكريين سوفيت لتدريب القوات المسلحة على الأسلحة والمعدات وبدأ الدفاع المصرى فى منطقة القناة يتماسك يوماً بعد يوم واستعادت قواتنا المسلحة كفاءتها القتالية جزئيا فبدأت مصر بتنشيط الجبهة بالدخول فى مرحلة «الدفاع النشط» وبدأت مصر تشن بعض الغارات والكمائن على العدو والاشتباك بالنيران بجانب مناوشات المدفعية على طول الجبهة ثم تطورت هذه المرحلة - حسب تطور التسليح - إلى حرب الاستنزاف والتى بدأت فى ٨ مارس ١٩٦٩ بقصف مدفعى مركز لتحصينات ومواقع العدو على الضفة الشرقية للقناة حتى تحرم إسرائيل من مواصلة استكمال بناء خط بارليف وصعدت مصر من أعمال القتال وزادت فاعلية ضرباتها للقوات الإسرائيلية الأمر الذى دفع إسرائيل على الزج بقواتها الجوية[2] فى حرب الاستنزاف بشن غارات شديدة على العمق المصرى ولم تكن قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية بقادرة على التصدى للقوات الجوية الإسرائيلية نتيجة للسياسة التى اتبعها الاتحاد السوفييتى نحو مصر عقب حرب يونيو ، والتى كانت تقتضى بعدم تزويد مصر بأسلحة هجومية تجعل لها التفوق العسكرى على إسرائيل [3] .

## لقاء القمة فى موسكو ونتائجه الهامة

بدأت غارات[4] العمق الإسرائيلى تزداد كثافة وضراوة وفى سبيل إنقاذ الموقف

(١) صرح الفريق أول محمد فوزى فى فبراير ١٩٦٨ بأن حالة القوات المسلحة المصرية بلغت نسبة ٧٠٪ من حجمها الذى كانت عليه قبل عدوان ٥ يونيو .

(٢) حصل موشيه ديان على موافقة حكومته على دخول سلاح الطيران الإسرائيلى المعركة فى ١٣ يوليو ١٩٦٩.

(٣) المشير الجمسى - مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ - الطبعة الثانية - ص ١٦٧

(٤) كان من أكثر جرائم التاريخ التى لا تغتفر إغارة الطائرات الإسرائيلية على مدرسة بحر البقر حيث استشهد لنا حوالى ثلاثين تلميذاً فى عمر الزهور .

سافر الرئيس عبد الناصر إلى موسكو فى ٢٢ يناير ١٩٧٠ لطب أسلحة ومعدات دفاع جوى أكثر تقدما وتمخض لقاء القمة بين الرئيس عبد الناصر والرئيس بريجنيف عن نتائج خطيرة سياسياً وعسكرياً حيث وافق السوفييت على تزويد مصر بصواريخ سام ٣ لأغراض الدفاع عن عمق مصر، بالإضافة إلى الفنيين السوفييت[١] اللازمين لتشغيلها وتدريب المصريين عليها (كان هذا بداية تزايد الوجود السوفييتى فى مصر ) ،وحتى تصل الأسلحة السوفييتية ومعدات الدفاع الجوى كان لابد من إنشاء التحصينات والمواقع اللازمة للصواريخ ، وبدأت مصر فى بناء حائط الصواريخ تحت القصف الإسرائيلى المتواصل وخلال ليلة ٢٩/ ٣٠ يونية دخلت أولى وحدات الصواريخ ، وبدأت فى عملها بتكبيد خسائر فادحة للطيران الإسرائيلى حيث يقول المشير الجمسى فى مذكراته « وفى صباح ٣٠ يونيو ١٩٧٠ ، فوجئت الطائرات الإسرائيلية بوجود صواريخ الدفاع الجوى المصرى فى مواقعها تكبدها خسائر لم تكن فى الحسبان ».

### مبادرة روجرز:

وبدأ أسبوع ( ١- ٧ يوليه ) التساقط السريع للطائرات الإسرائيلية على جبهة القناة . بفعل صواريخ الدفاع الجوى المصرى وبدأ الحديث فى إسرائيل عن تآكل سلاح الجوى الإسرائيلى وإزاء هذا التصاعد أُرغمت إسرائيل على قبول مبادرة روجرز التى كانت تقضى بإيقاف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل لمدة ثلاث شهور كما وافقت عليها مصر كفرصة لاستكمال المراحل الأخيرة من بناء شبكة الدفاع الجوى وحتى لا تستنزف نفسها هى الأخرى بالاستمرار فى القتال[٢] وبهذا

(١) علق بريجنيف على ذلك قائلاً : « إنها أول مرة يخرج فيها جندى سوفييتى من الاتحاد السوفييتى إلى دولة صديقة منذ الحرب العالمية الثانية »

(٢) برر الرئيس عبد الناصر قبوله للمبادرة التى رفضها بعض العرب بقوله : « إن المضى فى حرب الاستنزاف فى حين إسرائيل تتمتع بتفوق جوى كامل معناه ببساطة أننا نستنزف أنفسنا »

انتهت حرب الاستنزاف فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ «موعد بدء سريان وقف إطلاق النار Cease - Fire بين مصر وإسرائيل بحيث ينتهى فى ٥ نوفمبر ١٩٧٠» بعد أن تركت الجيش المصرى فى وضع دفاعى جيد فى ظل تفوق جوى إسرائيلى وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ رحل الرئيس عبد الناصر بعد قيامه بدور بارز فى إعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، ثم تولى نائبه السادات الحكم ليبدأ عهد جديد فى العلاقات المصرية السوفييتية .

## بداية اتصال السادات بالسوفييت

بعد أن تولى الرئيس السادات الحكم فى ١٧ أكتوبر ١٩٧٠ كان لابد لمصر أن تحدد موقفها من اتفاق وقف إطلاق النار مع إسرائيل حيث كان من المقرر أن ينتهى فى ٥ نوفمبر ١٩٧٠ فقرر الرئيس السادات تمديد فترة وقف إطلاق النار ثلاثة أشهر أخرى بحيث تنتهى فى ٥ فبراير ١٩٧٠ كفرصة لالتقاط الأنفاس فى ظل الظروف الصعبة والحرجة التى تولى فيها المسئولية ، وفى أوائل ١٩٧١ جدد الرئيس السادات الاتفاق بشهر واحد فقط ينتهى فى ٥ مارس ١٩٧١[1] ، وفى بدايات مارس كانت أولى زيارات الرئيس السادات للاتحاد السوفييتى وطالب فيها السوفيت بإكمال اتفاقيتهم مع الرئيس الراحل عبد الناصر خاصة الطائرات بعيدة المدى لتمثل سلاح ردع لهجوم الطائرات الإسرائيلية فى العمق ، وضرورة الإسراع بإرسال بطاريات الصواريخ لتأمين منشآت الصعيد ويروى الرئيس السادات تفاصيل اجتماعه مع القادة السوفييت قائلاً[2] « أثناء اشتباكى معهم فى هذا الاجتماع قالوا : إنهم على استعداد لأن يرسلوا لنا طائرات بالصواريخ ويدربوا عليها المصريين على ألا تستخدم إلا بموافقة الحكومة السوفييتية..عندئذ اشتد غضبى وقلت لهم :

(١) قرر الرئيس السادات رفض تجديد وقف إطلاق النار فى ٧ مارس ١٩٧١ غير أن مصر لم تبدأ بالقتال ، وكذلك فعلت إسرائيل .

(٢) السادات – البحث عن الذات – الطبعة الثالثة – ص ٢٣٣ .

« مفيش قرار فى مصر إلا لى كرئيس لمصر وأنا برفض هذه الطائرات ».

فوعد بريجنيف السادات بإرسال ثلاثين طائرة ميج [1] ٢٥ لمصر لتستخدمها كقاذفات واتفقا على أن تأخذ أوامرها من القيادة المصرية ، غير أن بريجنيف لم يرسل شيئاً منها ، وبدأ السوفييت فى إرسال بطاريات الصواريخ فى أبريل ١٩٧١ .

## السادات يهدد نفوذ السوفييت :

بدأ السادات يتحرك سياسياً ودبلوماسيا وبدا للسوفييت وكأنه يقوض نفوذهم فى المنطقة ، ففى ١٥ أبريل ١٩٧١ كان توقيع الرؤساء السادات والأسد والقذافى لاتفاق إنشاء اتحاد الجمهوريات العربية وكان الاتحاد السوفييتى لا يروقه هذا كما أنه كان دائم القلق من الاشتراكية العربية من أيام الرئيس عبد الناصر ، ثم فاجأ «وليم روجرز» وزير الخارجية الأمريكية الجميع بزيارة إلى مصر فى مطلع شهر مايو ١٩٧١ وهى الزيارة الأولى [2] لوزير الخارجية الأمريكية منذ زيارة «جون فوستر دالاس» فى عام ١٩٥٣ فبدأ السوفييت الشك فى ولاء السادات لهم وأنه قد يغدر بهم إذا ما استجاب له الأمريكان [3] وفشلت مباحثات «روجرز» مع السادات إلا أنها كانت مبعث لفتح قنوات اتصال جديدة مع الأمريكان ، ثم جاءت أحداث عاصفة ١٥ مايو ١٩٧١ وإقصاء «على صبرى» ومجموعة مراكز القوى التى كانت تمثل ركائز رئيسية لنفوذ السوفييت فى مصر .

***

(١) ذكر السادات أنه يوجد منها أربع طائرات فى مصر ولكنها تأخذ أوامرها من موسكو ويعمل عليها طيارون سوفييت وطلب السادات منهم أن يبيعوها له أو تعود إلى موسكو ، فرفض السوفييت بيعها وعادت إلى موسكو .

(٢) تمت هذه الزيارة وكانت العلاقات الدبلوماسية مازالت مقطوعة بين البلدين منذ عام ١٩٦٧ .

(٣) يذكر أن الرئيس عبد الناصر حاول إبان مبادرة روجرز وبعدها أن يفتح طريقاً للحوار مع الأمريكان .

## معاهدة الصداقة مع السوفييت:

أحس السوفيت بالخطر الشديد على نفوذهم فى المنطقة فأسرع «نيكولاى بودجورنى» رئيس هيئة مجلس السوفييت الأعلى إلى القاهرة فى ٢٥ مايو ١٩٧١ وطلب من السادات ضرورة إبرام معاهدة صداقة وتعاون بين البلدين ووافق السادات لبعث الطمأنينة والثقة لديهم وتم توقيع المعاهدة فى ٢٧ مايو ١٩٧١ وكانت مدتها ١٥ عاماً [١] وكان يشير أحد بنودها إلى تقديم الإتحاد السوفييتي لمصر دعماً عسكرياً من الأسلحة، تتيح لها العمل على تحرير أراضيها المحتلة ، «رغم تحفظ القيادة السوفييتية على قيام مصر بعمل عسكري لتحرير الأرض» وكان بودجورنى قد وعد السادات خلال المباحثات بإرسال الأسلحة التى يحتاجها بما فيها سلاح الردع ، وفوجئ الأمريكان بمعاهدة السادات مع السوفييت بعد أن بدأ يتصل بهم ، ولكن السادات أراد ألا يفقد السوفييت كقوى عظمى ومصدر للتسليح مع الاحتفاظ باتصالاته بالأمريكان فلم يهدر الورقة الأمريكية لتيقنه من أهميتها فى المستقبل وعلق الأستاذ «هيكل» على ذلك قائلاً « أنه ربما أراد تحقيق توازن بين مجموعة من القوى فى الداخل والخارج » فأراد السادات أن يأخذ السلاح من الاتحاد السوفييتى والتسوية من أمريكا ، وفرح السوفييت بالمعاهدة واعتبروها ضربة قاضية للأمريكان وعبرت الصحف السوفييتية عن ذلك غير أن فرحتهم لم تكتمل ، ففى يوليو ١٩٧١ حدث الانقلاب الشيوعى فى السودان ضد الرئيس جعفر النميرى ، فندد السادات بهذا الانقلاب وساند ودعم الرئيس جعفر النميرى [٢] الذى قتل الشيوعيين السودانيين الذين فشلوا فى الإطاحة به ، وكان السادات قلق من انتشار الخطر الشيوعى فى المنطقة واللعبة السوفييتية لعمل

---

(١) ذكر الأستاذ هيكل أن اعتراضه على المعاهدة كان سبباً فى تقليص مدتها إلى ١٥ عاماً بعد أن كانت مدتها المقترحة ٢٠ عاماً .

(٢) استولى جعفر النميرى على الحكم فى السودان إثر انقلاب قام به فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ .

الأحزاب الشيوعية العربية لذا لم يتردد السادات فى مساندة النميرى ضد الشيوعيين حتى لا يقوم حكم شيوعى على حدوده ممكن أن يصدره الشيوعيون إلى مصر .

## التسويف السوفييتى فى التسليح

غضب السوفييت من موقف السادات المعادى لسياستهم فى منطقة الشرق الأوسط فانقضى يوليو وأغسطس وسبتمبر دون أى رد من السوفييت بشأن الأسلحة حتى وافقوا على استقباله أخيراً فى موسكو ١١ أكتوبر ١٩٧١ وكان السادات قد أعلن فى خطابه أمام المؤتمر القومى للإتحاد الاشتراكي فى ذكرى ثورة يوليو أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم لذا طالبهم السادات بضرورة إرسال الأسلحة بأسرع ما يمكن حتى يتمكن من تحريك الموقف قبل نهاية السنة التى أعلنها أنها «سنة الحسم» ووعد السوفييت السادات بتلبية مطالبه من الأسلحة ، وكان «الفريق صادق» وزير الحربية قد سافر على رأس وفد عسكرى إلى موسكو لعرض قائمة الأسلحة التى يحتاجها الجيش وعاد يوم ١٦ أكتوبر ومعه اتفاق من موسكو على توريد الأسلحة المطلوبة وانقضى أكتوبر ونوفمبر ولم يرسل السوفييت شيئًا، ثم جاء ديسمبر بأحداث الحرب فى شبه القارة الهندية بين الهند وباكستان «خلال الفترة من ٣ – ١٦ ديسمبر» حيث تدخلت الهند لفصل الإقليم الشرقى من باكستان وانشغال السوفيت بمساعدة الهند[١] فى حربها مع باكستان التى انتهت بانتصار الهند واستقلال باكستان الشرقية تحت اسم بنجلاديش[٢] ومرت السنة دون حسم وكما يقول الفريق «سعد الشاذلى» فى مذكراته « كان واضحاً أنهم لا يشجعوننا على القيام بالهجوم قبل نهاية عام ٧١ » فاشتعل الموقف فى مصر وقام طلبة الجامعات

(١) كانت سياسة الاتحاد السوفييتى تقوم على مساعدة الهند بجانب علاقات قوية مع الصومال للسيطرة على المحيط الهندى كدولتين يسيطران على شواطئ المحيط الهندى فى إطار السياسة العامة لتوازن القوى .

(٢) خاضت محاولات الاستقلال عن باكستان منذ ١٩٦٦ واستمرت حتى استقلت عن باكستان في ١٦ ديسمبر ١٩٧١.

بمظاهرات تندد بسياسة الاتحاد السوفييتى وتطالب بالحرب مع إسرائيل فى يناير ١٩٧٢ وكان الشعور باليأس قد مزقهم كما هاجم الفريق «صادق» وزير الحربية الاتحاد السوفييتى لأنهم لم يوردوا الأسلحة المطلوبة حتى الآن وأنهم يحولون دون رغبتنا فى الهجوم ، كما ينشرون شائعات مسمومة بين الضباط بأن القوات المسلحة لديها الأسلحة الكافية ولكن كبار القادة لا يرغبون فى القتال ، وعلى الجانب الآخر كانت المعركة الانتخابية تسيطر على تفكير الرئيس «نيكسون» ولكسب الرأى العام اليهودى كقاعدة شعبية هامة فى الولايات المتحدة سارع إلى إرضاء إسرائيل فأصدر تعليماته إلى «روجرز» وزير خارجيته بتجميد أى مبادرة أو تحرك لحل قضية الشرق الأوسط ، وتزويد إسرائيل بالمزيد من السلاح والعتاد ، وأعلن روجرز أيضاً أن أمريكا قد دخلت منذ نوفمبر ١٩٧١ فى تصنيع الأسلحة مع إسرائيل وأن أمريكا ستحتفظ بالتفوق لإسرائيل على سائر العرب ، وفى ٢ فبراير ١٩٧٢ توصلت إسرائيل لتوقيع اتفاق مع الولايات المتحدة حصلت إسرائيل بموجبه على ٤٢ طائرة فانتوم و ٨٢ طائرة سكاى هوك[1] ، كما تعهدت الولايات المتحدة لإسرائيل بأنها لن تتقدم بأى مبادرة سياسية قادمة فى الشرق الأوسط قبل مناقشتها مع إسرائيل وكان هذا التعهد الأمريكى أكثر الأمور خطورة على قضية الصراع العربى الإسرائيلى لأن الموقف الأمريكى أصبح رهينة للسياسة الإسرائيلية ، وفى مواجهة هذا الموقف سافر السادات إلى موسكو فى ٢فبراير ١٩٧٢وكالعادة لم تسفر عن شىء سوى أن السوفييت أكدوا التزامهم باتفاقية أكتوبر ١٩٧١ لتوريد الأسلحة ، ثم سافر الرئيس السادات بناء على طلب السوفييت إلى موسكو فى ٢٧أبريل ١٩٧١ واتفق معهم على أن يوردوا الأسلحة المتأخرة التى تم التعاقد عليها بعد زيارة الرئيس نيكسون لهم المقرر أن تكون فى ٢٠ مايو ١٩٧٢ وذلك خلال خمسة شهور أى من يونيو إلى أكتوبر ١٩٧٢ ميعاد الانتخابات فى الولايات المتحدة وذلك ليكون

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ١٩٩ .

الجيش مستعدًا فى نوفمبر ١٩٧٢ بعد انتخاب الرئيس الأمريكى فإذا لم يكن هناك حل سلمى عن طرق الرئيس المنتخب نكون مستعدين للتحرك عسكرياً.

## الوفاق الدولى واللاسلم واللاحرب

فى ١٥ مايو ١٩٧٢ حضر المارشال «جريتشكو» إلى القاهرة ، معه «كوتاكوف» قائد القوات الجوية السوفييتية وجرى استعراض جوى بحضورهم هم والرئيس السادات للطائرة ميج ٢٥ والطائرة سوخوى ١٧ التى طلب «جريتشكو» من السادات أن يعلنها كطائرة قاذفة بعيدة المدى تمتلكها مصر رغم أنها كما يقول الفريق الشاذلى فى مذكراته « كما أن الطائرة سو ١٧ لا يمكن اعتبارها بأى حال من الأحوال طائرة قاذفة مقاتلة بعيدة المدى »! ورغم ذلك أيضاً وافق السادات على إعلان ما أراده القادة السوفيت بل ومنحهم النياشين وكان السادات دائم التغطية لمواقف السوفيت ويعلن أن الإتحاد السوفييتى هو صديقه الوحيد رغبة منه فى الاحتفاظ بالدعم السوفييتى العسكرى وطمأنة السوفيت من ناحيته وكان لهذا الإعلان عن الطائرة بهذا الوصف أهميته بالنسبة للسوفييت قبل قمتهم المرتقبة بعد ذلك بأيام مع الرئيس نيكسون فى موسكو وذلك لاستعراض نفوذهم فى الشرق الأوسط كدولة عظمى وهو ما وعاه السادات جيداً وسايرهم فى هدفهم لعل السوفييت يصلون مع الأمريكان إلى حل يحقق تقدما فى قضية الشرق الأوسط ، ولكن جاءت نتائج قمة موسكو «فى الفترة من ٢٢ مايو إلى ٣٠ مايو ١٩٧٢» مخيبة للآمال حيث اتفقت الدولتان العظميان على تجميد الموقف فى الشرق الأوسط والاسترخاء العسكرى Military Relexation فى المنطقة فيما عرف بسياسة الوفاق الدولى وهذا يعنى استمرار الوضع كما هو عليه الذى بلا شك يخدم المصالح الإسرائيلية ويضر بمصالح الدول العربية المحتلة وهو ما عبرت عنه جولدا مائير بقولها « إننا لم نكن فى يوم من الأيام أحسن حالاً مما نحن الآن ، فالوضع القائم هو أكثر الأوضاع ملائمة لأمن إسرائيل؛ لأن العرب لا يملكون الخيار العسكرى »

وبالطبع كان ذلك يمثل صدمة للرئيس السادات وإن كان متوقعا ذلك وبهذا رأى السادات أن الاتحاد السوفييتى تخلى عن مبادئه مقابل المصالح والمكاسب التى سيحصل عليها من جراء تطبيع علاقاته مع أمريكا .

## قرار طرد السوفيت

كانت نتائج قمة موسكو ثم التحليل السوفييتى لنتائج القمة الذى يعنى عدم إمكانية إحراز أى تقدم فى الشرق الأوسط مما يعنى زيادة إحجام السوفيت عن إمداد مصر بأسلحة هجومية متطورة حتى لا تخرج قضية الشرق الأوسط عن المسار الذى رسمته سياسة الوفاق ، وكانت مصر قد حاولت كفرصة أخيرة خلال شهر يونية الاتصال بالقوتين العظميين لمعرفة موقفهما النهائى من القضية ولكن دون جدوى فالسوفيت مازالوا معارضين لشن الحرب إلى جانب تلكؤهم فى إمدادنا بالسلاح الهجومى بجانب موقف أمريكا الداعم لموقف إسرائيل فكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى غير راغبتين فى حدوث أى نزاع فى المنطقة من شأنه أن يطور الموقف إلى تورطهما فيه بمواجهة مباشرة بينهما ، ورأى السادات أن الوجود السوفييتى فى مصر فقد مبرر بقائه فكان قرار السادات بطرد الخبراء السوفيت والذي أخطر به السفير السوفييتي في ٨ يوليه ١٩٧٢ ، محدداً يوم ١٧ يوليه كحد أقصى للمغادرة ، غير أن القرار لم يتعرض لمعاهدة الصداقة بينهما واعتبار القرار لا يعنى إنهاء العلاقة بينهما ، وقد بنى السادات استراتيجية قراره على عدة اعتبارات أهمها :

- موقف الاتحاد السوفييتى المتعنت من إمدادنا بالأسلحة التى نحتاجها.
- ألا تبدأ المعركة وعلى أرض مصر خبراء سوفييت .
- الحد من تغلغل النفوذ السوفييتى فى مصر والذى اقترب من شكل النفوذ البريطانى فى مصر وقت احتلالها[1] وتحديد دوره كدولة صديقة تمدنا بالسلاح

(١) وصف الأستاذ هيكل المعاهدة المصرية السوفييتية بأنها تشبه المعاهدة المصرية – البريطانية سنة ١٩٣٦ .

وتساندنا إلى حد ما سياسياً لا أكثر من ذلك .

- لن يسمح السوفييت لمصر ببدء الحرب حتى لا يتورط فى مواجهة مع الولايات المتحدة حيث كان من الصعب فى ظل الوجود السوفييتى القيام بحرب دون إذن من السوفييت وذلك حسب بنود المعاهدة بينهما .

- الضغوط النفسية[1] التى يمارسها الخبراء السوفيت المنتشرين فى تشكيلات ووحدات القوات المسلحة من خلال محاولة نشر حالة من اليأس والإحباط وخلق شعور فى القوات المسلحة بالعجز عن القيام بعمل عسكرى حاسم ضد القوات الإسرائيلية وتحصيناتها وخطوطها المنيعة المقامة شرق قناة السويس .

- تدهور الثقة بين القادة المصريين والمستشارين السوفييت ووضح ذلك من إخفاء القادة المصريين خطة «المآذن العالية»[2] وهى خطة العبور عن المستشارين السوفييت وإطلاعهم فقط على خطة «العملية ٤١» والتى تهدف إلى الوصول إلى المضايق حتى يعرفوا نوعية السلاح التى نحتاجه فى هذه المرحلة ورغم ذلك لم يمدنا السوفييت بهذه الأسلحة .

- شعور جميع القادة العسكريين المصريين بالنفور من سياسة الاتحاد السوفييتى فى التسليح وفى ذلك يقول المشير الجمسى « أصبحنا نشعر داخل القوات المسلحة بصفة عامة ، وعلى مستوى القيادة بصفة خاصة بأن الاتحاد السوفييتى لا يشجع دخولنا الحرب ضد إسرائيل ، وبالتالى فإن إمداده لنا بالأسلحة من حيث الأنواع والكميات وتوقيتات التوريد تخضع لنظرته السياسية لحل مشكلة الشرق الأوسط التى تتعارض مع نظرتنا لها سياسياً وعسكرياً » .

ورغم أن قرار طرد الخبراء السوفييت كان له تأثيره على استعداد وكفاءة القوات المسلحة من وجهة نظر بعض القادة العسكريين إلا أنه كانت له آثاره الإيجابية بعد

(١) طه المجدوب – حرب أكتوبر طريق السلام – ص ٣٧ .

(٢) سميت كذلك تيمنا بالأذان الذى سمع وقت الانتهاء من إعدادها.

ذلك التى أثبتت صحته وبعد نظر الرئيس السادات ، حيث تمثلت إيجابيات القرار فى :

- حلل السوفييت والغرب وإسرائيل طرد الخبراء السوفيت بأن مصر لن تدخل الحرب لأن طرد الخبراء سيؤثر على تدريب القوات وكفاءتهم وذلك كان عاملاً مهمًا فى خطة التمويه الإستراتيجية التى تبنتها القيادة المصرية .
- لو كان الوجود السوفييتى فى مصر ظل قائماً أثناء قيام حرب أكتوبر لنُسب إليه فضل العبور وبراعة التخطيط وما صدق العالم أن الجندى المصرى وحده الذى شوهت صورته فى هزيمة ٦٧ فى عيون العالم استطاع العبور وتحطيم أسطورة خط بارليف خاصة وأن ديان علق على الحرب فى مذكراته قائلاً : « لو لم أكن متأكداً أنه لم يبق خبير سوفييتى فى مصر ، لقلت أننا نحارب روسيا نفسها » لذا كان مفيداً للغاية أن نخوض الحرب تخطيطاً وتنفيذاً بحيث تكون مصرية ١٠٠٪ كما يقول المشير الجمسى .
- بقاء السوفييت فى مصر كحليف عسكرى أثناء قيام الحرب سيشجع الولايات المتحدة أن تنزل بكل ثقلها مساندة لإسرائيل من بداية القتال وستكتسب شرعية لذلك لموازنة الوجود السوفييتى مما سيشكل عبئا شديداً على المصريين من بداية المعركة ، ولكن حينما يقوم هجوم مصرى بحت والسوفييت خارج مصر سيدفع الولايات المتحدة إلى التريث نوعا ما، وهو ماحدث بالفعل فى الأيام الأولى للحرب حيث لم تقم الولايات المتحدة بالجسر الجوى لإسرائيل إلا بعد مرور أسبوع على بدء القتال كانت فيه القوات المصرية قد قامت بتنفيذ مهامها المباشرة والمرحلة الأولى الأهم فى الخطة، وذلك رداً على الجسر الجوى السوفييتى لمصر الذى بدأ بعد ٣ أيام من بدء القتال مع اعتبار الفارق بين الجسرين .
- كان السادات يدرك أن السوفييت سيظلون حريصين على علاقتهم مع مصر رغم قراره بطرد الخبراء لأن مصلحتهم تقتضى ذلك فمن العسير أن يخسروا مصر بما

لها من ثقل هام فى منطقة نفوذهم وأن فقدانها لا يمكن تعويضه بأى دولة أخرى حيث أن الروس حظوا لأول مرة باعتراف أمريكا بوجود مصالح للاتحاد السوفييتى فى الشرق الأوسط وأن على كل طرف احترام وجود الآخر فى المنطقة وذلك فى قمة موسكو ولذلك سيحرص السوفيت على إبقاء العلاقات مع مصر بل ستزداد مساندتهم لمصر وبالتالى كان قرار السادات وسيلة هامة للضغط عليهم وبالفعل بدأت تحدث انفراجة فى صفقات الأسلحة مع الاتحاد السوفييتى وظهر ذلك جلياً فى رحلة الدكتور عزيز صدقى الناجحة إلى موسكو فى ١٢ أكتوبر ١٩٧٢ كذلك صفقة مارس ١٩٧٣ التى عقدها وزير الحربية أحمد إسماعيل وشملت أسلحة متقدمة لم يسبق إمدادنا بها من السوفييت .

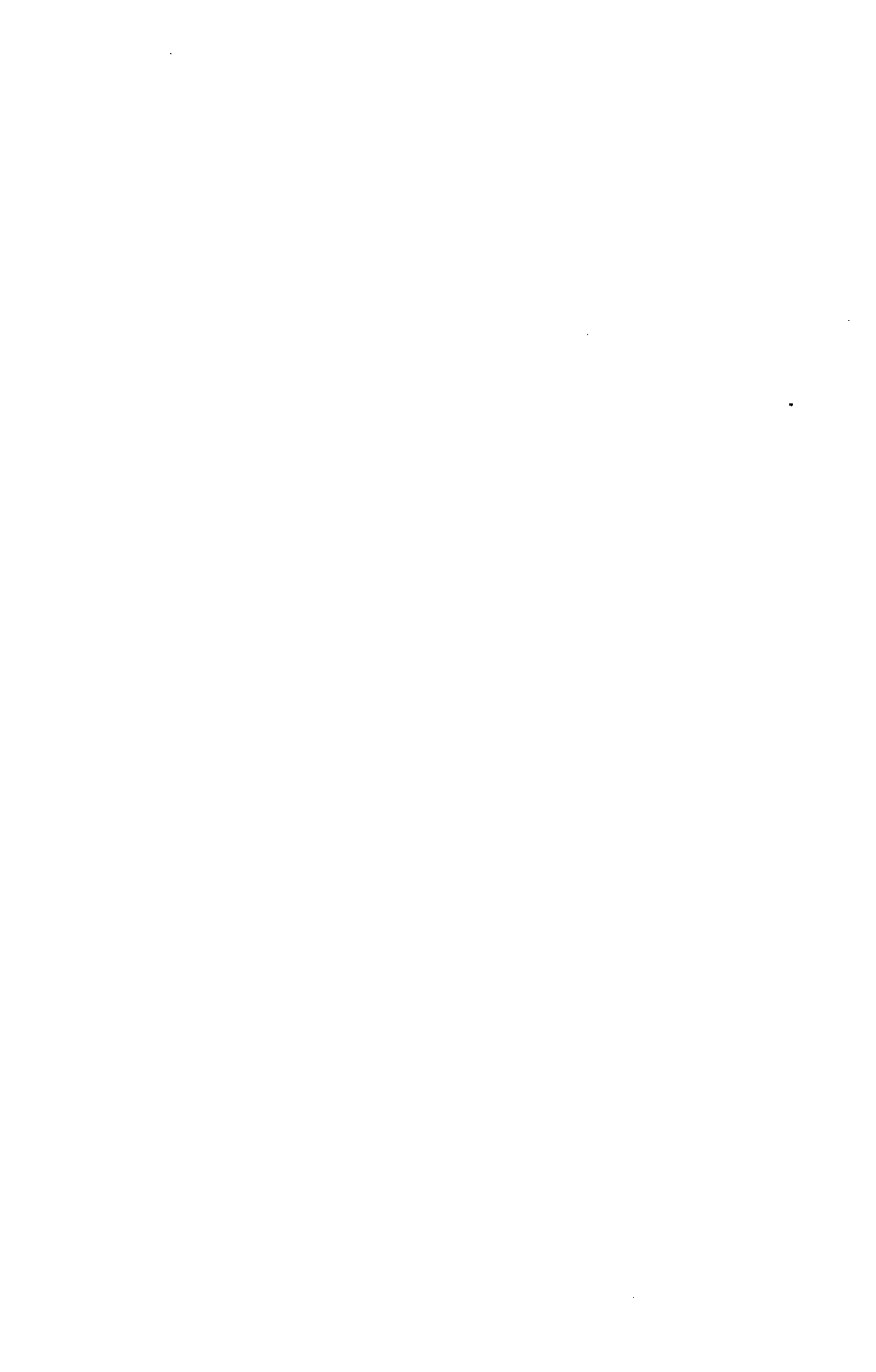
وكان السيد «إسماعيل فهمى» وزير خارجية مصر الأسبق والذى كان معترضاً على قرار السادات بطرد الخبراء السوفيت قد اعترف فيما بعد فى كتابه «التفاوض من أجل السلام في الشرق الأوسط» بصحة قرار السادات حيث ذكر فى كتابه أن القرار كان له نتائج إيجابية على المدى الطويل بدليل أن بعد القرار بشهور قليلة أصبح الفريق أحمد إسماعيل وزيراً للدفاع و رأس وفداً بصفته هذه إلى موسكو في مارس ١٩٧٣ و نجح في الإتفاق بشأن صفقة أسلحة كبيرة. و كان من الواضح أن السوفييت فهموا ما تقصده مصر من أنه لا يمكنهم الاستخفاف بها و أنه يتعين عليهم أن يقوموا بأعمال إيجابية للمحافظة على العلاقات الطيبة معها. و على الرغم من أن الثلث فقط من الأسلحة التي وعدوا بها سُلِّمَ بالفعل فإن هذا كان كافياً لمصر لتشن حرباً ضد إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣، كما أنه لو ظلّ السوفييت يعملون مع الجيش المصري حتى الحرب فإن ما حققناه من نصر سوف ينسب إليهم بكل تأكيد .

ورغم تحسن العلاقات تدريجيا بعد قرار طرد الخبراء السوفييت إلا أن ذلك لم يزل جدار الشك المتبادل بين السادات والسوفييت ، وبالطبع ليس هناك شك فى أن القرار كان يمثل هزيمة سياسة للاتحاد السوفييتى ومكسبًا سياسيًا للولايات المتحدة

فى إطار نظرية توازن القوى الدولية Balance of Power ، وقد علق البعض على قرار السادات بشأن السوفيت بقولهم أن السادات كان يجب عليه أن يساوم الأمريكان بهذا القرار قبل اتخاذه للحصول منهم على أى خطوة إيجابية نحو القضية العربية فى مقابل إنهائه للوجود السوفييتى فى مصر وانه بذلك قدم لهم هدية جاهزة بدون أن يأخذ المقابل واستندوا فى ذلك على قول «كيسنجر» بعد القرار « ليس من مهمة الولايات المتحدة أن تتطوع بدفع ثمن شىء تم تقديمه لها مجانا ولم يشترط عليها أحد دفعه ، فالسياسة لا تعرف الأخلاقيات » ولكنى من وجهة نظرى المتواضعة لا أرى أن الأمريكان كان فى نيتهم عمل شىء فى هذا الوقت خاصة وأنهم أعلنوا أكثر من مرة فى هذا الوقت أثناء طرح العديد من المبادرات السلمية أنهم لا يملكون ضغطا على إسرائيل فهى دولة بحوزتها أراضٍ ولها أن تفرض شروطها كدولة منتصرة فما الذى يدعو إسرائيل إلى التنازل عن شىء فى ظل عدم وجود ضغوط أو أى تحرك من دول المواجهة من شأنه أن يغير الوضع القائم كالقيام بحرب مثلاً حتى وإن قامت أمريكا بخطوة إيجابية فإنها ستسعى إلى حل مجحف للعرب الذين يقفون فى موقف ضعف الآن أمام إسرائيل المنتصرة ، كما أن «كيسنجر» نفسه اعترف فى مذكراته على أنه لم يفهم فى البداية سياسة السادات فيما يخص إبعاد الخبراء السوفييت ، ولكنه يعتقد بأن ذلك كان دليلاً على ذكائه وخياله الذى لم يكن أحد يتصوره . وقبل اندلاع حرب أكتوبر بثلاثة أيام ( ٣ أكتوبر ١٩٧٣ ) استدعى السادات السفير السوفييتى وأخبره أن مصر ستدخل عملية عسكرية من أجل إنهاء حالة اللاسلم واللاحرب ومعرفة موقف الاتحاد السوفييتى من ذلك ، وفى اليوم التالى مباشرة جاء السفير السوفيتى برسالة عاجلة من السوفيت بطلب موافقة السادات على ترحيل الرعايا السوفيت يوم الجمعة ٥ أكتوبر حيث سترسل الحكومة السوفيتية أربع طائرات نقل كبيرة لنقلهم وبالطبع كان الرئيس السادات مستاء من هذا التصرف السوفييتى وأثناء الحرب لم يرض السادات عن الجسر

الجوى السوفييتي التى أرسلته لمصر وسوريا خاصة وأنه قارن بينه وبين الجسر الجوى الأمريكى لإسرائيل كما وكيفا إلا أن هذا لم يمنعه من أن يعلن للسوفيت أنه انتصر بالسلاح السوفييتي ، ولم يرض السادات أيضا عن دور السوفييت بعد ذلك فى مباحثات السلام فقد اتجه غربا إلى الأمريكان متيقنا بأن مفتاح حل مشكلة الشرق الأوسط فى أيديهم وأنهى السادات معاهدة الصداقة مع السوفييت فى مارس ١٩٧٦ فقد كان يؤمن أن الاتحاد السوفييتي سينهار مستقبلا وأن الولايات المتحدة ستبقى هى الدولة العظمى المهيمنة على منطقة الشرق الأوسط وهو ما حدث بالفعل وكأنه كان يرى بالأمس ما يحدث اليوم .





# الفصل الخامس

# السادات وحرب أكتوبر





**« ربما جاء يوم نجلس فيه معاً لا لكي نتفاخر ونتباهى ، ولكن لكي نتذكر وندرس ونعلم أولادنا وأحفادنا جيلاً بعد جيل ، قصة الكفاح ومشاقه، ومرارة الهزيمة وآلامها ، وحلاوة النصر وآماله »**

« الرئيس السادات »

ستظل حرب أكتوبر أنصع صفحات التاريخ المصرى على مر العصور ، وسنظل مدينين لأبطال هذا النصر الذين ثأروا لكرامتنا التى أهدرت على رمال سيناء فى نكسة يونيو ١٩٧٦ . جاءت حرب أكتوبر بثورة استراتيجية قلبت مفاهيم الحرب التقليدية وغير التقليدية كما هدمت نظريات وغيرت نظريات أخرى في البر والبحر والجو فهى كما يقول العسكريون « حرب محدودة ولكنها كثيفة وهى حرب طويلة ولكن بدايتها خاطفة .. حرب طيران حسمتها الصواريخ وحرب دبابات انتصرت فيها المشاة وهى حرب التقنية المتقدمة التى واجهتها القوى البشرية لأول مرة » . لقد امتد تأثير الحرب على السياسة العالمية ، والإقليمية ، والاقتصاد العالمي ، والإقليمي ، ومازالت نتائجها تؤثر فى المنطقة حتى الآن فلم تكن حرب أكتوبر حربًا عادية لقد كانت ملحمة وطنية وعلامة بارزة ونقطة تحول فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى ومهما أوغلت الأقلام فى صدر هذا الإنجاز ومهما حاولوا تدنيس هذا الإنجاز فلن يستطيعوا اجتثاث جذوره وأمجاده التى أشبعت نفوس المصريين عزة وكرامة على مر الأجيال والتى نستلهم روحها فى كل لحظة لننهض بمصرنا الغالية من كل الكبوات .

عندما يكون الإنجاز عظيماً وخالداً فإنه يبهر البعض، ويوغر الأحقاد فى صدور البعض الآخر ، وفى كل مرة ونحن نحتفى بنصر أكتوبر المجيد نجد بعض الأقلام تحاول دون كلل تشويه هذا النصر وتشويه قائده البطل أنور السادات أو سلب النصر منه متذرعة بأنها تتناول الحرب بموضوعية بهدف الوصول إلى الحقيقة !

والحقيقة أن كل قلم يهرول إلى تلك الحقيقة الزائفة، إنما ينفث حبره من حقد يعانيه على بطل قرار العبور أو من جهل يعانيه عن التاريخ أو من تعمد سافر على تشويه تاريخنا فى وجدان شبابنا وبدل من أن يعتزوا بالنصر ونتائجه ينفرون منه وبدل من أن يعلنوا للعالم أنهم المصريين أصحاب أقدم حضارة وأعظم تاريخ يتوجسون خيفة من ذلك ! إن الحقيقة هى التى شهد بها العدو والصديق وهى ما نسجته الإرادة المصرية على منوال الأحداث ، إن التاريخ لا يتوقف عند الصغائر وإذا سعى البعض لتصيد الأخطاء لهذا النصر فإنها لن تنال من عظمة الإنجاز للمصريين فى هذه الحرب ، وإذا كانت العبرة بالنتائج فقد عادت لنا سيناء الحبيبة كاملة . وعندما يهاجم النصر أقلام غير مصرية فذلك هو قدر الشجرة المثمرة أن تُقذف بحموم حاقديها وحاسيدها أما مايؤلمنى حقًا أن أقلاما مصرية تفعل نفس الفعلة مهاجمة للنصر ونتائجه ولقائده الذى هو رمز من رموز النصر ! وإن رأوا أنه لامناص من الاعتراف بالنصر نسبوه لغير أهله . إن أسئلتهم المثارة حول حرب أكتوبر لا تهدف الوصول إلى الحقيقة والاستفادة من دروسها ولكن الحقيقة أن تلك التساؤلات بتلميحاتها السخيفة تهدف إلى إهالة التراب على الإنجاز وتصوير قائده بالخائن فى عيون المصريين لتتبدل معايير النصر والوطنية عند الأجيال ليروا الهزيمة نصراً والنصر هزيمة وليروا الخائن بطلاً والبطل خائناً ! إنهم يعبثون بالتاريخ ويصورونه فى صورة أخرى والحقيقة أن الكثير من مؤرخينا وكتابنا قد تصدوا بكل جهدهم لتلك الحملة المغرضة، فنجد على سبيل المثال لا الحصر كتاب « تاريخ مصر والمزورون » للمؤرخ الدكتور عبد العظيم رمضان ، « تاريخ ليس للبيع » للأستاذ رجب البنا ، ومن حق التاريخ علينا كمصريين أن ندافع عن تاريخنا وزعمائنا دون كلل كما تهاجم أقلامهم دون كلل أيضا ولكن دون مبالغة كذلك فإن تاريخنا لا يحتاج إلى من يمجده فإن مجرد روايته كما هو على حقيقته كفيلة بذلك ؛ لذا سأحاول قدر الإمكان فى هذا الفصل تفنيد فرياتهم حول حرب أكتوبر وزعيمها البطل أنور

السادات قدر استطاعتى ورغم أننا نحاول أن نركز على الناحية السياسية ؛ وذلك لأننا بصدد تناول الرئيس السادات رأس القيادة السياسية إلا أن طبيعة الموضوع تجبرنا على التعرض كثيراً للناحية العسكرية فى أغلب الأحيان خاصة وأن أغلب الاتهامات التى وجهت إلى سياسة السادات فى حرب أكتوبر تتعلق بقراراته السياسية التى أضاعت – من وجهة نظرهم – ثمار النصر العسكرى ولن نتعرض بشكل تفصيلى للناحية العسكرية إلا فيما يخدم السياق باعتبار القادة العسكريين أفضل منا فى عرض ذلك مستهدفاً من ذلك الحقيقة دون مبالغة مسرفة أو حماسة طائشة راجياً ألا تقع عقول شبابنا فريسة لتلك الأقلام وأن يعتزوا بنصرهم ويضعوا أبطاله فى منزلتهم المستحقة .

## حرب أكتوبر استعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً تكتب لعهد السادات

إن إعادة بناء القوات المسلحة بعد حرب يونيو إنجاز يحسب للرئيس عبد الناصر ويكتب تاريخيا لعهده ، أما حرب أكتوبر استعداداً وتخطيطاً وتنفيذاً إنجاز وفضل يكتب لعهد الرئيس السادات ، إذن لماذا نشوه الحقائق ونضفى فضلاً لزعيم على حساب زعيم آخر فى حين أن كل منهم أدى واجبه الوطنى كاملاً تجاه بلده . إن البعض نسب خطة حرب أكتوبر لعهد الرئيس عبد الناصر وكأنهم رأوا ضآلة فى انجاز عبد الناصر بإعادة بنائه للقوات المسلحة فأرادوا أن يضيفوا له إنجاز الحرب ! أو أنهم رأوا كبر الإنجاز على شخصية مثل السادات فأرادوا سحب بساط المجد من تحت قدميه ! هل كان فى اعتقادهم أن الرئيس السادات كانت أمامه خطة جاهزة وقوات على أهبة الاستعداد تدريباً وتسليحاً ولكنه انتظر ثلاث سنوات كاملة ليختبر مدى صبر شعبه عليه ! .

لم تكن لدى مصر بعد وفاة الرئيس عبد الناصر سوى خطة دفاعية هى «الخطة ٢٠٠» ، والخطة «جرانيت» وهى خطة ليست هجومية بالمعنى الشامل فقد كانت

تشمل مجرد القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو فى سيناء[1] ، وذكر الفريق أول «محمد فوزى» والذى نشهد له بدور بارز فى إعداد القوات المسلحة فى مرحلة ما بعد العدوان ، ذكر فى مذكراته أن «الخطة ٢٠٠» هى خطة هجومية شاملة لتحرير الأرض والوصول إلى الحدود الشرقية لمصر ! ، وأن الخطة «جرانيت» هى المرحلة الأولى من الخطة «الخطة ٢٠٠» ، للوصول إلى خط المضايق الجبلية شرق القناة وأن القوات المصرية كانت «مستعدة» لتنفيذ تلك الخطط عقب انتهاء فترة وقف إطلاق النار «مبادرة روجرز» فى ٥نوفمبر ١٩٧٠ ! وأن الرئيس عبد الناصر قد صدق عليها «شفوياً» فى أغسطس ١٩٧٠ ، وعلل الفريق «فوزى» سبب حصوله على تصديق شفهى من الرئيس عبد الناصر على تنفيذ الخطة «الخطة ٢٠٠» دون دراسة وبحث ومناقشة لتفاصيل الخطة من عبد الناصر لأنه كان مشغولاً بزيارة الوفد الليبى له بقيادة الرئيس «معمر القذافى» ولم يتمكن الفريق «فوزى» من الانفراد به خلال الأربعة أيام التى قضاها معه هناك ! ثم تصاعد الموقف فى عمّان على أثر الصدام بين «الملك حسين» والفلسطينيين ، ثم حالت وفاة الرئيس عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ دون استمرار التخطيط الزمنى لبدء معركة التحرير !.
استغل البعض هذا التصريح من جانب الفريق «فوزى» ليعلنوا أن حرب أكتوبر كانت من إعداد الرئيس الراحل عبد الناصر وأن وفاته حالت دون تنفيذها فى وقتها وأن الرئيس السادات أجل الحرب عن موعدها ثلاث سنوات استطاعت فيها إسرائيل تدعيم قوتها وموقفها فى سيناء خاصة وأن القوات المصرية كانت مستعدة فى سبتمبر ١٩٧٠ كما قال الفريق «فوزى» وبذلك يسلبون الرئيس السادات من أى دور فى حرب أكتوبر بل يتهمونه بتأخير الحرب ، وبالطبع فإن هذا الكلام عار تماماً من الصحة وأن قصة الفريق «فوزى» عن «الخطة ٢٠٠» وإمكانياتها غير قابلة للتصديق بالمرة ؛ فالفريق «فوزى» لم يشاركه أى قائد أخر فيما قاله سواء فى مذكراته

(١) سعد الدين الشاذلى - حرب أكتوبر ( مذكرات ) - ص ١٤ .

أو فى تصريحاته ، فيقول المشير «الجمسى» عن «الخطة ٢٠٠» فى مذكراته عن حرب أكتوبر « لقد ظهر اسم هذه الخطة والغرض منها فى مذكرات أحد القادة العسكريين المصريين السابقين ( يقصد الفريق فوزى بالتأكيد ) ... وسوف يسجل التاريخ أيضاً أن «الخطة ٢٠٠» كانت «خطة دفاعية» عن منطقة قناة السويس ، وضعت بعد حرب يونيو ١٩٦٧ ، واشتركت فى وضعها عندما كنت أعمل رئيساً لأركان جبهة قناة السويس فى ذلك الوقت ، ووثائقها موجودة فى وزارة الدفاع » ،كما زعم الفريق «فوزي» أن الرئيس السادات فى منزله بالجيزة يومى ٢٩ أبريل و ٩ مايو ١٩٧١ أصدرت له التوجيهات النهائية لعمليات تحرير سيناء كما حدد يوم بدء المعركة ، كما أشار الفريق «فوزي» فى مذكراته أنه اشترك مع الفريق «محمد صادق» رئيس الأركان فى كتابة وثيقة تحرير سيناء ولكن السادات رفض التوقيع عليها عندما عرضت عليه . ومما ينفى صحة هذه الرواية هو أن الفريق «صادق» نفى هذه الواقعة تماماً ونفى اشتراكه مع الفريق «فوزى» فى كتابة وثيقة خاصة بالمعركة ، كما يقول اللواء «جمال حماد» فى كتابه «المعارك الحربية على الجبهة المصرية».« إن الوثيقة التى أكد الفريق فوزى أنها كانت تتضمن تنفيذ الخطة جرانيت أي الوصول إلى المضايق ، اتضح عند عثورنا عليها أن كل ماكانت تتضمنه هو مجرد القيام بعمليات محدودة ابتداءاً من الأسبوع الأول من شهر يونيو ٧١ ، وهى عمليات تماثل إلى حد كبير العمليات التى تم التدرج إليها فى نهاية حرب الاستنزاف قبل أن تتوقف فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ على أثر مبادرة روجرز ، أى أنه لا توجد ضمن هذه الوثيقة أى عبارة تشير إلى تحرير الأرض أو إلى الخطة جرانيت أو الوصول إلى منطقة المضايق ».

كما تؤكد أقوال الفريق «الشاذلى» فى مذكراته عن حرب أكتوبر أثناء توليه رئاسة أركان حرب القوات المسلحة المصرية فى ١٦ مايو ١٩٧١ ما يقلب أقوال الفريق «فوزي» رأساً على عقب وينفى صحتها تماماً ، حيث أورد الفريق «الشاذلى» فى صدر مذكراته نتائج دراسته عن إمكانيات القوات المسلحة فى ذلك الوقت فيقول «

عندما عينت رئيساً لأركان حرب القوات المسلحة المصرية فى ١٦ مايو ١٩٧١ ، لم تكن هناك خطة هجومية ، وإنما كانت لدينا خطة دفاعية تسمى «الخطة ٢٠٠» ، وكانت هناك أيضاً خطة تعرضية أخرى تشمل القيام ببعض الغارات بالقوات على مواقع العدو فى سيناء ولكنها لم تكن فى المستوى الذى يسمح لنا بأن نطلق عليها خطة هجومية ، وكانت تسمى «جرانيت» . بدأت عملى بدراسة إمكانات القوات المسلحة الفعلية .... وقد أوصلتنى تلك الدراسة إلى النقط الرئيسية التالية :

١. أن قواتنا الجوية ضعيفة جداً إذا ما قورنت بقوات العدو الجوية ، كما لا تستطيع أن تقدم أى غطاء برى لقواتنا البرية إذا ماقامت بالهجوم عبر أراضى سيناء المكشوفة ، كما أنها لا تستطيع أن توجه ضربة جوية مركزة ذات تأثير على الأهداف المهمة فى عمق العدو .

٢. أن لدينا دفاعاً جوياً لا بأس به يعتمد أساساً على الصواريخ المضادة للطائرات Sam ولكن - للأسف الشديد هذه الصواريخ دفاعية وليست هجومية .

٣. كانت قواتنا البرية تتعادل تقريبا مع قوات العدو . لقد كان لدينا بعض التفوق فى المدفعية - فى ذلك الوقت - ولكن العدو كان يختبئ وراء خط بارليف المنيع ، والذى كانت مواقعه قادرة على تحمل قذائف مدفعيتنا الثقيلة دون أن تتأثر بهذا القصف ، وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت قناة السويس - بما أضافه العدو إليها من موانع صناعية كثيرة - تقف سداً منيعاً آخر بين قواتنا وقوات العدو .

٤. أما قواتنا البحرية كانت أقوى من بحرية إسرائيل ، ولكن ضعف قواتنا الجوية قلب الموازيين وأحال تفوقنا البحرى إلى عجز وعدم القدرة على التحرك بحراً... لقد كانت تلك القطع البحرية المعادية تعتمد على قوة الطيران الإسرائيلى الذى يستطيع أن يغرق أى قطعة بحرية مصرية تتعرض لها .

وقد خلص رئيس الأركان من هذه الدراسة قائلاً « ونتيجة لهذه الدراسة فقد ظهر لى أنه ليس من الممكن القيام بهجوم واسع النطاق يهدف إلى تدمير قوات العدو

وإرغامه على الانسحاب من سيناء وقطاع غزة ، وأن إمكاناتنا قد تمكننا – إذا أحسنا تجهيزها وتنظيمها – من أن نقوم بعملية هجومية «محدودة» تهدف إلى عبور قناة السويس وتدمير خط بارليف ثم التحول بعد ذلك للدفاع ، وبعد إتمام هذه المرحلة يمكننا التحضير للمرحلة التالية التى تهدف إلى احتلال المضايق ، والتى تحتاج إلى أنواع أخرى من السلاح وإلى أسلوب آخر فى تدريب قواتنا » وكانت هذه هى نظرية الفريق الشاذلى لتحرير الأرض وهى التى اقتنع بها الرئيس السادات وتم تنفيذها فى حرب أكتوبر بعد إجراء تعديلات عليها بشأن التنسيق مع الجبهة السورية وتطوير الهجوم نحو احتلال المضائق .

كان هذا هو حال قواتنا المسلحة فى الوقت الذى ذكر فيه الفريق «فوزى» أنها مستعدة وأن خطته هجومية شاملة تستهدف الوصول إلى حدود مصر الشرقية فى حين أن قواتنا – كما يقول الفريق الشاذلى – لا تتيح لها إمكانياتها إذا أحسن تجهيزها وتنظيمها أكثر من القيام بعملية هجومية محدودة نعبر بها القناة ونحطم خط بارليف ثم نتحول للدفاع لحين التحضير للمرحلة التالية التى تحتاج لأنواع أخرى من السلاح وأسلوب آخر فى التدريب ! إذن فمن رحمة القدر بنا وحكمة الرئيس السادات أنه لم يدخل الحرب بناء على رغبة الفريق «محمد فوزى» وزير الحربية فى ذلك الوقت وإلا كنا تعرضنا لما هو أفجع من هزيمة يونيو ١٩٦٧ إذا دخلنا المعركة وإمكانات قواتنا بالوصف الذى ذكره الفريق «الشاذلى» رئيس أركان القوات المسلحة ، كما كانت مبررات الفريق «فوزى» لاكتفاء الرئيس عبد الناصر بالتصديق الشفهى على خطته دون مناقشة واهية تماماً ، فكيف ينشغل الرئيس عبد الناصر عن مناقشة هذا القرار الخطير الذى سيحدد مصير الأمة العربية لمجرد زيارة لوفد ليبى خاصة وأن عبد الناصر زعيم العرب ويعلق العرب جميعا آمالهم عليه ! بل لم يدر الفريق «فوزى» أنه يهين عبد الناصر حينما ذكر أنه انشغل عنه لأربعة أيام كاملة عن مناقشة الخطة ! فكيف لا يستطيع وزير الحربية أن ينفرد برئيسه طوال هذه المدة

لاطلاعه على تفاصيل خطة التحرير ! بل يمتد التجاهل من عبد الناصر « والذى كان دائما يحب الإلمام بتفاصيل كل شيء » إلى أن وافته المنية ! وكأن عبد الناصر كان سيدخل الحرب دون إعداد سياسى ورسم معالم استراتيجيته السياسية وتنسيق السياسية مع الحرب وكأنه قائد ساذج ! إن الفريق «فوزى» أراد أن ينسب فضل خطة الحرب لعهد عبد الناصر فأهانه دون أن يدرى كما أهان عقلية القارئ الواعى فى إمكانية تصديقها هذا الكلام ، خاصة وأننا أوضحنا إمكانات الخطة «٢٠٠» وإمكانات قواتنا فى هذا الوقت ، كان من الواضح جداً أن كل ماذكره الفريق «فوزى» بشأن خطط الهجوم التى وضعها لتحرير سيناء كانت عبارة عن مشروعات تعليمية تعبوية بدون جنود ، ويقول اللواء «جمال حماد» فى كتابه (المعارك الحربية على الجبهة المصرية): « ومن أبرز هذه المشروعات المشروع التعبوى الذى قام بإدارته الفريق أول محمد فوزى والذى أسماه «التدريب العملى الأخير لتطبيق خطة تحرير سيناء» ...ولم يتم فى هذا المشروع تحرير سيناء فقط بل تم الاستيلاء كذلك على منطقتى العوجه وإيلات (داخل الحدود الإسرائيلية) . ولا يمكن بالطبع اعتبار أن هذا المشروع كان تدريباً على خطة حقيقية موضوعة ، إذ من أين لنا فى بداية عام ٧١ القوات والأسلحة والمعدات التى كانت تكفل تحقيق أهداف هذه الخطة ؟ .. إن الفريق فوزى قد استخدم خياله أكثر من اللازم . سواء فى وضع هذا المشروع أو فى إدارته .»

ومن هنا لابد من الإشادة بالدور العظيم الذى بذله الرئيس السادات والقادة العسكريون أبطال أكتوبر لإعداد القوات المسلحة لحرب أكتوبر . وبالتالى يصبح قول الأستاذ «هيكل» فى كتابه «خريف الغضب» « كما أن «جمال عبد الناصر» لا بد أن يكون قد شعر بقدر من الرضا عندما وقع فيها بعد خطة العملية «جرانيت رقم١» ، وهى الخطة التى استعدت قواتها لعبور قناة السويس على خمسة محاور « هو مجرد تضليل للقارئ ونجده يقول أيضا » كانت خطة العبور قد وضعت من قبله –

يقصد السادات - ولقد كان له فضل القرار بدون شك » وبذلك يجرد الرئيس السادات من أى دور فى الحرب اللهم إلا اتخاذ القرار رغم طبعاً أهمية القرار وصعوبته ، ولكن الحقيقة أن خطة الحرب بأكملها وضعت فى عهد السادات وتم الإعداد لها بدراسة علمية مستضيفة من جانب رواد العلم العسكرى فى مصر فى ذلك الوقت وتم التغلب على الصعوبات التى تواجه تنفيذها بالإضافة إلى مناورات الخداع التى كانت جزءا من الخطة كل ذلك حدث تحت قيادة بطل أكتوبر الرئيس السادات الذى شارك بدوره فى خطة الخداع والإعداد سياسياً لهذه الحرب وكل هذا سنوضحه خلال السطور التالية القادمة .

## خطة الحرب:

كان من الطبيعى أن تلقى سياسية الاتحاد السوفييتى فى تسليح مصر بظلالها على خطة الحرب فبناء الجيش المصرى على أساس دفاعى وعدم تزويده بالأسلحة الهجومية أدى إلى اختلاف شديد بين القادة العسكريين حول خطة الحرب المنتظرة وظل الصراع دائماً على خطة الهجوم طوال عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ . كان الفريق «الشاذلى» مقتنعاً من خلال دراسته لإمكانات قواتنا المسلحة بأن معركتنا القادمة يجب أن تكون محدودة ويجب أن يكون هدفها النهائي الاستيلاء على خط الدفاع الأول لإسرائيل شرق القناة مباشرة «خط بارليف» واحتلاله ثم التحول بعد ذلك للدفاع ، وبعد إتمام هذه المرحلة يمكننا التحضير للمرحلة التالية التى تهدف إلى احتلال المضايق ، والتى تحتاج إلى أنواع أخرى من السلاح وإلى أسلوب آخر فى تدريب قواتنا ، وعندما عرض الفريق «الشاذلى» نظريته على الفريق أول «صادق» وزير الحربية خلفا للفريق «فوزى»[١] عارض خطته بشدة وأوضح أن الخطة

(١) كان الرئيس السادات قد أطاح به فى ثورة ١٥ مايو ١٩٧١ باعتباره أحد مراكز القوى وعين الفريق محمد صادق خلفا له كوزير للحربية وقائد أعلى للقوات المسلحة .

لاتحقق أى هدف سياسى أو عسكرى للأسباب التالية[١]:

- فمن الناحية السياسية : سوف يبقى ما يزيد على ٦٠٠٠٠ كم٢ من سيناء ، بالإضافة إلى قطاع غزة تحت الاحتلال الإسرائيلى .

- ومن الناحية العسكرية : سوف تخلق لنا موقفاً صعباً فبدلاً من خطنا الدفاعى الحالى الذى يستند إلى مانع مائى جيد ، فإن خطنا الدفاعى الجديد سوف يكون فى العراء وأجنابه معرضة للتطويق ، كما ستكون خطوط مواصلاتنا عبر كبارى القناة تحت رحمة العدو .

ذكر الفريق «الشاذلى» فى مذكراته أن الفريق أول «صادق» كانت فكرته فى العملية الهجومية هى أن نقوم بتدمير جميع قوات العدو فى سيناء ، والتقدم السريع لتحريرها هى وقطاع غزة فى عملية واحدة مستمرة وكان وزير الحربية يعول فى نظريته[٢] على الحصول على الأسلحة الهجومية من السوفييت لتنفيذ هذا الهجوم الشامل وأن تتوافر لمصر قوة ردع وتستطيع طائرتنا ضرب عمق العدو ، إلا أن الفريق «الشاذلى» أوضح له أنه ليس لدينا الإمكانات للقيام بذلك ، وبعد مناقشات طويلة أمكن التوصل إلى حل وسط وهو تجهيز خطتين : خطة تهدف إلى الاستيلاء على المضائق ، وأخرى تهدف إلى الاستيلاء فقط على خط بارليف . وفى اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة[٣] يونيو ١٩٧٢ فى استراحة الرئيس بالقناطر الخيرية دار صراع داخل المجلس الأعلى للقوات المسلحة بين ثلاث نظريات للتحرير ففى مواجهة نظرية الفريق «سعد الدين الشاذلى» ، قامت نظرية الفريق «صادق» السابقة التى عرضها الفريق «الشاذلى» فى مذكراته ، وحذر الفريق

(١)سعد الدين الشاذلى – حرب أكتوبر ( مذكرات ) .

(٢)أورد الفريق «صادق» فى مذكراته الخطة التى تبناها لتحرير سيناء والتى تتعارض تماماً مع الخطة التى ذكرها الفريق «الشاذلى » فى مذكراته على لسانه .

(٣)دكتور عبد العظيم رمضان – حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ – ص ٥١ – ٥٢ .

«صادق» من القيام بأى عملية هجومية إلا بعد تكوين قوة الردع أى أن يكون عندنا طيران يضرب عمق العدو . أما النظرية الثالثة ، فكانت نظرية اللواء «أحمد إسماعيل» مدير المخابرات العامة فى ذلك الوقت التى كانت تقوم على أن القوات المسلحة ليست فى وضع يسمح لها بالقيام بعملية هجومية ، وأن هذه العملية الهجومية يجب أن ترتبط بإعداد القوات الجوية المصرية ، وبالتالى فإن توقيت المعركة يجب أن يرتبط بإغلاق «الفجوة» بين القوات الجوية المصرية وقوات إسرائيل الجوية

غير أن الفريق «الشاذلى» أقنع الرئيس السادات فيما بعد برأيه بعد أن شرح له قصور الرأيين الآخريين ، فالرأى الأول الذى تبناه الفريق «صادق» يحتاج إلى عدة سنين لكى نحصل ونتدرب على الأسلحة اللازمة لمثل هذا الهجوم خاصة فى ظل سياسة السوفييت الخاصة بعدم إمدادنا بأسلحة هجومية ، كما أن رأى اللواء - الفريق فيما بعد - «أحمد إسماعيل» الذى ربط المعركة بإعداد القوات الجوية يعنى تأجيل المعركة لأجل غير مسمى ؛ لأن الفجوة بين قوات إسرائيل الجوية والقوات الجوية المصرية تميل إلى الاتساع لا إلى الضيق ، ولا يوجد أمل فى إغلاق أو تضييق هذه الفجوة فى المستقبل القريب . وقال الفريق «الشاذلى» أنه لذلك يجب أن تدور المعركة فى إطار إمكانات القوات المسلحة ، بمعنى أن نخطط لمعركة هجومية محدودة Local Conflict ، فى ظل تفوق جوى معاد وفى هذه الحالة يمكن أن نعتمد فى تحدينا للتفوق الجوى الإسرائيلى[1] خلال تلك المعركة على حائط

(١) كان سلاح الجو الإسرائيلى أو ((الحيال ها أفير)) كما يسمونه فى إسرائيل قد نال شهرة واسعة وصار تضخيمه بشكل غير مسبوق فى الإعلام الإسرائيلى إلى الحد الذى جعل أديب إسرائيلى يقول « إن إسرائيل ليست دولة بالمعنى المعروف ولكنها عبارة عن سلاح طيران يمتلك دولة » ! ، ويرجع تفوق الطيران الإسرائيلى على سائر سلاح الطيران العربى إلى الفارق التكنولوجى الهائل بين التسليح الغربى الأمريكى والتسليح الشرقى الروسى الذى بلاجدال فى صالح الجانب الغربى خاصة فى سلاح الطيران ((حيث كان اهتمام السوفييت منصبا على الصواريخ وتفوقوا فيها على الغرب)) فلا يمكن مثلاً مقارنة طائرات الميراج الفرنسية والفانتوم وسكاى هوك الأمريكية التى=

الصواريخ الذى أثبت فاعليته فى أواخر حرب الاستنزاف ، بالطبع كان هذا الرأى العبقرى والذى تبناه الفريق «الشاذلى» كفيلاً بإقناع السادات على الموافقة عليه حيث يجعل قواتنا تحارب بما لديها من سلاح وفى إطار إمكاناتها دون الانتظار لوعود السوفيت لإرسال السوفييت بمزيد من الأسلحة ودون امتناع السادات عن خوض حرب انتظاراً لتكافؤ القوى العسكرية أو حتى تضييق الفارق بينها إلا أن السادات لم يحسم الأمر ولم يعلن قراره النهائي بخوض معركة هجومية محدودة إلا بعد أن تيقن من مماطلة السوفيت ورغبتهم فى تهدئة الموقف فى المنطقة ؛ فكان قراره بإنهاء خدمة المستشارين السوفييت من مصر . وفى منزله بالجيزة عقد الرئيس السادات فى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ اجتماعا للمجلس الأعلى للقوات المسلحة شرح فيه الموقف السياسى وموقف الدولتين العظميين وأنه لابد من التحرك عسكريا حتى تتحرك القضية سياسيا وأننا سنحارب بما لدينا من سلاح اعتمادا على خطة الحرب الهجومية المحدودة وأوضح أن مجرد تمكننا من كسب عشرة سنتيمترات من الأرض على الضفة الشرقية للقناة سيغير الوضع سياسياً وأنه لا سبيل للحل السلمى لأن الحل السلمى حالياً معناه الاستسلام ، كان هذا الاجتماع التاريخى هو الرحم الذى تولد منه قرار حرب أكتوبر المجيدة ، وبعد أن فرغ الرئيس السادات من كلامه بدأ يستمع لتعليقات قواده إلا أن آراءهم أغضبت الرئيس السادات فالفريق «صادق» وزير الحربية أبدى معارضته لفكرة الحرب حالياً لعدم توفر الأسلحة اللازمة وأنه يجب انتظار الأسلحة من السوفييت وتكوين قوة الردع الكافية[1]، ورأى الرئيس السادات انهزامية Defeatism فى آراء بعض اللواءات كما رأى عدم التزام الفريق

=تملكها إسرائيل بطائرات السوخوى والميج السوفييتية التى يمتلكها العرب سواء من حيث المدى أو قوة التسليح أو مدة البقاء فى الجو ؛ لذا كان من أهم المشكلات التى تؤرق المصريين هى قوة سلاح الطيران الإسرائيلى وتفوقه .

(١)ذكر الفريق ((صادق)) مايتعارض مع ذلك حيث صرح بأنه لم يتقدم برأى خلال الاجتماع وترك القادة يتكلمون دون تدخل منه ، وأنه أبلغ الرئيس بأن القرار فى النهاية له وأنهم ملتزمون بتنفيذه .

«صادق» بتطوير الخطة ٢٠٠ الدفاعية وذلك بتعلية الساتر الترابى لنا غرب القناة بحيث يكون أعلى من الساتر الترابى لإسرائيل شرق القناة ، فأنهى الاجتماع وأخبرهم بأنه هو المسؤول عن استقلال البلد وأنه بالتخطيط الجيد سنتغلب على نواحى النقص فى الأسلحة ، وقام الرئيس بإقالة الفريق «صادق» وزير الحربية من منصبه[1] وتم تعيين الفريق «أحمد إسماعيل» وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ .

إذن أصبح من الواضح بعد دراسة إمكانات قواتنا المسلحة تدريباً وتسليحاً مقارنةً بالقوات الإسرائيلية عدم إمكان القيام بحرب شاملة لتحرير كل الأراضي المحتلة في سيناء . وأمكن التوصل في النهاية إلى وضع خطتين هجوميتين :

١- الخطة الأولى محدودة ، هدفها النهائي الاستيلاء على خط المضايق الجبلية شرق القناة، وسميت «العملية ٤١» .

٢- الخطة الثانية أقل عمقاً، هدفها النهائي الاستيلاء على خط الدفاع الأول لإسرائيل شرق القناة مباشرة «خط بارليف» وسميت العملية «المآذن العالية» .

إلا أنه كان كل التركيز على تجهيز واستكمال خطة «المآذن العالية» ، أما «العملية٤١» كانت فى تطوير وتعديل مستمر طبقاً لتطور إمكانيات القوات المسلحة تسليحاً وتدريباً ، وحجم وأوضاع القوات الإسرائيلية في سيناء وعدّلت تسمية الخطة من «العملية ٤١» إلى «العملية جرانيت ٢».

## التعاون مع الجبهة السورية والخطة بدر

كان هناك تعاون دائم بين مصر وسوريا منذ قيام الوحدة العربية بينهما وتكوين الجمهورية العربية المتحدة فى فبراير ١٩٥٨ ، وانفصالها عام ١٩٦١ ، ومروراً

(١) في ذلك الوقت جرت محاولة انقلاب اشترك فيها بعض الضباط ممن يدينون بالولاء للفريق صادق ولكنها فشلت وتم القبض عليهم .

باتفاقية للتعاون السياسي والعسكري بينهما فى ١٩٦٩/٨/٩ ، ثم مجلس الدفاع العربى المشترك فى القاهرة «الدورة ١١ - ١/ ١١/ ١٩٦٩» ، حتى اتفاقية الدفاع المشترك فى ٢٦/ ١١/ ١٩٧٠ ، وكان هناك تقارب وتعاون سياسى بين الرئيسين السادات والأسد حيث أيقن كل منهما بحتمية الحرب كحل لابديل عنه لتحرير الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، ونتيجة لهذا التقارب السياسى سعت البلدان إلى تنسيق التعاون العسكرى بينهما من أجل هدفهما المشترك من خلال التخطيط لعملية عسكرية تعرضية مشتركة ؛ فعيّنت القيادتان السياسيتان الفريق الأول أحمد إسماعيل علي ، القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، قائداً عاماً للقوات المسلحة الاتحادية «مصر وسورية» ، بدءاً من ١ يناير ١٩٧٣ ، وذلك بمعاونة هيئة العمليات التى أصدر الأمر إليها بدراسة الوضع العسكري في الجبهتين المصرية والسورية ، وتحديد طرائق العمل للإستراتيجية المشتركة ، ووضع أسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين ، كما تم تكوين مجلس أعلى للقوات المسلحة المصرية السورية المشتركة برئاسة وزير الحربية القائد العام للقوات المسلحة المصرية ، ويتولى هذا المجلس دراسة المسائل العامة ، المتعلقة بالقوات المسلحة للبلدين ، وإعدادها للحرب ، وإعداد التوصيات الخاصة بشؤون الدفاع .

ونتيجة لدراسة الوضع الإستراتيجى على الجبهتين المصرية والسورية كان على القيادة المصرية التخطيط للقيام بعملية هجومية إستراتيجية تنفذ بالتعاون مع القوات السورية ، تقوم فيها مصر بالاقتحام المدبر لقناة السويس وهزيمة التجمع الرئيسى لقوات العدو فى سيناء والوصول إلى خط المضايق وتأمينه استعداداً لتنفيذ أى مهام قتالية أخرى . وفى نفس الوقت تقوم القوات السورية بالهجوم لاختراق دفاعات العدو فى الجولان ، وتدمير قواته ، والوصول إلى خط نهر الأردن والشاطئ الشرقى لبحيرة طبرية وتأمينه[1] . ونتيجة لذلك كان مطلوباً من القيادة العسكرية

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ٢٠٢ .

المصرية تجهيز خطة بخلاف خطة «المآذن العالية» تشمل تطوير الهجوم شرقا بعد العبور والوصول إلى خط المضايق . لم تكن الخطة المطلوبة سوى إحياءً لخطة «العملية جرانيت٢» ، فأجريت عليها بعض التعديلات ، وسميت الخطة«جرانيت ٢ المعدلة» ، وأطلق على خطة العبور واقتحام خط بارليف وإنشاء رؤوس الكبارى اسم «المرحلة الأولى» ، وأطلق على خطة الوصول إلى المضايق اسم «المرحلة الثانية» ، وأطلق على الخطة المصرية السورية بعد التنسيق بين الجبهتين اسم «بدر» . وكان الرئيسان السادات ، الأسد، قد اجتمعا في برج العرب ، غرب الإسكندرية ، أوائل أبريل ١٩٧٣، واتخذا قراراً بالحرب ، غرضها الإستراتيجي تحرير الأراضي المصرية والسورية المحتلة في حرب ١٩٦٧، وتوظيف نتائج الحرب لتحرير الأراضي الفلسطينية المحتلة لمصلحة الشعب الفلسطيني وحقوقه الوطنية وأبلغ الرئيسان القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية هذا القرار ، وطلبا منه أن تكون القوات المسلحة في البلدين جاهزة، بدءاً من منتصف أبريل عام ١٩٧٣ ، لتلقّي المهام القتالية . انتهى المجلس الأعلى للقوات المسلحة المصرية ـ السورية المشتركة ، في أواسط العام ١٩٧٣ ، من وضع التصور النهائي للعملية الهجومية ، ويذكر المشير «الجمسى» رئيس هيئة العمليات واللواء – وقتذاك – أن فكرة الخطة «بدر» صيغت كالتالى[1]:

« أن تقوم القوات الجوية فى الدولتين بتوجيه ضربة جوية فى وقت واحد ضد الأهداف العسكرية المعادية فى سيناء والجولان . وتحت ستر تمهيد نيرانى بالمدفعية فى كل من الجبهتين ، تقوم القوات المصرية بالهجوم مع اقتحام قناة السويس ، وتقوم القوات السورية بالهجوم فى الجولان . وكان مقدراً أن القوات السورية يمكنها تحرير الجولان خلال أربعة أو خمسة أيام ، وتستمر فى تأمينها حتى تصل القوات المصرية إلى الأهداف الاستراتيجية المحددة لها فى سيناء . وكانت فكرة الخطة

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ٢١١ ، ٢١٢ .

المصرية هى اقتحام قناة السويس بالجيش الثانى والثالث على طول مواجهة القناة وإنشاء رؤوس كبارى جيوش تشمل خمس فرق وقوة قطاع بورسعيد بعمق ١٥ – ٢٠ كيلو متراً مؤمنة بواسطة قوات الدفاع الجوى . وبعد «وقفة تعبوية أو بدونها» يتم التطوير الهجوم شرقاً حتى خط المضايق الجبلية لاحتلاله والتشبث به وتأمينه . وبذلك تصبح القوات الإسرائيلية فى أرض مكشوفة فى وسط سيناء ، لا تتمكن من إنشاء خطوط دفاعية بها للعوامل الطبوغرافية من جهة ، وعدم قدرتها على توفير القوات اللازمة لذلك من جهة أخرى ، وتعرضها للهجمات المصرية التالية شرق المضايق حسب تطور الموقف . وطبقا للخطة أيضا تقوم قواتنا البحرية بتأمين سواحلنا البحرية ، والتعرض لخطوط المواصلات البحرية الإسرائيلية فى مضيق باب المندب لإيقاف الملاحة من وإلى إيلات ، مما يؤثر على اقتصاد إسرائيل وحرمانها من الإمداد بالبترول من إيران ».ومما هو جدير بالذكر أن ننسب للواء «الجمسى» رئيس هيئة العمليات المصرية حينذاك قبل أن يتولى منصب القائد العام للقوات المسلحة بعد ذلك تلك البراعة والدقة التى تم بها التخطيط للحرب والتغلب على كافة الصعوبات التى واجهة تنفيذها .

## قومية المعركة مشروطة !

كان من الحكمة أن تسعى مصر وسوريا قبل خوضهما الحرب إلى استعراض الموقف العربى وشحذ كل الطاقات العربية وإمكانية عمل عسكرى وسياسى عربى مشترك ، فليس من العدل أن تخوض مصر وسوريا معركتهما المصيرية دون مساندة عربية فى مواجهة إسرائيل المدعومة بقوة الصهيونية العالمية ، وأسلحة الولايات المتحدة الأمريكية، وتأييد حلفائها في العالم الغربي ، وكان العرب يحاولون منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ التى خلقت أزمة ثقة عميقة بين القيادات العربية وحتى سنة ١٩٧٣ إيجاد صيغة تعاون عسكرى مشترك وعمل مجلس دفاع عربى مشترك ، وبالفعل انعقد مجلس الدفاع العربى المشترك أكثر من مرة إلا أنه عجز عن اتخاذ قرار

لتوحيد العمل العسكرى العربى من أجل المعركة بيد أن خلافات اعترضت سبيل خروج القرار إلى حيز التنفيذ ؛ فكان على مصر أن تعمل على احتواء الخلافات العربية وتنقية المناخ العربى ولم تفرض مصر على أى دولة عربية أن تحارب معها وإن كانت تتمنى ذلك بالطبع بطلبها أن تحارب دول المواجهة الثلاث ( مصر وسوريا والأردن ) لإجبار إسرائيل على القتال فى ثلاث جبهات ، و تركت الباب مفتوحا أمام كل الدول العربية لتساهم كل دولة بما تراه مناسبا لإمكاناتها وقدراتها سواء كان دعما عسكريا أو سياسيا أو ماليا أو معنويا. وعاد مجلس الدفاعى العربى المشترك إلى الاجتماع فى القاهرة ( الدورة ١٣ خلال الفترة من ٢٧ – ٣٠ يناير ١٩٧٣ ) وانتهزت مصر الفرصة لعرض تقريرها حول صيغة التعاون العربى فى المعركة المنتظرة ، وبعد أن قدم الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية المصرى تقريره حول الفكرة العامة للتخطيط واحتياجات الخطة الهجومية ، كانت أهم التوصيات المقترحة كالآتى[١] :

١) يقسم مسرح الحرب إلى ثلاث جبهات :

أ- الجبهة الشمالية: تشمل جميع القوات السورية والقوات العربية، التي توضع تحت قيادتها.

ب- الجبهة الشرقية: تشمل جميع القوات الأردنية والقوات العربية، التي توضع تحت قيادتها.

ج- الجبهة الغربية: تشمل جميع القوات المصرية والقوات العربية، التي توضع تحت قيادتها.

٢) توضع الجبهات الثلاث تحت قيادة قائد عام واحد ، هو القائد العام للقوات المسلحة المصرية، الفريق الأول أحمد إسماعيل علي ، تعاونه مجموعة عمليات من الأقطار المشتركة في القتال .

(١) المشير الجمسى – مذكرات الجمسى حرب أكتوبر ١٩٧٣ – الطبعة الثانية – ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

٣- تلتزم دول المساندة ( المملكة السعودية - العراق - الكويت - ليبيا - الجزائر - المغرب - السودان ) بتقديم الدعم التالى لدول المواجهة وإجمالى هذا الدعم هو ١٦ سرباً جوياً وفرقة مدرعة وفرقة مشاة ولواء مدرع ولواءان مستقلان عن المشاة .

٤- حدد المجلس لبعض البلدان العربية ( وهي البلدان المساندة ) الوحدات البرية والجوية ، التي يجب أن تكون جاهزة في غاية شهر مارس ١٩٧٣ ، في أماكن تمركزها في دولها ، ومستعدة للتحرك إلى الأماكن التي يحددها القائد العام للقوات المسلحة العربية. أما وحدات الدعم الإضافى للعمليات التعرضية فتكون جاهزة فتكون جاهزة فى أقرب وقت طبقا لما يتم الاتفاق عليه فى المجلس .

ولكن لم تنفذ قرارات هذا المجلس وكانت الخلافات العربية كالعادة هى السبب ، حيث شككت بعض الدول العربية فى جدية مصر للدخول فى الحرب وإن صدقت بعض الدول الأخرى جدية مصر فى الدخول للحرب كانت تشك فى إمكانية نجاحها خاصة وأن شبح هزيمة ١٩٦٧ كان يخيم على العرب ، حيث رفضت الأردن القيام بأى دور فى المعركة المقبلة رغم أنها من دول المواجهة ! ، وأبدى العراق عدم استعداده للمساهمة فى المعركة على الجبهة الشرقية « سوريا » بسبب نزاعاته على الجبهة الإيرانية والكردية ، واقترح استخدام سلاح البترول إذا ما نشبت الحرب ، ولم ترسل سوى سرب من طائرات « هوكر هنتر » رغم أنها إحدى دول الدعم ، أما السعودية فقدت أبدت استعدادها للقيام بأى دور عند قيام الحرب وكانت قد أرسلت سرب طائرات قاذفة إلى مصر قبل المعركة ، وكان الملك «فيصل» دائم الدعم لمصر فالسعودية والكويت كانتا تقدما دعما ماليا كبيرا لمصر ، أما ليبيا والجزائر فكانت علاقتهما بمصر غير جيدة ، وظلت مصر وسوريا هى الصورة القومية الوحيدة لتعاون عسكرى مشترك ، وإزاء صورة الموقف العربى القائم ، قررت مصر وسوريا تكملة المسيرة وحدهما فى التخطيط المشترك للمعركة المقبلة ؛ لذا فلم تكن الحرب عربية إسرائيلية بالمعنى الشامل إذا تحرينا الدقة ولكن يمكن

القول أن هناك قدرًا من التعاون والتفاهم المصرى السورى ونوعًا من الدعم العربى المشروط ببدء الحرب فعلاً ، وبهذا ضيع العرب على نفسهم فرصة ذهبية لتعبئة كل القوى العربية للمشاركة فى الحرب ، وكان الرئيس السادات لا يعول آمالاً كبيرة على مساندة جدية للعرب قبل الحرب ولكنه كان يثق أن الوضع سيتغير عند نشوب الحرب حيث كان يقول « ستكون المعركة مصرية أساسا ، وسوف يقف العرب موقف المتفرج فى البداية ، ولكنهم سوف يجدون أنفسهم فى موقف صعب أمام شعوبهم ، فيضطرون إلى أن يغيروا موقفهم » وهو ما حدث بالفعل بعد قيام الحرب .

**دور السادات فى التمهيد السياسى للحرب وعزل إسرائيل دوليا :**

لا يمكن بأى حال من الأحول إغفال الدور الكبير الذى لعبه الرئيس السادات فى بناء خطة الخداع الماكرة لتضليل إسرائيل والولايات المتحدة ولم يكن بمقدور «C.I.A» جهاز الاستخبارات الأمريكى نفسه أن يحلل نوايا السادات ، فقد قام الرئيس السادات بتحرك سياسى واعٍ لتمهيد المسرح العالمى للحرب وتهيئة المناخ الدولى لقبول الحرب وقت نشوبها ، كان الرئيس السادات يخوض عملا سياسيا جبارا موازيا للعمل العسكرى العظيم الذى يضطلع به قادة القوات المسلحة فى ظل ظروف سياسية قائمة توحى باليأس ، و لتقدير مدى المجهود الذى بذله السادات لتهيئة المسرح العالمى والعربى للحرب ملتزما فى نفس الوقت بخطة التمويه والخداع التى حيكت خيوطها من جانب القيادة السياسية والعسكرية والإعلام المصرى وجب علينا أن نوضح الأحوال السياسية السائدة فى المناخ السياسى الدولى والتى كانت توحى باليأس لنعرف الأجواء التى عمل فيها الرئيس السادات وكيف استطاع بتحركاته الواعية تهيئة تلك الأجواء للحرب .

**الدولتان العظمييان :**

كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى قد دخلا فى تفاوض بينهما وإيقاف سباق التسليح Race Armament بينهما الذى يستنزف مواردهما الاقتصادية

والتفرغ لمشاكلهما الداخلية وبقاء الوضع فى الشرق الأوسط كما هو عليه وفرض الاسترخاء العسكرى فى المنطقة وتوجت مفاوضتهما بإعلانهما عن سياسة الوفاق بينهما ، الأمر إلى يؤدى إلى تجميد مشكلة الشرق الأوسط واستمرار حالة اللاسلم واللاحرب .

**الموقف السياسى الأوروبى :**

كانت الدول الأوروبية الغربية فى ركب سياسة الولايات المتحدة الأمريكية حليفها الأكبر ، حتى بعض الدول الأوروبية التى لم تنحز لإسرائيل لم يزد موقفها عن تعاطفها مع القضية العربية. أما دول أوروباً الشرقية فكانت تخضع لسياسة الاتحاد السوفييتى وتتراوح مواقفها بمدى انسجام العلاقة بين الاتحاد السوفييتى والعرب وبالتالى فإن تأييدها للعرب والمرهون بالسياسة السوفيتية هبط لأدناه بعد انتهاج الاتحاد السوفييتى لسياسة الوفاق الدولى ، وطرد الخبراء السوفيت من مصر .

**الموقف الأفريقى**[1] :

كان لإسرائيل علاقات تجارية قوية مع دول وسط وجنوب أفريقيا وكانت تدير وتشرف على العديد من المشروعات الزراعية بدول المنطقتين كذلك ، ولم تكن الدول الأفريقية غير العربية تهتم بالانحياز لأي طرف ، سوى الذي لديها مصالح مشتركة معه. في الوقت نفسه ، كانت الدول العربية ضعيفة الوجود في أفريقيا ، وبالتالى كان الأمر يحتاج إلى مجهود سياسي ضخم لإقناع الدول الأفريقية بعدالة القضية العربية مع إسرائيل

وكنا قد سبق أن أشرنا إلى الموقف العربى الذى غلبت خلافاته على كل اجتماعاته للتوصل إلى موقف عربى موحد ، كان هذا هو صورة الموقف السياسى الذى

(١) حسن البدرى وطه المجدوب وضياء الدين زهدى – حرب رمضان – الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة – أكتوبر ٧٣ - ص ١٠ - ١١

سيسعى السادات لتحريكه ليتخذ خطوات أكثر إيجابية نحو القضية العربية .

بنى الرئيس السادات إستراتيجيته على عدة ركائز أهمها تهيئة الرأى العام العالمى لقبول حق العرب فى الدفاع عن أراضيهم المحتلة ، وكشف سياسة التوسع Expansionist Policy لإسرائيل وأطماعها من خلال رفضها لكل الطرق السلمية لحل قضيتها مع العرب ، وأنه لم يعد خيار أمام العرب سوى الخيار العسكرى بعدما استنفذت مصر كل الوسائل السلمية ، والتحرك سياسيا على مستوى أوسع فى جميع الجبهات، واستصدار القرارات التى تدين إسرائيل من معظم الدول وتوضيح دور إسرائيل فى إعاقة تنفيذها وذلك لعزل إسرائيل دوليا .

**التحرك على مستوى الدول العظمى :**

بدأ تحرك الرئيس السادات بتحسين ودعم علاقته بالاتحاد السوفيتى عن طريق تكليفه حافظ إسماعيل مستشار الرئيس لشئون الأمن القومى فى فبراير ١٩٧٣ وذلك لتوضيحه للسوفيت أنه لا سبيل إلى تحريك القضية سياسيا إلا بعد تحريكها عسكريا وبالتالى لابد من دعم سريع للقوات المسلحة المصرية ثم أوفد الرئيس السادات فى نفس الشهر الفريق أحمد إسماعيل وزير الحربية ليطلع القادة السوفيت على ما تحتاجه القوات المسلحة المصرية من أسلحة ، وكان الرئيس السادات قبل ذلك قد جدد اتفاقية التسهيلات البحرية[1] للسوفيت فى ديسمبر ١٩٧٢ وبالفعل بدأ السوفيت فى إرسال كميات كبيرة من الأسلحة التى اتفقوا عليها ، وعلى الجانب الآخر بعث للرئيس السادات بمستشاره للأمن القومى حافظ إسماعيل إلى باريس للقاء «كيسنجر» مستشار الأمن القومى الأمريكى فذكر «كيسنجر» أن الولايات المتحدة لا تملك ضغطا على إسرائيل وهى دولة منتصرة و مصر دولة

(١) كان الرئيس عبد الناصر قد وافق على تقديم تسهيلات للأسطول السوفيتى فى كل من مينائى الإسكندرية وبورسعيد وذلك سنة ١٩٦٨ ولمدة خمس سنوات .

مهزومة ولا يجوز للمهزوم أن يفرض شروطا من أجل تسوية سلمية ، وكانت هذه الخطوة مهمة لأنها تولد انطباعا لدى الولايات المتحدة وإسرائيل أن مصر تلهث وراء حل سلمى ، وأن احتمالات إقدام مصر على شن حرب ضد إسرائيل احتمالات ضعيفة إن لم تكن مستحيلة .

### التحرك على المستوى الأفريقى :

كان حس السادات السياسى قد أتاح له انتباهه للوضع الأفريقى ، فذهب فى مايو ١٩٧٣ إلى مؤتمر الوحدة الأفريقية الذى يعقد كل سنة فى أديس أبابا وبجهود الرئيس ، اتخذ المؤتمر لأول مرة قراراً واضحاً بإدانة إسرائيل وقطعت ٨٠ ٪ من الدول الأفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل .

### التحرك على المستوى الدولى :

كانت مصر تسعى إلى طرح قضية الشرق الأوسط على مجلس الأمن كجزء من خطتها الدبلوماسية والسياسية وكانت تهدف مصر إلى استصدار قرار قوى من مجلس الأمن يدين سياسة إسرائيل وموقفها تجاه جهود الأمم المتحدة من أجل السلام ، فدعت مصر إلى انعقاد مجلس الأمن فى ٦ يونيه لإدانة إسرائيل ، لعدم تنفيذها قراراته ولكن المجلس أوقف مناقشاته مع بدء زيارة الرئيس السوفيتي بريجنيف إلى واشنطن ، أملاً في نتائج إيجابية للقضية نتيجة لقاء زعيميّ الدولتين العظميين ، وكان السادات يدرك صعوبة انعقاد مجلس الأمن حول ذلك الشأن مرة أخرى نظراً للضغوط الأمريكية والإسرائيلية وتهديد أمريكا دائما باستخدام حق «الفيتو» ضد أى قرار يدين إسرائيل ، فحدث فى تلك الفترة أن اغتالت إسرائيل ثلاثة من الزعماء الفلسطينيين فى قلب بيروت[1] ، فأرسل السادات إلى «سليمان فرنجية» رئيس لبنان يطالبه بضرورة طلب الرئيس اللبنانى بدعوة مجلس الأمن وإلا

(١) كانت إسرائيل قد شنت عدوانا على بيروت عن طريق البحر وذلك فى يوليو ١٩٧٣ .

طلب السادات ذلك فدعا الرئيس فرنجية إلى اجتماع مجلس الأمن وعزز الرئيس السادات دعوته بدعوة أخرى منه ، واجتمع مجلس الأمن فى منتصف يوليه ١٩٧٣ ليبحث قضية اغتيال الزعماء الفلسطينيين ، ففاجأت مصر الجميع بطرح قضية الشرق الأوسط على مجلس الأمن وطالبت بمشروع قرار يتضمن إدانة شديدة لإسرائيل لاستمرارها في احتلال الأراضي العربية، وعدم تعاونها مع الممثل الخاص للأمين العام . وصوت الجميع لصالح المشروع ، عدا الصين التي امتنعت عن التصويت لرغبتها فى إصدار قرار محدد بإدانة إسرائيل ، والولايات المتحدة الأمريكية التي استخدمت حق «الفيتو» لتسقط المشروع ، وهو ما كان السادات يتوقعه تماماً ، حيث كان السادات لا يعنيه الشكل الذى سيصدر به القرار قدر اهتمامه بالآثار الذى سيتركها بعد اتفاق أعضاء المجلس على إدانة إسرائيل على المستوى الدولى ، لتكون إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى جانب ، وبقية دول العالم فى جانب آخر ، وأصبح المناخ الدولى مهيأ لقبول العمل العسكرى الذى تستعد مصر وسوريا للقيام به

## التحرك على المستوى العربى

إلى جانب التنسيق مع الجبهة السورية كان لابد للسادات أن يقوم بجولة عربية سريعة لشحذ الهمم العربية وشدها نحو المساندة والدعم وفتح الباب أمام الدول العربية لتقدم ماتراه مناسبا لقدراتها وإمكاناتها للمعركة والتأكيد على جدية خوض مصر للحرب لتشجيع العرب على المساهمة والمشاركة وكان الرئيس السادات سبق وأن أعلن أن مصر لا تفرق بين الدول العربية على أساس تصنيف لنظم الحكم بين رجعية وتقدمية وملكية وجمهورية وأننا جميعاً عرب فحسب ، وبدأ السادات جولته بزيارة السعودية وقطر وسوريا فى أغسطس ١٩٧٣ ، ووعد الملك فيصل السادات بقيام المملكة السعودية بدورها الكامل وقت نشوب المعركة وبالفعل استخدم الملك فيصل سلاح البترول بكفاءة وفى الوقت المناسب أثناء الحرب ، وظن العالم أن زيارة

الرئيس السادات للسعودية وقطر كانت من أجل الدعم المالى بعد أن وصل الاقتصاد المصرى إلى درجة الصفر «كان السادات قبلها مباشرة قد وقع اتفاق القرض الذى تمنحه بريطانيا لمصر فى القاهرة وقيمته ١٠ ملايين جنيه» ، وأن زيارته لسوريا تستهدف بحثه مع الرئيس حافظ الأسد طريقة للحل السلمى ، وفى أول سبتمبر بحث الرئيس مع أمير الكويت الشيخ «صباح السالم الصباح» فى القاهرة سبل حشد القوى العربية للمعركة وبعده بأسبوع تقريبا كانت المباحثات بين الرئيس السادات وحافظ الأسد والملك حسين فى القاهرة حول إمكانيات العمل العربى المشترك ودور الجبهة الشرقية وأعاد الرئيس السادات العلاقات الدبلوماسية بين مصر وعمان .

ختم الرئيس السادات جولته السياسية الشاقة بحضور مؤتمر دول عدم الانحياز فى الجزائر ونجح فى ضمهم لصف القضية العربية وإدانتهم لإسرائيل وبهذا اكتملت فترة الإعداد والتمهيد السياسى المرهقة التى خاضتها القيادة السياسية المصرية بعزيمة وإرادة متحملة كل الضغوط عليها محليا ودوليا واستطاع الرئيس السادات استقطاب تأييد العالم للقضية العربية وكما قال فى كتابه – البحث عن الذات – «كان معى أكثر من مائة دولة قبل المعركة بثلاثة أسابيع .. فى خلال الفترة مابين يناير إلى سبتمبر ١٩٧٣ كنت قد جهزت الساحة العالمية كلها للمعركة .دولياً بقرار مجلس الأمن ، عربيا على مستوى كل الدول العربية مهما اختلفت سياستها ، على مستوى دول العالم الثالث وعدم الانحياز فى مؤتمر الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ » ، وكان تحرك السادات على الجبهة الخارجية مواز لتحركه على الجبهة الداخلية المصرية حيث أنشأ جوا من المصالحة الوطنية وجمع حوله كل الرموز السياسية الوطنية من مؤيدين ومعارضين كما وطد علاقاته بالإخوان المسلمين كقوة لها شعبيتها فى الشارع المصرى وبذلك صنع الرئيس السادات أرضية صلبة داخلية قوية يتحرك عليها وهو مطمئن .

وكان الرئيس السادات قد أحكم حلقات الخداع على عدوه بأكثر من تصريح ومنها إيعازه إلى الصحف والإعلام إلى تسريب معلومات خاطئة عن الجيش المصرى وتحدث الرئيس السادات أكثر من مرة عن قرب نشوب الحرب ثم لا يحارب الأمر الذى دفع كيسنجر إلى وصفه بأنه « مجرد مهرج أو بهلوان سياسى » حيث أمر بتعبئة القوات المسلحة أكثر من مرة فى مايو وأغسطس ١٩٧٣ وفى كل مرة تعمل إسرائيل تعبئة عامة لقواتها لظنها قيام المصريين بعمل عسكرى ثم تكتشف أنها مجرد مناورة عادية وأنها خسرت أكثر من ٢٠ مليون دولار جراء تعبئتها لقواتها دون جدوى الأمر الذى دعا إسرائيل إلى الوقوع فى الفخ حينما رأت حشوداً مصرية قبيل ٦ أكتوبر ١٩٣٧ إلى اعتقادها من أنها مجرد مناورة كسابقاتها ولم تكن تعلم أن الحرب ستنشب بالفعل إلا متأخرا ، ولسنا هنا بصدد ذكر تفاصيل خطة الخداع المصرية ولا يسعنا المجال لذلك حيث خُصص لها دراسات وكتب[1] .

## التوجيه السياسى والعسكرى للحرب لأول مرة

وبشجاعة المحاربين اتخذ الرئيس السادات قرار الحرب وحدد يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ العاشر من شهر رمضان المبارك ١٣٩٣ موعدا لبدء العمليات العسكرية على الجبهة المصرية وفى نفس الوقت تقوم القوات السورية بمهامها على هضبة الجولان ، واتخذ السادات قراره وهو يعلم أنه لا يغامر بمستقبله السياسى فحسب بل بمستقبل الأمة بأكملها ، ولكنه كان على ثقة كبيرة من النصر بتوفيق الله عز وجل ومن أبنائه من رجال القوات المسلحة المصرية خير أجناد الأرض حيث كان يقول دائما « لم يكن يخامرنى شك فى أن هذه القوات المسلحة كانت من ضحايا نكسة ٦٧ ولم تكن أبدا من أسبابها حيث لم يتح لها أن تقاتل وتثبت نفسها » ، وأصدر الرئيس توجيها سياسيًا وعسكريًا إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة حدد فيه الهدف

---

(١) من ذلك كتاب الخديعة لصلاح قبضايا .

الاستراتيجى من الحرب وذلك فى أول أكتوبر ثم أتبعه بتوجيه استراتيجى أخر فى ٥ أكتوبر ، ويعد هذا بمثابة تغييراً كبيراً أحدثه السادات فى المفهوم الاستراتيجى للقيادة السياسية للدولة ، وكما يقول اللواء «جمال حماد» . « لم يحدث فى جميع الجولات العربية الإسرائيلية السابقة وضع استراتيجية شاملة لمصر لتحقيق التنسيق والتوازن بين الهدف السياسى للدولة وقدراتها العسكرية ، وكانت القوات المسلحة فى الجولات السابقة تصدر لها الأوامر للاحتشاد فى سيناء دون أن يحدد لها الهدف العسكرى المطلوب تحقيقه ! »



توجيه إستراتيجي من رئيس الجمهورية
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

الى : الفريق أول أحمد اسماعيل على
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة

١- بناء على التوجيه السياسي العسكري الصادر لكم منى في أول أكتوبر ١٩٧٣ وبناء على الظروف المحيطة بالموقف السياسي والإستراتيجي :
قررت تكليف القوات المسلحة بتنفيذ المهام الإستراتيجية الآتية :
٢- إزالة الجمود العسكري الحالي بكسر وقف إطلاق النار إعتبارا من يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣
ب- تكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة من الأفراد والأسلحة والمعدات
ج- العمل على تحرير الأرض المحتلة على مراحل متتالية حسب نمو وتطور إمكانيات وقدرات القوات المسلحة
٣- تنفذ هذه المهام بواسطة القوات المسلحة المصرية منفردة أو بالتعاون مع القوات المسلحة السورية

أنور السادات
رئيس الجمهورية

٩ رمضان ١٣٩٣ هـ
٥ أكتوبر ١٩٧٣ م

نص التوجيه الاستراتيجى الصادر من الرئيس السادات

## عبرنا القناة وحطمنا خط بارليف

حينما أشارت عقارب الساعة إلى الساعة الثانية «١٤٠٠ بلغة العسكريين» ظهر يوم ٦ أكتوبر١٩٧٣، انطلقت ٢٢٠ طائرة مصرية من مرابضها محلقة فوق سيناء وانقضت بضربة جوية مركزة تدك مطارات العدو فى عمق سيناء ومراكز القيادة والسيطرة ومحطات الرادار والإعاقة الإلكترونية ومرابض نيران المدفعية للعدو، وبعد عبور طائرتنا بحوالى ٥ دقائق انطلقت المدفعية المصرية تهدر على طول جبهة القناة وتصب جحيم نيرانها فوق حصون خط بارليف واشترك فى هذا التمهيد النيرانى حوالى ٢٠٠٠ مدفع وهاون وصواريخ وهو أكبر حشد نيرانى فى عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية[1]، واستمر القصف النيرانى لمدة ٥٣ دقيقة بقوة وكثافة لم يسبق لها مثيل حيث تم خلاله إطلاق أكثر من ٣٠٠٠ طن من الذخيرة بمعدل ضرب عالٍ جداً وصل فى الدقيقة الأولى إلى ١٠٥٠٠ دانة[2] مدفعية بمعدل ١٧٥ دانة فى الثانية الواحدة! وتحت ستر نيران المدفعية بدأت موجات العبور من قوات المشاة المصرية بعد عبور المهندسين ورجال الصاعقة وأخذت تجدف بقواربها نحو الشاطئ الشرقى للقناة وتهتف مع كل ضربة مجداف «الله أكبر»، كانت بانوراما عسكرية رائعة عزفها أبطال قواتنا المسلحة المصرية واندفعوا فى حماس، ولم تمض سوى عشر دقائق حتى نجحوا فى رفع أول علم مصرى على الضفة الشرقية للقناة وخلال الساعات الست الأولى للحرب عبرت فرق المشاة الخمس قبل عبور الدبابات وإقامة الكبارى وقبل دقات ساعة الإفطار كان الجنود الصائمون قد استولوا على أهم النقط الحصينة فى خط بارليف وبحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ كانت قواتنا قد حققت نجاحا حاسماً فى معركة القناة،

(١) حشد مونتجمرى ٧٠٠ مدفع فى معارك العلمين وظل هذا أكبر حشد للمدافع حتى تخطته حرب أكتوبر بمراحل.

(٢) كان وزن الدانات التى أطلقت فى التمهيد النيرانى ٣ مليون كجم.

فقد عبرت أصعب مانع مائى فى العالم[1] وحطمت خط بارليف المنيع فى ١٨ ساعة وبأقل الخسائر الممكنة ! وهو رقم قياسى لم تحققه أى عملية عبور فى تاريخ البشرية كان هذا هو خط بارليف السد العالى العسكرى الذى علق عليه موشى ديان قبل ذلك ساخرا من المصريين قائلاً : « لكى تستطيع مصر عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف ، يلزم تدعيمها بسلاحى المهندسين الروسى والأمريكى معا » ! وخلال يومى ٧ ، ٨ أكتوبر استطاعت القوات المصرية توسيع رقعة الهجوم وتصفية بقية الجيوب الإسرائيلية والاستيلاء على باقى حصون بارليف مع إجهاض جميع هجمات العدو المضادة وفى يوم ٩ أكتوبر كانت المهمة المباشرة للجيش المصرى قد تحققت بعمق ١٢ ـ ١٥ كم تحت حماية المظلة الصاروخية وتكبدت إسرائيل خسائر فادحة فى تلك المرحلة حيث فقدت فى الدبابات وحدها «العنصر الرئيسى لقوات جيش الدفاع الإسرائيلى» حوالى ٤٠٠ دبابة فى الأيام الأولى للقتال لتبدأ بعد ذلك مرحلة تطوير الهجوم شرقاً للوصول إلى خط المضائق .

## الجانب السياسى للحرب :

كان الرئيس السادات يعلم أن عليه خوض معركة على الجبهة السياسية موازية لمعركة قواته على الجبهة العسكرية فكان يعلم أن الحرب بلا شك ستحرك الموقف الدولى فكان عليه أن يساير الموقف سياسياً لاستكمال تحرير الأرض فقد سبق أن أشرنا أن حرب أكتوبر كانت وسيلة لتحرير الأرض ولم يكن هدفها تحريرًا شاملاً لكل سيناء لأن ذلك لم يكن ممكنا بالنسبة لإمكانات قواتنا المسلحة تسليحاً وتدريباً

(١) من المعروف دوليا أن أصعب الموانع المائية فى العالم اثنان لا ثالث لهما ، وهما قناة السويس وقناة بنما نظراً لانفرادهما بطبيعة خاصة للمياه والعمق والعرض وإذا أضفنا إلى كل ذلك ما أضافته إسرائيل على تلك الطبيعة من خط بارليف وحصونه القوية ، ومواقع الإشعال البترولى التى تحول القناة لجحيما إلى جانب سمك الساتر الترابى فإن ذلك كله كافٍ للدلالة على استحالة عبور المصريين لقناة السويس .

ولكن كانت تستهدف عبور قناة السويس واقتحام خط بارليف وإقامة رؤوس الكبارى ثم تطوير الهجوم شرقا للوصول إلى المضايق على أن تقوم السياسة بدورها فى استعادة كامل سيناء وقد نفذت قواتنا المرحلة الأولى من الخطة بأداء بطولى رائع أدهش قادة العالم وذلك فى حدود إمكانياتها ، وبالتالى فقد حققت الهدف السياسى المباشر وهو كسر جمود الموقف السياسى لذا كان على السادات أن يبدأ عمله السياسى فى إطار استكمال الهدف الاستراتيجى الشامل وهو تحرير سيناء .

## رسالة إلى كيسنجر يدينون بها السادات !

قرر الرئيس السادات ، يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ ، إقامة اتصال مباشر مع الأمريكيين وذلك عن طريق تكليفه «حافظ إسماعيل» مستشار الأمن القومى بإرسال رسالة إلى نظيره الأمريكى «هنرى كيسنجر» أوضح فيها السادات هدفه من الحرب وهو إنهاء الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية مع تحقيق تسوية سلمية شاملة لا جزئية فى الشرق الأوسط ، غير أن كثيرين علقوا على جملة فى الرسالة اعتبروها خطيرة للغاية ! وهى « لا تعتزم مصر تعميق الاشتباكات ، أو توسيع المواجهة » واعتبرها الأستاذ الكبير «محمد حسنين هيكل» وغيره أن ذلك خطأ سياسى فادح من الرئيس السادات ! وآثاروا عليها ضجة كبرى حيث زعموا أن السادات بذلك أفشى نوايا الهجوم ومداه وأهدافه للعدو الإسرائيلى عن طريق حليفه الولايات المتحدة الأمريكية ، وهو ما أدى إلى تصرف كل منهما على هذا الأساس ، الأمريكيون سياسياً بمشاغلة المصريين ووعدهم بتحقيق التسوية ، وإسرائيل عسكرياً وذلك باستعدادها لشن هجوم مضاد لضمانها عدم تقدم المصريين أكثر مما حازوا ! ، وبالطبع كان هذا التحليل فاسداً وعامداً إلى تشويه السادات إلى حد بعيد لعدة أسباب : فالرئيس السادات كان كل مغزاه من الرسالة هو أن يحسن علاقاته مع الأمريكان وإمكانية تحييدها فى الأدوار الدبلوماسية القادمة وقد أوضح كيسنجر ذلك فى مذكراته حينما قال: « عندما أقمنا جسراً جوياً

وأرسلنا السلاح المطلوب لإسرائيل ، وأصبحت الحرب تميل لغير مصر ، فعلى الرغم من كل هذا لم نشعر بوجود ضغينة فى مصر ضد أمريكا وكان هذا حسن تصرف منه – يقصد السادات – حتى لا يستميلنا إلى جانب إسرائيل فى الأدوار الدبلوماسية المقبلة.. ويمكن اعتبار هذا تفهماً رائعاً للأمور من وريث عبد الناصر ، بعد مرور عشرين عاماً من العداوة » .

وكان السادات يعلم استحالة أن توافق الولايات المتحدة على الشروط الواردة فى الرسالة أو حتى تفكر فيها فى هذا الوقت المبكر من الحرب « ٧ أكتوبر» حيث لم يتضح بعد المواقف والنتائج النهاية للصراع العسكرى بين قوات الجبهتين والذى يستحدد على معالمه شكل التحرك السياسى المنتظر ويؤكد هذا «كيسنجر» أيضا فى كتابه «الأزمة» فى إطار حديثه للرئيس «نيكسون» عن رسالة السادات ثانى أيام الحرب حيث قال لنيكسون « لقد أرسل لى إسماعيل رسالة تقترح إطارا للمفاوضات وهو «ليس مناسبًا بعد» ..... يجب علينا أولا وقف الحرب وبعد ذلك تأتى الدبلوماسية » ولذا كان هدف السادات هو حقيقة وصول الرسالة كخطوة غير معتادة ستفيده بلا شك فى المفاوضات السياسية القادمة وليس محتوى الرسالة الذى ركز البعض نقدهم عليه كما أراد السادات أن يقول لأمريكا أن هدف الحرب هو استعادة الأراضى العربية وليس القضاء على إسرائيل وهكذا كانت دائما استراتيجية السادات السياسية والتى كانت ذات رؤية مستقبلية بدت غامضة ومستفزة للكثير من معاصريه ، وقد يبدوا تحليلهم مقبولاً لو أن السادات لم يعمق هجومه بالفعل ووقف عند آخر نقطة احتلها فى هذا اليوم « ٧ أكتوبر» إلا أن القوات المصرية واصلت تدفقها عبر سيناء لتعميق رؤوس كباريها واستطاعت خلال يومى ٩ ، ٨ أكتوبر توسيع الكبارى لتصل إلى عمق «١٠ – ١٥كم» بعد أن كانت بعمق «٥ –٨كم» فى ٧ أكتوبر يوم إرسال الرسالة الخطيرة كما يقولون ! ثم على أى أساس كان يطلب السادات فى نفس يوم إرسال الرسالة جسرًا جويًا

سوفيتيًا من السفير السوفيتى الذى بدأ تدفقه من ٩ أكتوبر والذى ردت عليه أمريكا بجسر جوى ضخم لإسرائيل خسرت به الكثير من الأموال كما دفعت العرب لحظر البترول عنها وهى تدرك -كما يزعمون- من أن مصر لن توسع نطاق المواجهة ! هل كان كل هذا عدم توسيع مواجهة من وجهة نظرهم ! ثم منذ متى وطبقاً لأى سياسة سليمة أن يصدق القادة كل ما يعلنه الأعداء من تصريحات ورسائل ! فمن المعروف أن كل طرف يسعى إلى تضليل الطرف الآخر بأى وسيلة ، وهل سيعتمد الأمريكيون على رسائل السادات التى تبين لهم حدود أوضاع قواته أم على رسائل وصور الاستطلاع الجوى والأقمار الصناعية التى يمتلكونها والتى تحدد بدقة أوضاع القوات المتحاربة ! وما هى الذكرى الطيبة التى يحملونها للسادات لكى يصدقوه خاصة وأنه تفنن فى خداعهم طوال عام كامل بأنه لن يحارب ثم فاجأهم بالحرب ! إنها أسئلة ليس لها إلا إجابة واحدة تقودنا إلى خطأ تصور الأستاذ «هيكل» ومؤيديه لفحوى الرسالة . وطُلب من الرئيس السادات أكثر من مرة وقف إطلاق النار ولكنه رفض وربط وقف إطلاق النار بانسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية فما الذى يدعو مصر إلى وقف إطلاق النار فى الوقت الذى كانت قواتنا المسلحة تحقق النجاح تلو الآخر منذ بدء الحرب وتستنزف العدو من تحت مظلتها الصاروخية . كان الرئيس السادات يرمى إلى أفضل استثمار للنصر العسكرى فى تحركه السياسى .

## الوقفة التعبوية الطويلة :

كانت القوات المصرية قد حققت المرحلة الأولى من الخطة «بدر» بنهاية يوم ٩ أكتوبر وكان عليها أن تنتقل للمرحلة التالية بعد وقفة تعبوية أو «بدونها» حسب الموقف وهى تطوير الهجوم شرقاً للوصول إلى خط المضائق ، وكان من الواضح أن الوضع والموقف على الجبهة يشير إلى ضرورة تطوير الهجوم شرقاً وعدم إطالة زمن الوقفة التعبوية استغلالاً للروح المعنوية العالية للقوات ، واستثماراً للارتباك الذى

يسود القيادات الإسرائيلية ، واستمراراً للحفاظ على المبادأة من الجانب المصرى ، وعدم تسليمها للقوات الإسرائيلية ، وحرمان العدو من أى وقت يستطيع فيه تجهيز قواته وتنظيم دفاع قوى مجهز بعد خط بارليف ، إلا أن الفريق «أحمد إسماعيل» آثر إجراء وقفة تعبوية يتم فيها تعزيز رؤوس الكبارى وتدعيمها واستغلال الدفاع الجوى الجيد الذى تتمتع به القوات داخل رؤوس الكبارى فى إسقاط أكبر عدد من الطائرات الإسرائيلية واستنزافها والتى من المؤكد أنها ستهاجم القوات خلال الوقفة وكان وزير الحربية شديد الحذر بصفة مبالغ فيها فيما يخص تأمين رؤوس الكبارى الأمر الذى أدى إلى البطء فى تنفيذ خطة تطوير الهجوم نحو الشرق . وكان يساند هذا الرأى رئيس الأركان الفريق «الشاذلى» (كان يعارض التخطيط للوصول إلى المضايق الجبلية الغربية لسيناء أصلاً) بينما كان من مؤيدي الاستمرار في الهجوم ، رئيس هيئة العمليات اللواء «الجمسى» حيث كان يرى ضرورة استغلال الموقف لتطوير الهجوم شرقاً طبقاً للخطة دون أن نتوقف طويلاً حتى نحرم العدو من فرصة تدعيم مواقعه أمام قوات الجيش . وهذا يعنى أن استئناف الهجوم يتم فى الظرف الأفضل لنا والأسوأ للعدو . وكان رئيس هيئة العمليات محقاً فى رأيه ؛ حيث سنرى من خلال سير القتال أن إطالة زمن الوقفة التعبوية سيتيح للقوات الإسرائيلية وقتا كافياً لتنظيم صفوفها من جديد وتحسين أوضاعها على الجبهتين المصرية والسورية وانتقال المبادأة لديها لأول مرة منذ نشوب القتال الأمر الذى سيؤثر على نجاح عملية تطوير الهجوم فيما بعد .

## الجسر الأمريكى لإنقاذ إسرائيل

لم تكف أمريكا عن مساندة إسرائيل سياسياً وعسكرياً منذ بدء نشوب القتال ورغم ذلك استطاعت قواتنا المسلحة إيقاع خسائر فادحة وجسيمة فى الجانب الإسرائيلى طوال أسبوعين من القتال الأمر الذى دفع «جولدا مائير» رئيسة الوزراء الإسرائيلية إلى الاستغاثة بالرئيس الأمريكى «نيكسون» الذى كان يعانى وقتها من

إخفاقه فى حرب فيتنام واتهامه فى فضيحة «ووترجيت» مما جعله فى موقف صعب أما اللوبى اليهودى فكان قراره بإنشاء جسر جوى أمريكى ضخم تستخدم فيه طائرات النقل العسكرية الأمريكية العملاقة لنقل كل ما تحتاجه إسرائيل من أسلحة وعتاد متقدم ، إلى ميدان القتال مباشرة ، مستخدمة ٢٢٨ طائرة نقل[١] نفذت ٥٦٩ طلعة ، نقلت خلالها ٢٢،٥ ألف طن احتياجات ، واستمر هذا الجسر ٣٣ يوماً (١٣ أكتوبر ـ ١٤ نوفمبر ١٩٧٣) ، هذا بخلاف ما تم شحنه بحراً والذى بلغ ٣٣٢١٠ طن ، وكانت الولايات المتحدة تعلم أنها ستدان بلا شك على هذا الإجراء بغض النظر عن حجمه زاد أوقل لذا فكانت سياستها فى هذا الجسر هو ما قاله كيسنجر « سوف يتم توجيه اللوم لنا لإرسالنا ثلاث طائرات تماماً كما سيتم توجيه اللوم لنا لو أرسلنا ثلاثمائة طائرة . لن ندع الروس يتصرفون هناك بحرية » وأن « الولايات المتحدة لن تسمح للسلاح السوفييتى أن ينتصر على السلاح الأمريكى مرة أخرى[٢]» وهكذا فتحت المخازن والمستودعات الأمريكية على مصراعيها فهى فى كل الأحوال مدانة سواء أرسلت قليل أو كثير ، وبالطبع يوضح حجم هذا الجسر الجوى الغير مسبوق مدى ما تعرضت له إسرائيل من خسائر فادحة ، وبالطبع شمل الجسر معدات الكترونية وأجهزة التشويش على الرادارات وكل ما أفرزته التكنولوجيا فى ذلك الوقت ، وقد قالت «مائير» عن الجسر الجوى

(١) كانت أبرز هذه الطائرات طائرات « الجلاكسى » العملاقة ، وهى أضخم طائرة نقل عرفها العالم ، وعندما تقف على سطح الأرض فإنها تشغل مساحة تماثل نصف مساحة ملعب كرة قدم ، ويرتفع السطح العلوى لذيل هذه الطائرة إلى ما يوازى ارتفاع عمارة من ٧ طوابق ! حتى أن جولدا مائير عندما شاهدتها انبهرت من منظرها وضخامتها ، وكانت هذه الطائرات تهبط فى مطار اللد بالعريش بمعدل طائرة كل ١٥ دقيقة !.

(٢) كانت المرة الأولى هى الحرب الهندية الباكستانية التى انتصرت فيها الهند حليفة الاتحاد السوفييتى ، وقد صرح كيسنجر لهيكل فيما بعد « لايمكن للولايات المتحدة اليوم أو غداً أن تسمح للأسلحة السوفييتية بأن تحرز نصراً كبيراً على الأسلحة الأمريكية حتى وإن لم يكن هذا النصر حاسما . وهذه المسألة لا تتصل بكم أو بإسرائيل بل هى تتصل مباشرة بتوازن القوى بين الدولتين العظميين » .

الأمريكـي : « إن الشـعب الإسرائـيلى لا يمكنـه أن ينسـى أبـداً تلـك الطـائرات الأمريكية التى أعادت له الحياة » . ومن الملاحظ أن هذا الجسر قد بـدأ مـن يـوم ١٣ أكتوبر وهو اليوم السابق لتطوير الهجوم المصرى شرقا نحو المضايق والذى تصدت لـه إسرائيل ، كما أن أبرز الأيام التى تميزت بضخامة حجـم المجهـود الجـوى المخصـص للنقل إلى إسرائيل هى أيام الفترة التى حدثت فيها «ثغرة الدفرسوار» وهـذا يعطينـا دليلاً دامغًا أن أحد الأسباب الرئيسية للثغرة هو تدخل أمريكا فى الحرب .

### الموقف على الجبهة السورية :

كـان عـلى السـوريين التقـدم بسرعـة كبـيرة ومتواصـلة دون توقـف عـلى عكـس المصريـين المـرتبطين بطبيعـة سـيناء الطبوغرافيـة ؛ نظـراً لطبيعـة الاخـتلاف الجغـرافى والاستراتيجى بين الجبهة المصرية والسورية فقد تميزت الجبهة السـورية عـلى الجبهـة المصريـة بعـدم وجـود مسـاحات مائيـة كقنـاة السـويس مـثلا فى سـيناء أو مسـاحات صـحراوية تحجـز مـابين القـوات السـورية والإسرائيليـة بالإضـافة إلى صـغر عمـق الجولان الذى لا يزيد عن ٢٥ كم بالنسبة لعمق سيناء الذى يصل إلى ٢٠٠ كـم فـلا يوجد أى مجال للتوقف لذا كان عـلى المـدرعات السـورية أن تواصـل تقـدمها إلى أن تصل لنهر الأردن لتحرر الجولان ومن الصعب على إسرائيل ردها إذا وصلت لهـذه المرحلة حيث تستطيع تهديد الكثافـة السـكانية في شـمال إسرائيـل والأهـداف الهامـة والحيوية بها، مثل القرى والمدن ، ومطارات رامات دافيد والمطلـة وصـفد وطبريـة ، ومشروع تحويـل نهـر الأردن ، لوقوعهـا جميعـاً في مـدى رمـى المدفعيـة والصـواريخ بعيدة المدى السورية ، وهو ما أدركه الإسرائيليون فى الأيام الأولى لذلك فقـد نقلـوا مجودهم الرئيسى إلى هضبة الجولان بعد أن كان مركزا على الجبهة المصرية فى البدايـة لأن وصول السوريين إلى هـذه المرحلـة لا يهـدد إسرائيـل بخطـر الهزيمـة فقـط وإنـما سيهدد الوجود الإسرائيلى ذاته ، ولذلك فبينما كانت الجبهة السورية تحقق نجاحات عـلى جبهتهـا حتـى اسـتطاعت تحريـر نصـف الجـولان فى اليـومين الأولـين مسـتغلة

عنصر المفاجأة وفضل المبادأة Initiative وسرعة اندفاعها استطاعت إسرائيل أن تغير الموقف للنقيض واستطاعت صد الهجوم السورى وإيقافه تماماً ، وانتزعت المبادأة ، وانتقلت إلى الهجوم المضاد وبدأت في الضغط على القوات السورية ، لإجبارها على الارتداد حتى استطاعت إسرائيل إلى استرداد الأراضى التى خسرتها والوصول إلى خط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧ والمعروف باسم الخط الأرجواني والذى بدأ منه السوريون الهجوم ، أى عاد الوضع إلى ماكان عليه قبل الحرب ! ، أى عاد الوضع وواصل الإسرائيليون تقدمهم حتى كانت دمشق فى مرمى المدفعية الإسرائيلية وقصفتها فى ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ . وكان الإسرائيليون قد أشاروا إلى أسباب تراجع الهجوم السورى وفشله بعد أن اكتسب نصرا سريعا فى بداية المعركة وقالوا أن أبرز الأسباب كان افتقار سوريا إلى قيادة وسيطرة يناسب حجم قواتها في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهذا ما كلفها الكثير وهو ما أدى إلى أن العديد من الوحدات تقدمت دون سيطرة كما أنهم لم يكن لديهم قدرات استطلاع جوي حقيقية ، أو قدرة على تخطيط المهام وزجوا بطائراتهم في القتال ، مستخدمين طلعات جوية ، كانت السيطرة عليها فقيرة ، وألقت بمقاتلاتها في وجه قوة مقاتلات إسرائيلية أعلى تدريباً ، وأحسن تنظيماً .

## تطوير الهجوم شرقاً نحو المضايق :

نتيجة للموقف السيئ للقوات السورية في الجولان ، والضغط الإسرائيلي عليها ؛ فى ١١ أكتوبر أرسل الرئيس «حافظ الأسد» إلى الرئيس السادات يطلب منه ضرورة أن تطور القوات المصرية هجومها شرقاً عبر سيناء بأقصى سرعة ، حتى يضطر الإسرائيليون لسحب جزء من قواتهم من الجبهة السورية ، التي يركزون عليها. فى اليوم التالى مباشرة أصدر الرئيس «السادات» أمراً إلى وزير الحربية ، بتطوير الهجوم شرقاً على الجبهة المصرية ، لتخفيف الضغط على الجبهة السورية . أمر القائد العام بتطوير الهجوم يوم ١٣ أكتوبر ، «مع تأمين رؤوس الكباري» .

ولكن لأسباب فنية عسكرية طورت القوات هجومها يوم ١٤ بدلاً من يوم ١٣ أكتوبر . وضعت خطة جديدة للتطوير تختلف عن الخطة الأصلية نتيجة للقيد الذى وضعه وزير الحربية وهو «التمسك برؤوس الكباري شرق القناة » نتيجة لحذره الشديد ، وبالتالى وضعت الخطة الجديدة فى ضوء هذا القيد ، حيث لن تكون القوات المشاركة فى التطوير بنفس الحجم والكثافة التى كان مقرراً أن تشارك بها فى الخطة الأصلية حيث كانت تتضمن تحرك الخط الدفاعى المصرى بأكمله من منطقة رؤوس الكبارى على عمق ١٠ - ١٢ كيلو متراً شرق القناة إلى خط المضايق ، ولكن تم دفع مفارز أمامية تم تخصيص معظمها من الفرقتين ٢١ المدرعة ( قطاع الجيش الثانى ) والفرقة ٤ ( قطاع الجيش الثالث ) من غرب القناة إلى شرق القناة لتطوير الهجوم مع عدم المساس بالفرق الخمس شرق القناة لضمان تأمين رؤوس الكبارى .

كانت طائرة أمريكية قد اخترقت مجالنا الجوى فى ١٣ أكتوبر وقامت بجولة شاملة لكل الجبهة المصرية واستطاعت أن تلتقط صورا لأوضاع قواتنا بدقة ولم يستطع دفاعنا الجوى التصدى لها لأنها تطير خارج مدى صواريخه كما أن مقاتلتنا لا تستطيع اللحاق بها لأنها كانت تحلق بما يعادل ثلاثة أمثال سرعة الصوت (٣ماخ) ، وبذلك حصلت إسرائيل على معلومات كاملة عن أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة ، خاصة أوضاع قوات التطوير ، وكان هذا الاستطلاع الجوى الأمريكى أول تدخل عسكرى علنى لأمريكا فى الحرب لصالح إسرائيل وبهذا أصبحت إسرائيل تعرف بدقة أوضاع القوات على الخطوط الدفاعية ، والثغرات بينها ، وحجم القوات المتبقية في الغرب ، وأوضاعها كذلك . بدأ تطوير الهجوم المصرى فى ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ إلا أنه منى بالفشل وواجه مقاومة شديدة من الإسرائيلين نتيجة لمعرفة إسرائيل لنتائج الاستطلاع الجوي الأمريكية واطلاعها على السيناريو المتوقع للهجوم المصرى مسبقاً إلى جانب عدم كثافة القوات المصرية المشاركة فى التطوير مقارنة بالقوات الإسرائيلية على الجانب الآخر ؛ ونتيجة لفشل

الهجوم تم سحب القوات المصرية المشاركة فى التطوير مرة أخرى داخل رؤوس الكباري ، وبفشل تطوير الهجوم انتقل عنصر المبادأة لأول مرة منذ نشوب الحرب فى أيدى القوات الإسرائيلية مما مكنها من تجهيز قواتها لتنفيذ هجوم مضاد عرف باسم عملية «الثغرة» .

## قرار تطوير الهجوم شرقاً فى الميزان

لم يكن قرار السادات بتطوير الهجوم شرقاً إلا تنفيذاً للمرحلة الثانية للخطة «بدر» والتى كانت تستهدف الوصول إلى خط المضائق ، إلا أن القرار أُصدر فى التوقيت غير الصحيح وتم تنفيذه بالأسلوب غير الصحيح أيضاً ، وسبق أن أوضحنا ذلك . أثارت عملية تطوير الهجوم وتأخر تنفيذها وأسلوب تنفيذها أيضا الكثير من التساؤلات ؛ فالبعض تشكك فى أن يكون مخططاً أصلاً الاستمرار فى القتال للوصول للمضايق ، والبعض الآخر أخذ يحلل سبب فشل الهجوم وادعى أن القيادة المصرية أقحمت كل الاحتياطى غرب القناة فى عملية تطوير الهجوم مما كان له أكبر الأثر فى نجاح العبور الإسرائيلى غرب القناة فيما بعد ، كما ردد البعض إلى عدم توافر لدينا الإمكانات لتطوير الهجوم نحو الشرق وقد استند مؤيدو هذا الرأى إلى رأى الفريق «الشاذلى» الذى كان يردد دائما أنه كان معارضاً لخطة الوصول إلى المضائق سواء فى مرحلة التخطيط أو أثناء مرحلة إدارة العمليات الحربية بسبب تقيدنا بمدى حائط الصواريخ المصرى والذى كان قادراً على حماية قواتنا تحت مظلته بمسافة تتراوح بين ١٠ و ١٢ كيلومتراً شرق القناة ، وأن أى هجوم برى يتجاوز هذه المسافة سيؤدى إلى عواقب وخيمة حيث ستصبح قواتنا فى العراء دون غطاء جوى يحميها وستكون فريسة لطائرات العدو . وسنثبت أن هذه الآراء والتحليلات كلها خاطئة وتستند إلى أسباب واهية . أما الرأى الأول والذى يشكك فى وجود خطة فعالة للوصول إلى المضايق فيمكن الرد عليه بسهولة من خلال شهادة رئيس هيئة العمليات نفسها المخطط للعملية كلها حيث يقول اللواء

«الجمسى» « والحقيقة التى أقرها ، أن التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ ، لم يكن قاصراً أبدًا على الاستيلاء على خط بارليف كهدف نهائى . بل كان التخطيط يهدف إلى تحقيق هدف استراتيجى عسكرى أبعد من ذلك وهو الوصول إلى خط المضايق والاستيلاء عليه كهدف نهائى » . هل يعتقد هؤلاء أن قواتنا بعد العبور وتحطيم خط بارليف ستقف عند هذه المرحلة ساكنة دون أن يكون لها مهمة تالية مخطط لها! ولو أن ذلك صحيح فقد حققت قواتنا تلك المرحلة بنهاية يوم ٩ أكتوبر فلماذا إذن لم يوافق السادات على وقف إطلاق النار منذ ذلك الوقت حتى قبل تطوير الهجوم . أما بالنسبة لرأى الفريق «الشاذلى» ومؤيديه فإن اللواء «الجمسى» نفسه يرد على الفريق «الشاذلى» قائلاً « إن خطة حرب أكتوبر قد وضعت بعد أن استغرق العمل فيها وقتاً طويلاً بواسطة هيئة عمليات القوات المسلحة ... ووافق عليها الفريق الشاذلى رئيس الأركان وصدق عليها الفريق أول أحمد إسماعيل القائد العام بتوقيع كل منهما مع توقيعى على وثائقها قبل الحرب بوقت طويل . وطالما أن الخطة وضعت لتحقيق هدف استراتيجى عسكرى هو الوصول إلى المضايق ، فليس من المستساغ أن يقول رئيس الأركان أنه كان ضد تطوير الهجوم إلى المضايق فى مرحلة التخطيط . » أما بالنسبة لنقطة عجز صواريخنا عن توفير الحماية لقواتنا البرية فى حالة تطوير الهجوم نحو المضايق ، فليس هناك رد أفضل من رد اللواء « محمد على فهمى » قائد قوات الدفاع الجوي فيقول فى معرض شهادته عن حرب أكتوبر « إن قواتنا كانت مستعدة للتطوير ، لا كما يدعى بعض المؤرخين ، أن القوات المسلحة لم تكن قادرة على ذلك حتى لاتخرج من تحت مدى مظلة الصواريخ . وتصور هؤلاء المؤرخون أن هذه المظلة قد ثبتت فى الأرض ، ولا يمكن تحريكها. والحقيقة أن الخطة كانت تنص على انتقالات يومية لكتائب الصواريخ المضادة للطائرات إلى شرق القناة ، وذلك بعدد يتراوح بين ٨ ، ١٠ كتائب .وقبل تطوير الهجوم يوم ١٤ أكتوبر تم نقل ٩ كتائب للشرق يوم ١٢ أكتوبر لمد المظلة لحماية القوات القائمة

بالتطوير . وبتنفيذ المهمة النهائية عند منطقة المضايق كان من المخطط أن تكون جميع لواءات الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة غرب القناة قد انتقلت واحتلت مواقعها شرق القناة ، عدا لواءين للدفاع عن المعابر وقوات الاحتياطى العام .» كما يرى اللواء «الجمسى» فى مذكراته أن استئناف الهجوم يترتب عليه التحام قواتنا مع قوات العدو ، الأمر الذى سيجعل تأثير السلاح الجوى الإسرائيلي أقل . ومن هنا يتضح أن قرار تطوير الهجوم لم يكن خطأً فى حد ذاته ولكن توقيته وتنفيذه كان خاطئًا فكانت نتائجه مخيبة للآمال .

## هل كان السادات مسئولا عن ثغرة الدفرسوار:

لم تكن عملية الثغرة بالضخامة التى صورها الإعلام الإسرائيلى كما أنها لم تكن مجرد معركة تليفزيونية[1] كما صورها الرئيس السادات وإن أراد بهذا الوصف عدم تشويه إنجاز العبور العظيم . كان يهم أمريكا أن تستطيع إسرائيل أن تحقق أى نجاح على الجبهة المصرية قبل وقف إطلاق النار حتى يتحسن موقف إسرائيل أثناء المفوضات وللحفاظ على هيبة السلاح الأمريكى فى منطقة الشرق الأوسط وكانت إسرائيل هى الأخرى على استعداد للقيام بمغامرة عسكرية تنقذ بها سمعتها وتحفظ ماء وجه الجيش الذى لا يقهر أمام العالم و تحقق لها مكاسب سياسية وإعلامية ، مثل استيلائها مثلاً على أحد مدن القناة والمعروفة عالمياً لارتباطها بقناة السويس ، وحصار القوات المصرية ، فى رؤوس الكباري شرق القناة ، وتدمير بطاريات الصواريخ المصرية لفتح الطريق أمام الطيران الإسرائيلى للعمل بحرية ، كانت هذه هى أهداف الخطة الإسرائيلية وكانت تنتظر الفرصة لتنفيذها وقد ناقشت القيادة العسكرية الإسرائيلية أكثر من مرة خطة اختراق الدفاعات المصرية والعبور من منطقة الدفرسوار لوجود ثغرة مقدارها ٣٥ كم بين رأس كوبرى الجيش الثالث

(١) أطلق هذا المصطلح الجنرال الفرنسى ((بوفر)) رئيس معهد الدراسات الاستراتيجية عندما زار السادات فى القناطر الخيرية أثناء الحرب ووجده السادات مناسباً لوصف الثغرة .

ورأس كوبرى الجيش الثانى على شاطئ البحيرة المرة خالية من القوات المصرية ونظرا لما يحققه الموقع من مزايا أخرى عديدة ، ولكن المشكلة التى كانت تواجه الإسرائيليين هى وجود غرب القناة الفرقة ٢١ المدرعة ، التي تحمي ظهر الجيش الثاني ، والفرقة الرابعة المدرعة ، التي تحمي ظهر الجيش الثالث .وإن بقاء هاتين الفرقتين في أماكنهما غربي القناة كفيل بأن يسحق أي اختراق يقوم به العدو على طول الجبهة ؛ لذا أحجم الإسرائيليون عن تنفيذ خطتهم انتظارا لتغير الأوضاع على الجبهة .قامت طائرة الاستطلاع الأمريكية بنفس الجولة مرة أخرى يوم ١٥ أكتوبر وبالطبع نقلت نتائج الاستطلاع كاملة لإسرائيل ومنها انتقال الفرقة المدرعة٢١ إلى شرق القناة وأصبحت إسرائيل تعرف بدقة أوضاع القوات المصرية شرق وغرب القناة خاصة أوضاع قوات التطوير ، كما أصبحت تعلم أوضاع القوات على الخطوط الدفاعية ، والثغرات بينها ، وحجم وأوضاع القوات المتبقية في الغرب ومن هنا نلاحظ أن أمريكا بدأت تنزل بثقلها إلى المعركة لتواجه مصر إسرائيل والولايات المتحدة ! فبعدما طورت قواتنا هجومها فى سيناء يوم ١٤ أكتوبر لتطوير الهجوم واستطاعت إسرائيل صده وإلحاق خسائر بالغة به نتيجة معرفة إسرائيل المسبقة بالهجوم المصرى من خلال المعلومات التى استقتها من الاستطلاع الأمريكى للجبهة كلها ، وبعد فشل الهجوم المصرى أعطت إسرائيل الضوء الأخضر للجنرال «شارون» لتنفيذ خطة الثغرة التى تحمل الاسم العبرى Abiray Lev ويعنى «القلب الشجاع» وليس «الغزالة» Gazelle كما هو مشهور[1] واستطاع «شارون» التسلل إلى غرب القناة فى جنح الظلام بعد قتال عنيف ومعه حوالى ٢٠٠ من المظليين واحتمى فى منطقة أشجار كثيفة ثم أخذت الدبابات

(١) انتشرت تسمية الغزالة بين العديد من كتب العسكريين والمؤرخين نتيجة ترجمة خطأ من العبرية إلى الإنجليزية وقع فيها أحد مراسلى وكالات الأنباء الغربية كما يذكر – اللواء جمال حماد – فى كتابه: المعارك الحربية على الجبهة المصرية .

والمدرعات فى العبور بعد وصول العوامات وفى صباح ١٦ أكتوبر كان للعدو غرب القناة حوالى ٣٠ دبابة ( كتيبة دبابات ) وكان البلاغ الأول الذى وصل لمركز عمليات القوات المسلحة من قائد الجيش الثانى يفيد بعبور عدد محدود من الدبابات ( ٧- ١٠ ) وبالتالى كان التقدير الخاطئ من جانب قائد الجيش الثانى لحجم القوات التى عبرت غرب القناة هو أول الأخطاء المصرية فى موضوع الثغرة حيث ساعد هذا البلاغ على التهوين من أمر الثغرة وعدم التعامل معها بجدية منذ حدوثها ولكن «شارون» كان فى وضع خطير للغاية حيث كانت قواته غرب القناة معزولة تماما ولكنه أغار هو ورجاله على عدد من بطاريات الصواريخ متخذا من الأشجار الكثيرة في المنطقة المزروعة غرب القناة ستاراً له فظهرت فجوة Gap صغيرة عارية من نيران الدفاع الجوى مما سمح للطيران الإسرائيلى لأول مرة الفرصة فى التحليق فى هذه المنطقة بسهولة فركز هجماته على شريحة الأرض الواقعة تحت هذه الفجوة وبعد مقاومة عنيفة وخسائر فادحة على الجانبين المصرى والإسرائيلى نجح العدو فى ١٧ أكتوبر فى بناء أول كوبرى له فى منطقة الدفرسوار وفى مساء ١٨ أكتوبر كان للعدو فرقتان مدرعتان غرب القناة وإزاء هذا الموقف الخطير اجتمع الرئيس السادات بقادته للبت فى أمر الثغرة نظراً لأنهم رأوا استدعاءه بعد اختلافهم فى كيفية التعامل مع الثغرة وكان من رأى الفريق «الشاذلى» ضرورة سحب أربع ألوية مدرعة من الشرق إلى الغرب لمواجهة تهديد العدو الموجود غرب القناة إلا أنه صمت، ولم يعبر عن رأيه أمام السادات إلا أن القائد العام «أحمد إسماعيل» كان قد أطلعه على رأى الفريق «الشاذلى» قبل الاجتماع ، بينما رأى بقية القادة ضرورة الإبقاء على قواتنا شرق القناة كما هى دون سحب أى قوات رئيسية منها لأن سحب اللواءات المصرية من الشرق إلى الغرب سيؤثر على دفاعاتنا فى الشرق ولا يجب تعريض الإنجاز العسكرى الذى تحقق بوجود قواتنا فى سيناء إلى أى تهديد ، بجانب أن سحب بعض اللواءات من الشرق إلى الغرب سيؤثر معنوياً

على قواتنا التى ستظن أننا ننسحب وسيعود شبح الانسحاب من سيناء فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧ يسيطر عليهم ؛ وبناء على شرح القادة للموقف أصدر الرئيس السادات قراره « بعدم سحب أى جندى واحد من الشرق مع احتواء قوات العدو فى الغرب » ويقول المشير «الجمسى» عن هذا القرار « وما زلت أقول حتى هذا اليوم أن هذا القرار من وجهة نظرى كان صحيحاً وسليما لمواجهة الموقف الذى كان يواجهنا » كما قرر السادات أيضا قبول وقف إطلاق النار وبعث بذلك للرئيس حافظ الأسد ، ورأى الرئيس أنه حان الوقت لذلك خصوصاً بعد تدخل أمريكا بكل قوتها لتغيير مسار الحرب لصالح إسرائيل بعدما عانت الويلات وتجرعت كأس الهزيمة من الجيش المصرى ، وكان الرئيس واقعياً لأبعد حد وبعيد عن الحماسات الطائشة والمتاجرة بالشعارات أعلن الرئيس أنه غير مستعد لمحاربة أمريكا ورأى عدم المغامرة بالإنجاز الذى حققه جنودنا فى الشرق وضرورة الحفاظ عليه لاستثمار نتائجه فى المفاوضات السياسية ، وعلى الجانب الآخر كان الفريق «الشاذلى» قد أوضح أن عدم استجابة الرئيس السادات لسحب الألوية من شرق القناة كانت سبباً فى استفحال أمر الثغرة بالإضافة إلى قراره السابق بتطوير الهجوم ودفع الفرقتين المدرعتين ٢١ و ٤ على سيناء والتى تمثل الاحتياطى لنا غرب القناة والذى كان سببا فى نجاح عملية الثغرة ! وبالتالى فقد حمل الفريق «الشاذلى» الرئيس السادات مسئولية الثغرة من الألف إلى الياء متعللاً بأن قراراته السياسية الخاطئة هى السبب ! ولا أعرف ماذا كان ينتظر الفريق «الشاذلى» من الرئيس السادات وهو يرى كل القادة معارضين لاقتراحه بسحب الألوية من شرق القناة ، كان من الطبيعى أن يأخذ الرئيس السادات برأى أغلب القادة ، كما أن صمت الفريق «الشاذلى» عن الكلام أثناء الاجتماع يثير الدهشة خاصة وانه برر سكوته بأن الرئيس قد أخذ رأى الجميع ولم يأخذ رأيه، وأنه اتخذ قراره ولا مجال للمناقشة ! ولا أعلم لماذا لم يشرح الفريق «الشاذلى» وجهة نظره أمام الرئيس السادات خاصة وأنه أمر

عسكرى بحت ويحتاج الرئيس فيه إلى استماع رأى جميع القادة وتحليلاتهم فربما يقتنع السادات برأيه كما اقتنع برأيه قبل ذلك فى نظرية الحرب المحدودة ، وللشاذلى عبقريه عسكرية لا يمكن تجاهلها ، كما وصف الفريق «الشاذلى» القرار بأنه غير قابل للنقاش وربما ذلك يكون صحيحاً لو كان القرار سياسياً خاصة وأن السادات رأس القيادة السياسية مثل طرد السوفييت الذى اعتبره السادات غير قابل للمناقشة ، أو قراراً له أبعاد سياسية وقومية مثل قرار السادات بتطوير الهجوم بأقصى سرعة فى توقيت غير ملائم لاقى معارضة أغلب القادة العسكريين ، إلا أن قرار كيفية التعامل مع الثغرة أمر عسكرى بحت ويحتاج إلى الكثير من المناقشة للوصول إلى القرار الأمثل وهو ما فعله السادات واستمع لأراء جميع القادة إلا أن الفريق «الشاذلى» لم ينطق بأى شئ ، وهو نفس ما فعله السادات قبل ذلك حينما استمع لأراء القادة حول خطة الحرب واستطاع الفريق «الشاذلى» نفسه أن يقنعه برأيه بالحرب المحدودة رغم أن السادات كان قد اتفق مع الفريق «صادق» أن تكون الحرب شاملة ، فلماذا اعتبر الفريق «الشاذلى» القرار قابل للمناقشة فى هذه المرة واستطاع أن يعارض رأى وزير الحربية ويقنع السادات برأيه ولم يعتبر قرار الثغرة قابلاً للمناقشة ولم يبد رأيه للسادات فى الاجتماع ثم جاء بعد مرور سنوات عن الحرب ليتهم السادات بخطأ قراره ! ومن الواضح أن الخلافات بين الفريق «الشاذلى» و«أحمد إسماعيل» القائد العام حالت دون التعامل السريع والتعاون المنسق للتعامل مع الثغرة ، وصمم الفريق «الشاذلى» على حضور رئيس الجمهورية ليأخذ قراره فى هذا الأمر مع كون هذا أمر عسكرى استحدث على الجبهة ويحتاج العسكريون بفكرهم وخططهم السريعة وتعاونهم دون الانتظار للقائد السياسى الذى لن يكون ملما بالوضع أكثر منهم ، ولو اتفق الفريق «الشاذلى» مع رأى القادة جميعا لما تكلف الوضع كل هذا العناء وانتظار رأى رجل سياسى فى أمر عسكرى ! ولكن الفريق «الشاذلى» ألقى عن كاهله أى مسؤولية تجاه الثغرة وحمل الرئيس

السادات الذى طلب الفريق «الشاذلى» رأيه المسئولية كلها ! . لا نعفى السادات من المسؤولية باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة ؛ فلاشك أن قراره السياسى بتطوير الهجوم الذى لم يحالفه التوفيق كان بمثابة الضوء الأخضر للإسرائيليين للقيام بغمامرتهم العسكرية بالعبور غرب القناة ، وبالتالى فإن مسؤولية السادات كلها تنحصر فى نقطة واحدة وهى أنه أعطى الفرصة للإسرائيليين لتنفيذ خطتهم ، إلا إنه من المجحف أن نحمله مسؤولية نجاحها ، فنجاح العبور الإسرائيلى غرب القناة مرتبط بأخطاء عسكرية لا دخل للسادات فيها مطلقاً ، وقد اعترف بذلك الفريق «أحمد إسماعيل» ، كما أن اللواء «الجمسى» كان يرى أن عدم دقة المعلومات التى وصلتهم عن الثغرة بالإضافة إلى الجسر الجوى الأمريكى والتدخل الأمريكى فى الحرب من العوامل الرئيسية فى حدوث الثغرة . كما أسلفنا كانت نتيجة قرار تطوير الهجوم من جانب السادات «عاملاً مشجعاً» وأعطت الضوء الأخضر للإسرائيليين للقيام بعملية اختراق Penetration لنقطة ضعيفة فى الدفاعات المصرية إلا إنها لم تكن أبدا سبباً فى نجاحها وقد يكون ذلك صحيحاً لو أن القيادة المصرية أقحمت بالفعل كل الاحتياطى غرب القناة فى عملية تطوير الهجوم مما يساعد الإسرائيليين على توسيع الثغرة غرب القناة دون مقاومة تذكر نظراً لعدم وجود الإحتياطى ولكن الصحيح أننا لم نفعل ذلك فاللواء «الجمسى» يقول : أن « الجيش الثانى دفع الفرقة ٢١ مدرعة لتطوير الهجوم بينما احتفظ بالفرقة ٢٣ الميكانيكية ولواء مظلات ومجموعة صاعقة فى احتياطى الجيش فى الجانب الغربى للقناة . أما الجيش الثالث فقد استخدم لواءا مدرعا واحدا من الفرقة ٤ المدرعة للاشتراك فى تطوير الهجوم ، وظلت باقى الفرقة ٤ المدرعة فى الاحتياطى بالجانب الغربى للقناة » هذا بالإضافة إلى اللواء ٢٣ مدرع الموجود فى شرق القاهرة ضمن احتياطى القادة العامة ألم تكن تلك القوات غرب القناة بقادرة على تصفية الثغرة منذ اللحظة الأولى خاصة وأن قوات العدو الأولية التى عبرت غرب القناة بقيادة

شارون لم تتجاوز لـواء مظـلات ولم يكـن مـدعوماً بالـدبابات فى البدايـة ! أى أن أى قوة مصرية ضئيلة من احتياطينا غرب القناة كانت ستبيد هـذه القـوات المتسـللة لـو تعاملـت معهـا فى البدايـة ولكـن كـان التقـدير الخـاطئ مـن الجانـب المصرى لحجـم القوات المتسللة غرب القناة هو السبب فى عدم التعامل مع الثغرة مـن بـداياتها وقـد يعتقد الـبعض أنـه ربـما السـبب أن العمليـة فاجـأت المصريين ولم يكونـوا يتوقعونهـا ولكن من العجيب أيضاً أن القادة العسكريين وعلى رأسهم الفريق «الشاذلى» كـانوا يتوقعـون احـتمال عبـور إسرائيـل مـن الشرق إلى الغـرب بـل توقعـوا حتـى الأمـاكن المحتمـل أن يـتم اختراقهـا مـن جانـب العـدو ووضـعوا خططهـم فى مواجهـة ذلـك ودربـوا القـوات عليهـا ! حتـى أن شـارون قائـد الثغـرة قـال « لقـد كـان المصريـون يتوقعون فى خططهم احـتمال عبورنـا لقنـاة السـويس مـن الشرق إلى الغـرب ، ولقـد وقع ضابط المخابرات المصرى فى القطاع أسيراً فى يـد قـواتى ، وقـد عثرنـا معـه على خريطة تحدد بالضبط مكان عبورنا المحتمل وخطتنا بعد العبور » ! ولكن الأمـر كـما أسلفنا هو سوء تقدير من البداية فكـان مـن الواضـح بـراءة السـادات مما نسـبه إليـه الفريق الشاذلى .وبدأ التعامل مع الثغرة بجدية بعد قرار الرئيس السادات بتصـفيتها بالقوات المتواجدة غرب القناة ورغم نجاح الإسرائيليين فى العبـور غـرب القنـاة إلا أنها أصيبت بخسائر فادحة وكانت فى وضع سيئ للغاية رغم خطورتها حيث كانت فى شريحة ضيقة من الأرض وبدا أن شارون وضـع نفسـه فى مـأزق خطـير فعسـكريا فلا يعتـبر هجـوم شـارون حتـى ذلـك الوقـت أكثـر مـن مجـرد غـارة عـلى الـدفاعات المصرية لن تدوم طويلا إذا لم تدعـم وتوسع رقعة هجومها .





3) A decision on additional A-4s and F-4s will be made tomorrow to take advantage of the present refueling arrangements.

4) A sealift of equipment should be begun immediately with the maximum number of ships loaded and on their way.

5) A decision on a request for a supplemental for military assistance to Israel, Cambodia and selected other countries will be made following discussion in a LIG meeting Thursday morning at 9:30 a.m.

******************************************************************************

Secretary Kissinger: May we have the briefing?

Mr. Colby: briefed from the text at Tab A.

Secretary Kissinger: Tom (Moorer), do you have anything?

Adm. Moorer: I think the Canal crossing of those Israeli tanks is nothing more than a raid on the Egyptian air defenses. I don't think they can survive long.

Secretary Kissinger: Can they knock out anything?

Adm. Moorer: Yes, they already have knocked out three of the SA-2s.

Mr. Sisco: I've got a crazy idea that they might be trying to draw in some Egyptian aircraft.

Adm. Moorer: Yes, I think they're trying to clear some of the SAM area, with a view to sucking in some of the Egyptian aircraft, engage them in dogfights and knock some of them off.

Mr. Colby: Can't we find out what they have in mind?

Adm. Moorer: Yes, we'll ask them. Also, I think the Israeli attacks on Port Said are in response to Sadat's remarks about the missiles. I don't think the Egyptians have any Egyptian missiles. The Israelis think the Soviets have given them some SCUDs, and we have seen some on the docks at Nicolai, but we have no proof that there are any in Egypt.

Mr. Clements: Did I see a report that the Israelis had put a commando force into Port Said?

TOP SECRET/SENSITIVE
CODEWORD

إحدى الوثائق السرية التى أفرجت عنها الولايات المتحدة خلال الأعوام الماضية

وتشير الفقرة فى الوثيقة التى وضعت داخل الإطار المستطيل إلى رأى الأدميرال

«توماس مورير» من هيئة الأركان الأمريكية المشتركة عن الموقف الإسرائيلى غرب القناة فيقول : « أعتقد أن عبور الدبابات الإسرائيلية ليس أكثر من مجرد غارة على الدفاعات الجوية المصرية . لا أعتقد أن فى إمكانهم البقاء طويلا » .

حاول «شارون» التحرك لتوسيع رقعة هجومه قبل قرار وقف إطلاق النار وكان قد حاول الاستيلاء على مدينة الإسماعيلية ولكنه فشل وعاد مدحورا وفى ٢٢ أكتوبر كان موعد سريان وقف إطلاق النار، طبقاً لقرار مجلس الأمن الرقم ٣٣٨ وكان الإسرائيليون لم يحققوا أى هدف من هدفهم وكانوا فى وضع خطير للغاية وكان معنى وجودهم على هذه الخطوط هو فناؤهم ولهذا فعندما طلب اللواء «الجمسى» من الجنرال «أهارون ياريف» ضرورة انسحاب إسرائيل إلى خطوط ٢٢ أكتوبر وذلك فى مباحثات «الكيلو ١٠١» بعد ذلك ، رد ياريف بخبث « عزيزى الجنرال إن كلينا عسكريان وأنت تعرف أننا لن ننسحب أبدا إلى خطوط ٢٢ أكتوبر .. ننسحب إلى الشرق فى سيناء ولكن ليس إلى خطوط ٢٢ أكتوبر » ! وهو ما حدث بالفعل حيث انسحبت إسرائيل إلى داخل سيناء ولم تقبل أن تحصر نفسها فى الدفرسوار وذلك بعد المفاوضات . ولم تحترم إسرائيل بطبيعتها قرار وقف إطلاق النار كما أنها كانت ملزمة بذلك لتحسين وضعها غرب القناة ولا شك أن «هنرى كيسنجر» لعب دورا رئيسيا فى تعطيل صدور قرار يلزم إسرائيل بوقف إطلاق النار حتى يتسنى للإسرائيليين تحقيق أى مكسب فى الغرب وحاولت القوات الإسرائيلية الاستيلاء على مدينة السويس وذلك ابتداءا من يوم ٢٤ أكتوبر فى ظل هدفهم لاحتلال مدينة لها شهرة تحقق لها مكسبًا سياسيًا وإعلاميًا وعمل حركة أو مناورة التفاف OutFlanking Maneuver لتطويق الجيش الثالث ولكنها فشلت ومنيت بخسائر فادحة فى الدبابات والأفراد وذلك بفضل المقاومة الشعبية الباسلة لأبناء السويس، ومما هو جدير بالذكر أن «الإخوان المسلمين» بقيادة الشيخ حافظ سلامة قاموا بدور بطولى فى معركة السويس . وظلت القوات الإسرائيلية

محاصرة لمدينة السويس ، دون أن تحاول دخولها مرة أخرى ، حتى يوم ٢٨ أكتوبر وانتهاء القتال ، وكل ما استطاع الإسرائيليون فعله هو قطع طريق مصر - السويس الصحراوى - وقطع الإمدادات عن الجيش الثالث الميدانى وهذه الميزات التى حققها الجيش الإسرائيلى كانت بفضل اختراقه لقرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر حيث كان موقفهم فى غاية الصعوبة وقتها ، ومن هنا يتضح زيف الإعلام الإسرائيلى بأن قوات شارون فى طريقها إلى القاهرة ! ومن رحمة القدر بهم أنهم لم يتمكنوا من ذلك فليدخلوا إلى القاهرة بكثافتها السكانية العالية ليكونوا هشيما تذروه رياح ملايين البشر الذين يقطنون العاصمة خصوصاً وأنهم فشلوا فى دخول مدينة السويس التى لا تقارن كثافتها السكانية بالقاهرة ، وأن شارون البطل الإسرائيلى غامر بقواته غرب القناة وسبب لها خسائر فادحة ومما يؤكد كلامنا ما قاله «دافيد اليعازار» رئيس الأركان الإسرائيلى فى ٣ ديسمبر ١٩٧٣ عن العبور غرب القناة حيث قال : « ما زال شارون يواصل تصريحاته غير المسئولة للصحفيين محاولا أن ينتقص من جميع القادة ليظهر هو فى صورة البطل الوحيد ، هذا بالرغم من أنه يعلم جيدا أن عبورنا إلى الجانب الغربى من القناة كلفنا خسائر فادحة ، ومع ذلك فأننا لم نستطع طوال عشرة أيام من القتال أن نخضع أى جيش من الجيوش المصرية ، فالجيش الثانى صمد ومنعنا نهائيا من الوصول إلى مدينة الإسماعيلية ، وبالنسبة للجيش الثالث فإنه - برغم حصارنا له - فإنه قاوم بل تقدم واحتل بالفعل رقعة أوسع من الأراضى شرقا ، ومن ثم فإننا لا نستطيع أن نقول إننا هزمناه ..أو أخضعناه » . كم اعترف المؤرخ العسكرى الإسرائيلى المعروف «أورى ميلشتاين» فى حوار لإذاعة أورشليم الجديدة بمناسبة ذكرى أكتوبر بتلك الحقيقة واصفاً ثغرة الدفرسوار بأنها كانت «خطوة عسكرية استعراضية» لم تغير من نتيجة الهزيمة الإسرائيلية كما أنها كانت مجرد خطوة معنوية ، وتكشف عن خطة سيئة عسكريا وأن الادعاء بأنها دليل على الانتصار «كذب وتلفيق» ، وأكد أن الجيش المصرى

حقق أهدافه من الحرب . كما أنى لا أجد أفضل من اعتراف «شارون» نفسه بهزيمة إسرائيل ووضع قواته السيئ غرب القناة ، حيث أدلى «شارون» بشهادته حول الحرب فى حديث مطول مع «لويس هال» من مجلة «Foreign Affairs» عدد يناير ١٩٧٤[1] ، وتحت فقرة بعنوان «Israel Lost» تعرض المجلة نص شهادة «شارون» كالتالى :

"I've completely realized that all Israeli troops at the west cost of suez canal are hostages for the egyptian troops at war restoration، and the troops disengagement agreement was signed by Israel under the pressure of this point" .

وهنا يصف «شارون» فى معرض شهادته وضع الإسرائيلين السيئ غرب القناة فيقول « إننى أدرك تماماً أن كل الجنود الإسرائيليين الموجودين فى الضفة الغربية لقناة السويس رهائن لدى الجنود المصريين فى حالة تجدد القتال ، واتفاق فصل القوات الذى وقعته إسرائيل تحت ضغط هذه النقطة ».

وهكذا انسحبت قوات الثغرة إلى سيناء ولو كان الإسرائيليون يشعرون أن بمقدورهم عمل شيء فى وضعهم غرب القناة ما فكروا فى الانسحاب مطلقاً ، لقد كانوا فى وضع سيئ عسكريا كما فرضت عليهم عزلة سياسية شبه كاملة بعد أن أدانت معظم دول العالم إسرائيل أثناء الحرب وأنها السبب فى خطورة الوضع فى الشرق الأوسط وقطعت معظم الدول الأفريقية علاقاتها الدبلوماسية مع إسرائيل وهى العزلة التى خطط لها السادات قبل الحرب ونجح فيها وانفردت الولايات المتحدة بالدعم والمساندة الشاملة لإسرائيل عسكرياً وسياسياً لتضع تلك الحرب المجيدة أوزارها بتلقين الإسرائيليين درساً لن ينسوه ولتبدأ المرحلة الأخرى السلمية الذى خاضها السادات بعزم وإصرار حتى استرددنا سيناء كاملة.

(١) هذا العدد مترجم فى مجلة روز اليوسف عدد ٢٨ يناير ١٩٧٤ .

## السادات والشاذلى والصراع بين العقلية السياسية والعقلية العسكرية

لقد علمتنا دروس التاريخ أن عادة عندما تُقحِم القيادات السياسية نفسها فى قرارات عسكرية بحتة أو أن يتولى الساسة قيادات عسكرية وهى ينقصها العلم العسكرى ولا تحترف العمل العسكرى فإن العواقب تكون وخيمة وأقرب مثال لنا كمصريين هو كارثة يونيو ١٩٦٧ عندما تولى أمور الجيش قادة سياسيون من الضباط الأحرار لم ينالوا حظهم من العلم والخبرة العسكرية ، ومن منطلق الحكمة نفسها فإن إقحام القيادة العسكرية نفسها فى السياسة بمناوراتها وشمولياتها ومرونتها التى لا تتماشى مع العقلية العسكرية التى تقدس النظام بصولجان من الصرامة تؤدى إلى نفس النتيجة فالعقلية السياسية تتناول الموضوع من جميع أبعاده بشمولية تامة ، ولكننا نعرف أيضا أن الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى ، أو هى سياسة النار ؛ وبذلك تصبح الحرب والعمليات العسكرية فى النهاية إحدى أدوات السياسة التى تستغل نتائجها فى مناوراتها الاستراتيجية والتكتيكية وطبيعة تحركها على جميع المستويات . لاشك أن هذا مدخل هام قبل الحديث عن الصراع الذى نشب بين الرئيس السادات والفريق الشاذلى حول مجريات الحرب فكل طرف حمل الطرف الآخر الكثير من الأخطاء ، فمن جهة يرى السادات أن الشاذلى ارتكب بعض الأخطاء العسكرية أبرزها – من وجهة نظره – عدم تعامل رئيس الأركان بالجدية والسرعة المطلوبة مع الثغرة فى بداياتها ، ومن جهة أخرى يرى الشاذلى أن قرارات السادات السياسية الخاطئة مثل قراره السياسى بتطوير الهجوم ، وقراره بشأن التعامل مع الثغرة بعدم سحب أى جندى من الشرق واحتواء قوات العدو بالقوات الموجودة غرب القناة هى السبب الرئيسى فى استفحال أمر الثغرة ، كما كان الشاذلى كثير التعليق على سياسة السادات عامة منذ توليه الحكم وأنه أضاع بسياسته الخاطئة – من وجهة نظره – ثمار النصر العسكرى الذى تحقق فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كان السادات كرجل سياسة يدير الحرب من خلال منظوره السياسى وبها يخدم أهدافه السياسة التى يسعى إليها فكما قلنا أن الحرب ما هى إلا أداة من أدوات السياسة تستغل نتائجها للوصول إلى أهدافها ولذا كان يعنى السادات تماماً ما يقوله عندما قال للقادة العسكريين قبل الحرب أن مجرد تمكننا من كسب عشرة سنتيمترات من الأرض على الضفة الشرقية للقناة سيغير الوضع سياسياً ، وبالتالى فإن أى قرار أصدره السادات خلال مجريات الحرب بغض النظر عن نجاح تنفيذ القرار كان له بعد سياسى فى عقل السادات أراد تحقيقه وهو مالم يدركه الشاذلى لأنه نظر لقرارات السادات وحللها من منظوره العسكرى فقط وقد يقول البعض ولكن لابد أن يكون القرار مضمون نجاحه عسكرياً حتى يؤتى ثماره سياسياً ، نعم ولكن هناك قرارات سياسية مجرد القدرة على إعلان إصدارها ووضعها حيز التنفيذ عسكرياً تحقق بعض الأبعاد السياسية التى ينشدها رجل الدولة ؛ فقرار السادات مثلاً بتطوير الهجوم شرقاً إلى جانب رغبته السياسية بضرورة تطوير الموقف الحالى كان قراراً له بعد قومى وهو تخفيف الضغط على الجبهة السورية حيث كان السادات واقعاً تحت ضغط الداعى القومى وتحت الضغط من جانب الدول العربية حينما ضرب الإسرائيليون دمشق وكان من الصعب وقوفه ساكناً حيال ذلك بعد طلب الرئيس الأسد تطوير الهجوم تخفيفاً للضغط عليهم ، وبغض النظر عن نجاح تطوير الهجوم المصرى فى تخفيف الضغط على الجبهة السورية فقد أدت الخطوة غرضها سياسياً بالنسبة للسادات فى الاستجابة للداعى القومى والتضامن العربى الذى أراد السادات عدم خسارته بتجاهله لطلب الرئيس حافظ الأسد ، خاصة وأن السادات كان يعول آمالاً كبيرة على تضامن عربي نفطي ، في إطار سياسي ، لدعم الأعمال العسكرية ، ومن الجدير بالذكر أن نشيد بالدور البطولى للملك «فيصل» ملك المملكة العربية السعودية حينما قاد العرب إلى استخدام سلاح البترول فى المعركة والضغط به سياسيا على الموقف القائم وحظر تصدير البترول إلى

الولايات المتحدة الأمريكية .

أما بالنسبة لقرار السادات بالتعامل مع الثغرة فما هو إلا ترجمة لرأى أغلب القادة العسكريين وقتها بعدم سحب قوات من الشرق كما كان يريد الشاذلى الذى أراد سحب أربعة ألوية من الشرق فكان قرار السادات بناءً على رأى أغلب القادة ، وبالطبع فإن حسابات السادات السياسية أيضا كانت تتماشى مع رأى القادة ؛ فالإنجاز العسكرى الذى تحقق فى الشرق والذى يعد ورقة سياسية رابحة للسادات فى أى مفاوضات قادمة أراد السادات عدم المساس به وعدم اتخاذ أى إجراء من شأنه أن يؤثر على دفاعات قواتنا فى الشرق بسحب أى قوات منها إلى غرب القناة ، كما أراد السادات أن يظهر ثابتاً أمام عدوه وألا يظهر مرتبكاً يسحب جزء من قواته لمواجهة الموقف الجديد الذى فرضه الإسرائيليون ، ويظهر الجيش المصرى وكأنه ينسحب مرة أخرى إلى غرب القناة مما سيؤثر على الروح المعنوية للجنود وهو ماكان يريده الإسرائيليون ، فكان قرار السادات مهماً جداً لحفظ التوازن الاستراتيجي للقوات المصرية شرق وغرب القناة وسبق أن أثبتنا صحة قرار السادات وتبرئته من حمل المسؤولية كاملة بمفرده فى نجاح القوات الإسرائيلية فى العبور غرب القناة فى حديثنا عن الثغرة .

ذكر الشاذلى أيضاً فى مذكراته أنه لم تكن ترضيه سياسة السادات ولم يكن يقتنع بخدع السادات السياسية قبل الحرب وذلك عندما كان يعلن السادات أكثر من مرة اقتراب الحرب مع عدم استعداد قواتنا لذلك ولم يدرك الفريق «الشاذلى» أن السادات كان بذلك ينفذ أحد مناوراته التكتيكية الخادعة لعدوه والتى كانت سبباً رئيسياً فى تضليله باعتراف الإسرائيليين نفسهم وهنا يبرز الفارق بين العقلية العسكرية والعقلية السياسية الذى كان مدخلاً هاماً لهذا الموضوع فالقائد السياسى الذى يطالع الأحداث بنظر ثاقب ورؤية تامة شاملة من جميع الجهات كلاعب الشطرنج الذى يفكر ويدبر لكى يتغلب على منافسه ليس كالقائد العسكرى الذى

ينظر للأمر على الجبهة من وجهة نظره العسكرية البحتة ويحسب مكاسبه على أرض القتال فقط، فالسياسة أعقد مما نتصور وأشمل من أن نراها من زاوية واحدة ؛ ولذلك فإنه رغم نبوغ عقلية الشاذلى العسكرية والتى كانت عاملا هاما فى حرب أكتوبر ورغم ثقافته العسكرية الملحوظة فإن كل هذا لم يتح للفريق «الشاذلى» أن يفهم ويدرك مغزى تحركات السادات ومناوراته التكتيكية قبل الحرب وتحركاته وقراراته السياسية أثناء الحرب ووقع الفريق «الشاذلى» فى هذا الخطأ وأجهد نفسه فى تحليل وشرح لبعض الأمور السياسية التى كانت خاطئة من وجهة نظره ( وهو الرجل الذى تغلب عليه العسكرية ) ، كما وقع الرئيس السادات فى الخطأ نفسه حينما ذكر فى كتابه - البحث عن الذات - بعض التفاصيل العسكرية الفنية البحتة (وهو الرجل السياسى ) بشأن تعامل الفريق «الشاذلى» مع الثغرة فكان مثار سخرية وانتقاد الفريق «الشاذلى» وأوضح أن كلامه لا يرقى للعسكرية ، وكم كان دقيقا المشير «الجمسى» حينما بدأ مذكراته عن حرب أكتوبر بقوله : « إنى أعلم أن الحرب هى امتداد للسياسة بوسائل أخرى ، كما أننى على اقتناع بأن السياسة لها رجالها ، وهم القادرون على شرح سياسة مصر خلال الفترة من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٣ وما بعدها حتى عام ١٩٧٨ أفضل منى .. لذلك التزمت أن يكون للجانب العسكرى الأسبقية والأهمية فيما أكتب »، ولا شك أن السادات له دور كبير فى تهميش الشاذلى إعلاميا بعد ذلك، بعد الخلافات التى نشبت بينهم ، وبالرغم من كل شىء فإن عقلية عسكرية فذة مثل الشاذلى لا تتكرر كثيرا ولا يمكن بأى حال من الأحوال إنكار دوره الخطير فى خطة الحرب .

## العالم يعترف بإنجاز أكتوبر

لم أجد ختام لهذا الفصل أفضل من ختمه بشهادات العالم كله شرقه وغربه شهادة الصديق وشهادة العدو نفسه بإنجاز أكتوبر الخالد والحق ماشهدت به الأعداء .

« إن حرب أكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له إسرائيل وإن ما حدث في هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها ، وأدى كل ذلك إلى تغير عقلية القادة الإسرائيليين »

**موشى ديان ٢٥/ ١٢/ ١٩٧٣**

«إن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة تشتبك في حرب طويلة المدى مع إسرائيل التي تحارب اليوم لكي تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه حالتها في المستقبل البعيد نسبيا »

**الفيجارو الفرنسية ٢١/ ١٠/ ١٩٧٣**

« لقد غيرت الساعات الست الأولى من يوم ٦ أكتوبر ، عندما عبر الجيش المصري قناة السويس واقتحم خط بارليف، غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للشرق الأوسط »

**هارولد سييف مراسل**

**صحيفة ديلى تلجراف بالقاهرة ٢٩/ ١٠/ ١٩٧٣**

« لقد غيرت حرب أكتوبر الخريطة السياسية للشرق الأوسط، وحطمت حالة الركود، ودعمت من مركز الدول العربية وأظهرت أيضا الدور الحيوي الذي يمكن أن يلعبه الرجال تحت القيادة التي تتسم بالعزم والتصميم. »

**بريجادير جنرال**

**كنيث هنت - بريطانيا**

«لم أكن أعتقد أننا سنتكبد هذه الخسائر في الطائرات»

**بدور أينرك**

**طيار إسرائيلي سكاى هوك**

« لقد أذهلنا المستوى الممتاز للطيارين المصريين .. وكفاءتهم القتالية العالية »

**أورى يوسف أوار**

**ملازم أول طيار إسرائيلي**

«لعل أهم نتيجة استراتيجية للحرب، هي تنفيذ الهدف الأساسي للرئيس السادات من شن هذه الحرب وهو أن حالة اللاسلم واللاحرب قد انتهت بشكل مثير ولا تزال القوة المحركة التي نتجت عن الحرب مستمرة في فاعليتها حتى الآن»

**تريفور.ن.ديبوي الخبير العسكري الأمريكي**

«إن شعبنا سيظل مدينا لهؤلاء الأبطال الذين صمدوا و ضحوا فى سبيل عزة الوطن و كرامته »

**الرئيس الراحل أنور السادات**

«فاجأتنا حرب أكتوبر على نحو لم نكن نتوقعه ، و لم تحذرنا أية حكومة أجنبية بوجود أى خطط محددة لأى هجوم عربى»

**هنرى كيسنجر**

**وزير خارجية الولايات المتحدة ٢٨ / ١٢ / ١٩٧٣**

«إن كل يوم يمر يحطم الأساطير التى بنيت منذ انتصار إسرائيل عام ١٩٦٧ وكانت هناك أسطورة أولا تقول : إن العرب ليسوا محاربين و أن الإسرائيلى سوبرمان ، لكن الحرب أثبتت عكس ذلك»

**مجلة نيوزويك الأمريكية**

«دهشنا بما شاهدناه أمامنا من حطام منتشر على رمال الصحراء لكل أنواع المعدات من دبابات و مدافع و عربات إسرائيلية كما شاهدت أحذية إسرائيلية متروكة و غسيلا مصريا على خط بارليف»

**مراسل رويتر**

**فى اليوم الثالث للحرب**

«إن جميع الحروب الحديثة فى العالم أصبحت فى ذمة التاريخ عدا معركة أكتوبر ، فستظل فى ذاكرتنا نتدارسها لأعوام كثيرة قادمة لأنها غنية بالدروس التى لم نستوعبها بعد»

**أحد المعلقين العسكريين الغربيين**

«ليس أشق على نفسى فى الكتابة ، من بين كل الموضـوعات التـى كتبـت عنهـا فى هذا الكتاب ، قدر أن أكتب عن حرب أكتوبر ... إنها كارثة ساحقة وكابوس عشـته بنفسى وسيظل باقيا معى على الدوام»

**جولدا مائير فى كتابها حياتى**

«كان الجندى المصرى يتقدم فى موجات تلو موجات، و كنا نطلق عليه النار وهو يتقدم و نحيل ما حوله إلى جحيم و يظل يتقـدم و كـان لـون القنـاة قانيـا بلـون الـدم ورغم ذلك ظل يتقدم» .

**الجنرال شموائيل جونين**

**قائد جيش إسرائيل فى جبهة سيناء**

«إن حـرب أكتـوبر كانـت كزلـزال هـز إسرائيـل مـن داخلهـا، فأفقنـا عـلى واقـع جديد»

**موشي ديان**

«الجندى المصرى يبدى روحا قتالية قوية و كفائة فنّيـة عاليـة للغايـة ولا يفـاجئ بأى هجوم عليه وكأنه كان يمرّن ذهنه على استعراض سيناريو مهمّاتـه الموكولـة إليـه آلاف المرّات كل يوم..نحن نواجه جنديًا مصريًا مقتدرًا هذه المرّة»

**الجنرال ميتاهيو بيليد**

**١٩٧٣/١٠/٢١**

«يجب أن يفهم الجميع أن لكـل حـرب مفاجآتهـا ، وأن هنـاك أشـياء لابـد لنـا أن

نتعلّمها و أن نصحّح مفاهيمنا بخصوصها.....يجب أن يفهم الجميع أن الجندى المصرى كان المفاجأة الغير سارة لنا فى هذه الحرب».

**الجنرال دافيد أليعازر**

**رئيس الأركان الاسرائيلى**

«لقد وضعنا رأسنا فى فم الأسد....و لم ينقذنا سوى وقف إطلاق النار لأننا كنّا تحت رحمة استراتيجيّة «الأسنان فى اللحم» التى كان المصريّون على وشك اتّباعها معنا»

**الجنرال بوفر**

«إن القوات المسلحة المصرية قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى »

**الرئيس الراحل أنور السادات**

كان هذا جزء من اعتراف كل العالم بقيمة هذا الإنجاز الذى شكك فيه البعض ، وكم كان شيئا مؤلماً عندما أعلن السيد «حسن نصر الله» زعيم حزب الله عندما قال : إن إجبار إسرائيل على الخروج من جنوب لبنان هو أول انتصار حقيقى على إسرائيل منذ هزيمة ١٩٦٧ . إن النصر لا يتأتى من فراغ لقد بذلنا الكثير من العمل والجهد الشاق وعشنا سنوات مريرة نعد أنفسنا لهذا اليوم واثقين فى نصر الله وفى جنودنا خير أجناد الأرض الذين وعدوا أن يبذلوا دماءهم رخيصة لتحرير أرضهم وأوفوا بوعدهم مؤمنين بأهدافنا وبعدالة قضيتنا فأكرمنا الله عز وجل بنصره كما وعد فى كتابه الكريم :

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾



الاغتيال الثاني للسادات

# الفصل السادس

## السادات رجل السلام

◆◆◆



**« فى السلام الأبناء يدفنون آباءهم . أما فى الحرب فالآباء يدفنون أبناءهم »**

« كروزوس »

كان قرار مصر الذي أعلنه الرئيس الراحل محمد أنور السادات بطرح مبادرة السلام ، ثم زيارته التاريخية للقدس محل هجوم ونقد العرب كما تعرضوا للسادات بالتجريح والإهانة ، وأعتقد أن من سوء حظ الحكام العرب الذين رفضوا المبادرة أنهم عاشوا بعد ذلك ليروا سوء سياستهم وبعد نظر الرئيس السادات فسيناء عادت حتى آخر شبر فيها إلى السيادة المصرية Egyptian Sovereignity بينما مازالت باقى الأراضى العربية التى رفض أصحابها الوقوف إلى جانب مصر واتهموا رئيسها بالخائن محتلة حتى يومنا هذا ، وجاءوا بعد ذلك يستجدون السلام من إسرائيل فى ظروف أصعب وتحت شروط أسوأ بعد تآكل القضية ليرسخ العرب مقولة أنهم « شعب الفرص الضائعة » ، لقد أخذ السادات يستثمر ثمار حرب أكتوبر بذكاء شديد بينما اقتصر دور العرب على المعارضة وفقط . إن مصر حصدت ثمار الاتجاه العقلانى فى سياستها بينما لم يجن العرب شيئا من سياستهم المعتمدة على الشعارات العاطفية والمزايدات والمهاترات والخطب الحماسية ورغم كل ذلك مازالت خفافيش الظلام التى يخيفها ضوء الحقيقة تنهش فى شخص الرئيس السادات وتتهمه بالعمالة والخيانة ، لقد غامر السادات بمستقبله السياسى وقبل اتفاقية السلام من أجل استرجاع الأرض ودفع حياته ثمنا لاستشرافه المستقبل ، ماذا لو جارى السادات العرب وظل على موقفهم المتعنت ؟ هل كانت ستعود لنا سيناء كما عادت الجولان لسوريا أو غزة والقدس للفلسطينيين ؟! بل كنا سننتقل من قمة عربية إلى أخرى، ومن مفاوضات إلى مفاوضات كما يجرى حالياً مع القضية الفلسطينية ؟ هل كان التاريخ ليغفر للسادات لو صارت سيناء عبارة عن

مستوطنات وتحول الجيش والشعب المصرى إلى فصائل للمقاومة ؟ لقد حفظ السادات للشعب المصرى كرامته وهيبته التاريخية . إننى أستطيع أن أقول مطمئناً وبغير تناقض أن السادات يؤمن أنه لا يمكن أن يكون بيننا وبين إسرائيل سلام دائم ولكنه كان الحل الأمثل وقتها لاستعادة الأرض والتقاط الأنفاس وإعادة بناء وإعمار البلد ، حتى وإن ادعى السادات نفسه أمام العالم بأنه سلام دائم عادل شامل ؛ ولذا يمكن أن نطلق عليها هدنة ، ولذلك لم يعارض السادات أن يرضى غرور إسرائيل وأن يوهمهم بالمقابل ويوقع على بنود معاهدة السلام التى تتضمن الاعتراف بهم وبحقهم فى الوجود ، ولم يتحقق الإسرائيليون من هذا الوهم إلا بعد ذلك حينما قال بيجن فى أيامه الأخيرة متحسراً : « لقد أعطانا السادات ورقة .. وأعطيناه سيناء » ! .لقد قدمت سياسية السادات سيناء كاملة للشعب المصرى فماذا قدمت سياسية الحكام العرب المعارضين لشعبهم ؟! .

### وثبات سريعة فى سياسة الخطوة خطوة :

كانت حرب أكتوبر قد أدت مهمتها الاستراتيجية بخلق واقع جديد يفرض خروج أزمة الشرق الأوسط من حالة الجمود والسكون وفتح طريق السلام بالقوة لحل النزاع العربى الإسرائيلى بعد إهدار الحرب للنظريات العدوانية الإسرائيلية وهدم أركان نظرية الأمن الإسرائيلى ، وأن السلام هو السبيل المشروع والوحيد لإسرائيل لإنهاء صراعها مع العرب بعد أن أظهرت حرب ٧٣ فداحة الثمن التى ستدفعه إسرائيل باستمرار عدائها واحتلالها للأراضى العربية المحتلة ، وبالتالى فكما أسلفنا من قبل لم تكن الحرب فى حد ذاتها هدفاً ، ولكنها كانت أداة لا بديل عنها لتحقيق هدف الأمة العربية الذى استنزف الكثير من جهدها وجهد المجتمع الدولى دون جدوى[1] . وبعد أن حققت الحرب هدفها المنشود كان على القيادة المصرية ومن ورائها القيادات العربية السعى إلى دفع قضية السلام من خلال الجهود

(١) طه المجدوب – حرب أكتوبر – طريق السلام – ص ٤٩ .

السياسية استثمارا للنصر ، واتبعت مصر فى أعقاب الحرب ما يعرف بسياسة الخطوة خطوة لتحقيق السلام والتى اتبع فيها هنرى كيسنجر دبلوماسية المكوك[1] Shuttle Diplomacy بقطع رحلات سريعة مكوكية بين مصر وإسرائيل لبحث نقاط الاختلاف والاتفاق بين البلدين ، واستهلت مصر جهودها بتوقيع اتفاقية النقاط الست بين مصر وإسرائيل عند الكيلو ١٠١ فى ١١ نوفمبر ١٩٧٣ والتى كانت تركز على الالتزام بدقة بوقف إطلاق النار ، وفض الاشتباك والفصل بين القوات والعودة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر ، حصول مدينة السويس على الإمدادات اليومية من الغذاء والماء والأدوية ، كما يتم تبادل أسرى الحرب ، ثم اتفاقية فض الاشتباك الأول بين مصر وإسرائيل فى ١٨ يناير ١٩٧٤ والذى بمقتضاه انسحبت القوات الإسرائيلية من غرب القناة وسيطرة القوات المصرية سيطرة كاملة على الضفة الشرقية للقناة ، ثم أكملت القيادة السياسية المصرية سعيها لاتخاذ خطوة مشابهة على الجبهة السورية فكانت اتفاقية فصل القوات Disengagement of Forces الاسرائيلية والسورية الموقعة فى جنيف ٣١ مايو ١٩٧٤ والتى أسفرت عن انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى حرب أكتوبر كما عادت القنيطرة ( عاصمة الجولان ) إلى السيطرة السورية ، وخلال هذه الفترة كانت مصر تسعى بكل جهدها لتطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية قبل توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانى حتى كللت الجهود بافتتاح الرئيس السادات الملاحة الدولية فى قناة السويس فى ٥ يونيو ١٩٦٧ بعد غلقها ٩ أعوام ولتفتتح فى نفس اليوم التى وقعت فيه نكسة يونيو لتمحى آثار تلك الذكرى السيئة ويتحول يوم ٥ يونيو من ذكرى أليمة إلى يوم سعادة لكل المصريين وثمرة من ثمار النصر ويعود المصريون الذين تم تهجيرهم من مدن القناة مرة أخرى إلى مدنهم

(١) أشار البعض أن هنرى كيسنجر قطع حوالى ٣٠,٠٠٠ ميل لكى ينجز مهمة السلام فى الشرق الأوسط !

ودحض افتراء إسرائيل السابق بأن إعادة فتح القناة أمر مرهون بإرادتها وحدها وأن القناة فقد قيمتها ثم تم توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانى بين مصر وإسرائيل فى الأول من سبتمبر ١٩٧٥ تقدمت مصر بمقتضاها إلى خطوط جديدة فى سيناء وانسحاب إسرائيل من المضايق وعودة حقول البترول المصرية واستلامها

## فى الطريق إلى القدس

### جمود سياسى وحدث تاريخى فى إسرائيل

بعد توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانى بين مصر وإسرائيل والانتهاء من تنفيذه فى مارس ١٩٧٦ اتسم الموقف السياسى بالجمود وبدا أن قضية الشرق الأوسط ستعود إلى ركودها من جديد ولم يعد مجال لانتهاج سياسية الخطوة خطوة التى استنفدت أغراضها فالوضع الآن بصدد مرحلة تسوية سلمية شاملة فى الشرق الأوسط ، حيث كان عام ١٩٧٦ هو عام انتخابات الرئاسة الأمريكية مما يعنى انشغال الولايات المتحدة بالانتخابات وما يعقبها من ترتيبات الإدارة الأمريكية الجديدة ورسمها لمعالم السياسية التى ستنتهجها وملامح الدور الذى ستقوم به وتحديد أسلوب التحرك السياسى المطلوب ، كما تصاعدت أزمة الحرب الأهلية Civil War فى جنوب لبنان أسهمت فيها إسرائيل وذلك لإضعاف هذه الأطراف العربية وانشغال الأطراف العربية الأخرى كسوريا والأردن بتلك المشكلة ، واستغلال إسرائيل لهذا الوضع بغرض مماطلتها وتسويفها فى عقد «مؤتمر جنيف» الذى دعت إليه مصر عقب توقيع اتفاقية فض الاشتباك الثانية واتبعت إسرائيل سياسة المراوغة وتضييع الوقت والتسويف والمماطلة Procrastination حتى تدور القضية فى حلقة مفرغة لا تنتهى وكان السادات يعى ذلك جيدا ويعرف أن مرور الوقت ليس فى صالح القضية ، وبدأ انفراط العقد العربى وتمزق الصف العربى كما تلاشى تأثير سلاح البترول بشكل واضح ، وتبادلت الأنظمة العربية الحملات الإعلامية وتعرضت مصر للافتراءات والشتائم من إذاعة بغداد ، وإذاعة

منظمة التحرير الفلسطينية التى تبث من القاهرة حيث اعتبروا أن اتفاقية مصر الثانية لفصل القوات خيانة للقضية العربية وتعرضت مصر للمزايدات الوطنية من إخوانها العرب تماماً كما حدث فى أحداث غزة الأخيرة التى اندلعت فى ٢٧ من دسمبر ٢٠٠٨ وكأن التاريخ يعيد نفسه وكأن العرب لم يستوعبوا بعد دروس الماضى ، إلا أن هذا لم يدفع السادات إلى هجر القضية الفلسطينية كما عزا تطرف المنظمة إلى الإحباط الذى تعانيه من جراء التعنت الإسرائيلى.

وهذا ماجعل البعض يصف علاقة مصر بالقضية الفلسطينية والعرب بعلاقة الأب المتسامح بالولد الشقى ، ولكن إلى متى سيظل الأب متسامحا والولد شقيا، أخشى أن يأتى الوقت الذى يفقد فيه الأب تسامحه ولا يفقد فيه الولد شقاوته . وإزاء هذا الوضع رأى السادات أن القضية بدأت تتآكل وأن قوة الدفع لقضية الشرق الأوسط التى أحدثتها حرب أكتوبر بدأت تتلاشى ، فرأى السادات أن الوقت ليس فى صالحه وأن عليه بتحرك فعال يبرز القضية من جديد ويجعل قضية الصراع العربى الإسرائيلى محل اهتمام العالم وكان السادات دائما مؤمنا أشد الاهتمام بأهمية التحرك فى العمل السياسى وكان له مبدؤه فى ذلك بقوله « الذى لا يتحرك يتجمد والذى يتجمد ينعزل والذى ينعزل يختنق ويموت »، فبدأ السادات بزيارة الرئيس كارتر فى أبريل ١٩٧٧ بعد توليه رئاسة الولايات المتحدة وعرض على كارتر استراتيجيته للسلام فى الشرق الأوسط وأوضح له أن المشكلة الفلسطينية هى صلب قضية الشرق الأوسط وأن سيناء والجولان - كما يقول السادات - ليست إلا أعراضًا لمرض أساسى هو المشكلة الفلسطينية وأسفرت هذه الزيارة عن عدة نتائج أهمها على الإطلاق هو اقتناع الولايات المتحدة بضرورة إقامة وطن للفلسطينيين وإشراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مفاوضات السلام ، وتلا ذلك مباشرة حدث تاريخى هام فى إسرائيل حيث جرت انتخابات الكنيست التاسع فى ١٧ مايو ١٩٧٧ وفاز حزب الليكود اليمينى فى الانتخابات لأول مرة منذ قيام إسرائيل مزيحا بذلك

حزب العمل الذى - أسسه بن جوريون - كان ممسكا بالسلطة فى إسرائيل منذ قيامها فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وترأس الحكومة الجديدة «مناحم بيجن» زعيم حزب حيروت وزعيم منظمة الأرجون السابقة، وكان بيجن معتقلا بواسطة الروس ثم تولى قيادة منظمة الأرجون[١] السرية بعد قدومه إلى فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية وبدا كخليفة لمعلمه «فلاديمير زئيف جابوتنسكى» مؤسس الحركة التصحيحية الصهيونية والتى تعتبر أصل حزب حيروت الذى تزعمه بيجن فيما بعد، و الأرجون هى المنظمة التى مارست العديد من العمليات الإرهابية من أبرزها نسف فندق الملك داود بالقدس فى يوليه ١٩٤٦، ومجزرة دير ياسين فى أبريل ١٩٤٨، واحتلال يافا وسلب ثروات أهلها العرب حتى وُصِف بيجن عبر وسائل الإعلام بأنه إرهابى عنيف، جاء بيجن على رأس الحكومة الإسرائيلية الجديدة بهذا الماضى الأسود، وبعقيدته الصهيونية العنيفة المتطرفة التى يفتخر بها[٢]، ويعلن أن الضفة الغربية وقطاع غزة جزء من أرض إسرائيل التاريخية وأنه لن يستجيب للضغوط الخاصة بإجراء تسوية فى الشرق الأوسط لا تحقق لإسرائيل أمنها وأهدافها وأنه إذا ماتمت تسوية سلمية سيضع بنفسه الشروط التى يراها من خلال المفاوضات المباشرة مع العرب، كما أعلن أن السادات ليس بالرجل الساذج وأنه عدو لدود لإسرائيل، كانت هذه التصريحات صدمة للسادات، كما مثل انتخاب

(١) هى المنظمة الإرهابية الصهيونية ((أرجون زفاى ليومى)) والتى تعنى ((المنظمة العسكرية الوطنية)) والتى أسسها ((فلاديمير جابوتنسكى)) والتى أصبحت تعرف باسمها المختصر (( إيتزيل )) المكون من الحروف الأولى لاسم المنظمة العبرية، وأطلقت هذه المنظمة على جناحها العسكرى اسم ((بيطار))، وعلى استخباراتها السرية اسم ((الفرقة السوداء))، وكان شعار المنظمة عبارة عن بندقية محمولة بيد كتب تحتها « هكذا فقط » تعبيرا عن اختيارها وسيلة العنف والإرهاب لتحقيق أهدافها.

(٢) كان بيجن يفخر فى كتابه ((التمرد – قصة الأرجون)) بمذبحة دير ياسين وتفجير فندق الملك داود الذى راح ضحيته ٢٠٠ شخص من الأبرياء حيث كان يراها أعمالا بطولية ويرى نفسه كوطنى ومناضل يهودى.

بيجن ذي الخط المتطرف صدمة للأمريكان أنفسهم خاصة وأن بيجن كان يرى أن معادلة كارتر السياسية فى الشرق الأوسط كلها سلبية ،كما توجس الغرب من تولى بيجن – الإرهابى السابق – لرئاسة الوزراء حيث مازالت أعمال منظمة الأرجون عالقة فى الأذهان ، وفى صحيفة «التايمز اللندنية» كتب لويس هيرين يقول : « إن مؤسس إسرائيل يجنى ثمار الإرهاب . الإرهاب يؤتى ثماره ويجب تشجيع عرفات ». ونتيجة لذلك اعتبر العالم أن عملية السلام فى الشرق الأوسط بدأت تدخل النفق المظلم ، وأن جهود السلام المصرية دخلت فى حلقة مفرغة وأصبح الطريق مسدودا حيال أى تقدم فى الموقف .

## تجربة السجن تطير بفكر السادات إلى الكنيست !

كان على السادات أن يتعامل مع هذه الصورة القاتمة بطرح فكر وأسلوب جديد يتخطى مرحلة الشكليات والإجراءات ويجتاز الحساسيات والشكوك يدفع بالقضية ويضعها فى إطار جديد حتى لا تعود إلى مرحلة الجمود والركود وكان يحتاج وهو يواجه واقعا بالغ التعقيد كهذا طاقات نفسية وطاقات فكرية جبارة لتغييره وأنه لن يغير من هذا الواقع إلا إذا استطاع إحداث تغيير فى أفكاره ، ولا شك أن تجربة السادات فى السجن أفادته وأن ما تعلمه فى «الزنزانة ٥٤»– كما أشار فى كتابه «البحث عن الذات» – أمده بقوة جديدة وطاقة جبارة على التغيير وضبط النفس ، والحقيقة لم يكن ما تعلمه السادات فى السجن والذى أفاده كحاكم بالتجربة الفريدة ولم تكن إشارته إلى فضل تجربة السجن له كحاكم هى الأولى من نوعها فقد كان «موسولينى» زعيم الفاشية الإيطالى يردد دائما « أن ما قضيناه من عمر فى السجون هو الذى علمنا ضبط النفس ، ونمى فينا تلك الطاقة التى نمارس بها الحكم » ، وبعد أن انتهى السادات من تفكيره ذهب إلى رومانيا ليتحدث مع زعيمها «نيكولاى شاوشيسكو» ويعرف انطباعاته عن رئيس الوزراء الجديد «مناحم بيجن» خاصة بعد أن زار بيجن رومانيا فى أغسطس ١٩٧٧ وقضى ثماني

ساعات فى اجتماع مغلق مع شاوشيسكو ، وسأله السادات هل بيجن المتعصب راغب حقيقة فى السلام ؟ وهل بيجن يملك القوة على أن ينفذ عملية السلام وقادر على تنفيذ أى اتفاق يمكن الوصول إليه ؟ وكان رد شاوشيسكو على السؤالين بالإيجاب ، ورجع السادات من رحلته وهو ينسج الملامح الأخيرة للمبادرة والتى حيكت بناءا على انطباعات شاوسيكسو عن بيجن، وكان السادات يثق فى حكم شاوسيسكو وتقديره خاصة أن علاقته بإسرائيل جيدة ووصل السادات بتفكيره إلى أن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح فلماذا إذا يدور فى دوائر لكى يصل إلى هدفه ، فهدفه واضح وهو السلام وهو لا يتحقق إلا باللقاء المباشر بين أطراف النزاع كما أنه يريد أن يثبت للعالم أن رجل سلام حقيقى وأن مساعيه للسلام ليست مناورة كما يعتقد البعض ، فلماذا لا يذهب إلى الكنيست Knesset ويخاطب الشعب الإسرائيلى مباشرة ويضع أمام العالم بأسره المشكلة بكل أبعادها وهكذا تبلورت صورة المبادرة التى اختمرت فى عقل السادات بعد تفكير عميق ، و على طريقة قرارات السادات المفاجئة كما يحبها وبطريقة الصدمات الكهربائية كما يصفها ألقى السادات بهذه القنبلة السياسية فى التاسع من نوفمبر عام ١٩٧٧ فى مجلس الشعب حين وقف يعلن : « إننى مستعد أن أسافر إلى آخر هذا العالم إذا كان فى هذا ما يحمى أن يجرح لا أن يقتل عسكرى أو ضابط من أولادى . وستدهش إسرائيل حينما تسمعنى الآن أقول أمامكم : أننى مستعد أن أذهب إلى بيتهم إلى الكنيست ذاته ومناقشتهم ؛ ولأننا أيضاً لا نخشى المجابهة مع إسرائيل» ، ودوت قاعة مجلس الشعب بالتصفيق بما فيهم ياسر عرفات الذى كان حاضرا تقديرا لشجاعته على قول هذا التصريح الذى اعتبروه لا يعدو مجرد حماسة من السادات أو مبالغة خطابية أراد أن يثبت به نيته للسلام وليس أدل على ذلك من أن وزير الخارجية فى ذلك الوقت – السيد إسماعيل فهمى – طلب من الصحف حذف هذه العبارة من خطاب الرئيس مما أثار غضب السادات وأصدر

تعليماته بإبراز هذه العبارة فى الصحف ، واعتبر العالم إعلان السادات استعداده للذهاب إلى الكنيست ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأي العام العالمي أو أنها مجرد زلة لسان أو محاولة للدعاية العالمية .

## رحلة القرن العشرين

بالطبع لم يكن أحدا يصدق أن رئيس أكبر دولة عربية يمكن أن يطأ بقدمه عقر دار عدوه بعد حروب دامية بينهما استمرت لثلاثين عاما ! وبات الجميع يسأل هل يعنى السادات حقا ما يقوله ؟! ولم يصدق بيجن نفسه وبعث برسالة عبر مبعوث أمريكى فى ١٥ نوفمبر وجه فيها دعوة رسمية(١) للرئيس السادات لزيارة القدس ، وفى ١٧ نوفمبر ١٩٧٧ توجه الرئيس السادات إلى الرئيس «حافظ الأسد» في دمشق لمحاولة إقناعه بمبادرته ، وقال السادات له : « لو ثبت أن هذه آخر مهمة أقوم بها كرئيس جمهورية فسوف أقوم بها وأعود لأقدم استقالتى إلى مجلس الشعب فى مصر كما ينص الدستور أما أنا فمقتنع مائة فى المائة بإتمام هذه المبادرة » إلى أن الرئيس حافظ الأسد لم يقتنع بكلام السادات ورفض أن يسمح للسادات أن يتحدث باسم سورية ، وأصر السادات على مواصلة طريقه وأن يتحمل وحده المسئولية كاملة حتى لا يحرج الآخريين ، كان السادات مؤمنا بما يفعله فلم يفكر فى أى شىء إلا فى كيفية حل قضيته واسترجاع الأراضى العربية، وتحقيق السلام العادل ، لم يفكر فيما سيكون مصيره فربما يكون المقابل هو حياته فمن الممكن أن يغتال فى شوارع القدس كما حدث قبل ذلك مع «الكونت برنادوت»(٢) أو الملك الأردنى عبد الله الأول هل

---

(١) كان الرئيس السادات قد أوضح فى حديثه لكرونكايت مذيع التليفزيون الأمريكى المشهور أنه لابد من استلامه لدعوه مكتوبة حتى يتخذ قراره بالذهاب إلى القدس والكنيست الإسرائيلى .

(٢) اغتيل الكونت السويدى فولك برنادوت الوسيط الدولى الذى عينته الأمم المتحدة لحل النزاع العربى الإسرائيلى فى ١٧ سبتمبر عام ١٩١٤ وذلك بواسطة بعض المنظمات الإرهابية الصهيونية الرافضة لمنطق السلام .

يذهب إلى عقر دار عدوه بعد أن أنزل به هزيمة قاسية وحطم غروره وكسر شوكته ؟!
لم يفكر السادات فى كل ذلك وذهب إلى القدس، وسط دهشة واستغراب الجميع واحتشد الملايين من المصريين أمام شاشات التليفزيون مشدودين يتابعون بدهشة وانبهار رئيسهم وهو ينزل بثبات وثقة من على سلالم طائرته إلى مطار بن جوريون بالقدس وألقى خطابه الشهير في الكنيست الإسرائيلي في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧، والذى أوضح فيه الحقائق التالية :

- إنه لا سعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين .

- إنني لم أتحدث ولن أتحدث بلغتين ، ولم أتعامل ولن أتعامل بسياستين ، ولست أتعامل مع أحد إلا بلغة واحدة، وسياسة واحدة، ووجه واحد.

- إن المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وأنجحها للوصول إلى الهدف الواضح.

- إن دعوة السلام الدائم العادل المبني على احترام قرارات الأمم المتحدة أصبحت اليوم دعوة العالم كله، وأصبحت تعبيراً واضحاً عن إرادة المجتمع الدولي سواء في العواصم الرسمية التي تصنع السياسة وتتخذ القرار، أو على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار.

- إن الأمة العربية لا تتحرك في سعيها من أجل السلام الدائم ، العادل ، من موقع ضعف أو اهتزاز ، بل إنها على العكس تماماً ، تملك من مقومات القوة والاستقرار ما يجعل كلمتها نابعة من إرادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن إدراك حضاري أنه لكي نتجنب كارثة محقَّقة، علينا وعليكم وعلى العالم كله، فإنه لا بديل من إقرار سلام دائم ، وعادل ، لا تزعزعه الأنواء ، ولا تعبث به الشكوك ، ولا يهزه سوء المقاصد أو التواء النوايا .

كما حذر الرئيس إسرائيل بشدة من سوء الفهم لمبادرته كما أوضح لهم أسس

مبادرته كالتالى :

١. إنني لم أجئ إليكم لكي أعقد اتفاقاً منفرداً بين مصر وإسرائيل. ليس هذا وارداً في سياسة مصر . فليست المشكلة هي مصر وإسرائيل. وأي سلام منفرد بين مصر وإسرائيل، أو بين أية دولة من دول المواجهة وإسرائيل ، فإنه لن يقيم السلام الدائم، العادل، في المنطقة كلها .بل أكثر من ذلك، فإنه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها وإسرائيل، بغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية، فإن ذلك لن يحقق أبداً السلام الدائم ، العادل ، الذي يلح العالم كله اليوم عليه .

٢. إنني لم أجيء إليكم لكي أسعى إلى سلام جزئي، بمعنى أن ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة، ثم نرجئ المشكلة برمّتها إلى مرحلة تالية. فليس هذا هو الحل الجذري، الذي يصل بنا إلى السلام الدائم ، وإنما جئت من أجل السلام العادل الشامل لجميع الأطراف وأولهم القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر المشكلة كلها .

٣. إن أرضنا لا تقبل المساومة ، وليست عرضة للجدل .

٤. إن عليكم أن تستوعبوا جيداً دروس المواجهة بيننا وبينكم ، فلن يجديكم التوسع شيئاً .

٥. إنني لم أجيء إليكم تحت هذه القبة ، لكي أتقدم برجاء أن تُجلوا قواتكم من الأرض المحتلة. إن الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ ، أمر بديهي، لا نقبل فيه الجدل، ولا رجاء فيه لأحد أو من أحد. ( قال السادات هذه الجملة بقوة وثقة بالغة حتى أن جوزيف فينكليستون الصحفى اليهودى المخضرم ذكر فى كتابه «السادات وهم التحدى » أن عيزرا وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى عندما سمع هذه الكلمات أشار إلى بيجن بأنه « يجب أن نستعد للحرب وأومأ بيجن » )[١] .

(١) كان هذا جانب من سوء الفهم والشك الذى أصاب الإسرائيليين من مغزى السادات من الزيارة حيث انزعج بعضهم من أن تكون هذه الزيارة هى خطة خادعة ومناورة أخرى من السادات=

ثم طرح السادات فى النهاية اتفاق سلام يقوم على :

**أولاً** : إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية ، التي احتلت في عام ١٩٦٧ .

**ثانياً** : تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني ، وحقّه في تقرير المصير ، بما في ذلك حقّه في إقامة دولته .

**ثالثاً** : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الآمنة ، والمضمونة عن طريق إجراءات يُتفق عليها، تحقق الأمن المناسب للحدود الدولية، بالإضافة إلى الضمانات الدولية المناسبة .

**رابعاً** : تلتزم كل دول المنطقة بإدارة العلاقات فيما بينها، طبقاً لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وبصفة خاصة عدم الالتجاء إلى القوة، وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية .

**خامساً** : إنهاء حالة الحرب القائمة في المنطقة . وبعد ختام الرئيس من خطبته دوت قاعة الكنيست بالتصفيق الحاد[١] .

## تقييم مبادرة السادات :

حاول كثيرون تجريد مبادرة السادات من تأثيرها السياسى والدبلوماسى واعتبرها البعض – كالأستاذ هيكل – خطوة درامية على المسرح السياسى أشبعت غريزة التمثيل فى السادات وأظهرته كنجما لامعا أمام عدسات التليفزيون كما اعتبرها العرب خيانة قومية عظمى !

=لتضليلهم كما حدث فى حرب ١٩٧٣ حتى أن بعضهم رأى أن طائرة السادات ستحمل كوماندوز مصريين سوف تغتال كل الشخصيات الإسرائيلية الرفيعة بمجرد هبوط الطائرة وبالفعل تم عمل ترتيبات أمنية كرد فعل لهذا التصور ! .

(١) يقال إن التصفيق غير مسموح به تقليديا فى الكنيست الإسرائيلى ولكن سمح به استثناء بمناسبة زيارة الرئيس السادات وذلك فى الاجتماعات التى تمت لترتيب بروتوكول هذه الزيارة .

ولتقييم الموقف كاملاً منذ إعلان السادات مبادرته للذهاب إلى الكنيست إلى ذهابه للقدس وخطابه فى الكنيست تستدعينا الأسئلة التالية :

ما هو مغزى السادات من إعلانه استعداده (هو) للذهاب إلى الكنيست ولم يدع بيجن إلى زيارة القاهرة من أجل إحياء السلام ؟ ، وهل حققت زيارة السادات نتائجها التى ينشدها ؟ وقبل ذلك هل هو اتخذ من الإجراءات فى زيارته ما يضمن لها النجاح ؟ سنذكر ذلك جملة وتفصيلاً فى النقاط التالية :

- إن مغزى السادات من إعلان مبادرته للسلام وضعت بيجن فى مأزق أو كما قال الرئيس السادات لزوجته السيدة جيهان كما تروى « لقد وضعت بيجن فى زاوية corner ..فى ركن زنقة بالضبط ، إما أن يرد بالموافقة أن أذهب ويرحب بذلك ، وإما إذا لم يرحب فسوف يكون أمام العالم أضعه أنه رجل لايريد السلام . » .

- إن مغزى ذهاب السادات بنفسه إلى القدس وعدم استدعاء بيجن تتيح للسادات مكاسب هائلة تحسب له حيث سيتأكد العالم من نية السادات للسلام وسيشكل ضغطا دوليا International Pressure على إسرائيل وعلى بيجن بالرد بخطوة مماثلة ردا على هذه الزيارة وبالتالى فإن السادات سيكون له الفعل Action وعلى بيجن رد الفعل Reaction ومواجهة النتائج وقد أوضح السادات ذلك بقوله للصحفيين المرافقين له فى رحلته للقدس « إذا لم يتبين الإسرائيليون حقائق النصر فى المنطقة فعليهم مواجهة النتائج ... » وهو ما عبرت عنه بعد ذلك جريدة «الجيروليزم» الإسرائيلية بقولها « إن نقطة القوة فى موقف الرئيس السادات هى والآثار التى تركتها زيارته للقدس » وعلى ذلك فقد كسب السادات العديد من النقاط فى هذه الخطوة وأصبح كل العالم يؤيده ويصدقه ، ولو كان استدعى السادات بيجن إلى مصر لأحرز بيجن كل هذه المكاسب على حساب السادات أى كان بيجن سيكسب ما هدف السادات إلى كسبه باعتباره مبادرا

للسلام ، وكان السادات يقول: أنه لو كان فى مكان بيجن ما قبل هذه الزيارة، وأن بيجن ارتكب خطأ عمره بقبولها ؛ لأن الشارع الإسرائيلى هو الذى يحكم ولن يستطيع بيجن الوقوف أمام رغبتهم فى السلام.

- كانت الزيارة تشكل نوعًا من الضغط المباشر على إسرائيل وتشكل فى نفس الوقت ضغطا على الولايات المتحدة أو تشجيعا لها على الضغط على إسرائيل بعدما استنتج السادات من رسائل كارتر قبل الزيارة أن الولايات المتحدة عمداً أو مرغمة لا تمارس أى ضغط جدى على إسرائيل .

- استفاد الإعلام الصهيونى بذكاء من صيحات العرب المتكررة بالقضاء على إسرائيل وإلقائها فى البحر فى ملء عقول العالم بأن العرب برابرة ووحوش ضارية يريدون إلقاءها فى البحر واستقطبوا تعاطف العالم وتأييدهم ووجدت إسرائيل العباءة التى تتستر بها لطرح نظرية الأمن التى كانت تصورها كدولة توسعية ، فأصبحت تمارس نظرية الأمن بكل ما تشمله من أعمال عدوانية وتوسعية تحت شعار إسرائيل التى تكافح من أجل العيش والبقاء وبدعوى الدفاع عن نفسها وسط البرابرة العرب الذين لا يكفون عن تهديدها بالفناء وأكسبت لنفسها شرعية لذلك من دول العالم حيث أن أى هجوم إسرائيلى على العرب إنما هو لتحاشى عدوان عربى «مقبل» على إسرائيل تنفيذا لقاعدة «الهجوم هو خير وسيلة للدفاع» ، وبزيارة السادات التاريخية للقدس تحطمت كل الدعاوى الصهيونية من أن العرب برابرة لا يريدون السلام ولا يسعون لتحقيقه، واستطاع السادات الفصل بين أمن إسرائيل والاستيلاء على الأراضى العربية.

- أسكتت زيارة السادات للقدس ومخاطبته الشعب الإسرائيلى حول السلام النغمة التى كانت إسرائيل ترددها دائماً بأن العرب ليس لديهم الشجاعة والثقة بالجلوس على طاولة مفاوضات واحدة مع الإسرائيليين للتفاوض بشأن الأراضى العربية التى تحتلها إسرائيل ، خاصة وأن بيجن نفسه كان يتحدى العرب بقوله :

« أيها العرب إن لديكم مشكلة معنا .. أراضيكم فى حيازتنا وأنتم لديكم حقوق تتحدثون دائما عنها وتطالبون بها ، كيف يمكنكم إذن استعادتها بدون المجىء والجلوس معنا حول مائدة التفاوض . » .

- استطاع السادات بزيارته أن يهدم الحاجز النفسى وحاجز الخوف والتوجس وخشية الخداع إزاء إسرائيل وبدأنا نرى إسرائيل وقادتها فى وضعهم وحجمهم الحقيقى وتبددت الكثير من الأوهام بعد أن دارت حولهم الأساطير والخرافات ، وأصبحت لدينا الشجاعة فى المطالبة بحقوقنا المشروعة دون خوف أو تراجع خشية الخداع ؛ حيث كنا نعزى كل شئ خادع وكل تخطيط ماكر وكل تدبير ذكي إلى إسرائيل وكأن الدهاء حكرًا عليهم حتى ظن العقل العربى أنه ليس بمقدوره مجابهة إسرائيل الداهية والتفاوض والمطالبة بحقوقه وأنه سيقع لا محالة فى بئر الخداع الصهيونى الذى لاينضب حتى رأينا كتابا باللغة العربية عنه انه «الدنيا لعبة إسرائيل» !

- إذا نجحت المبادرة فإن مصر ستكون الجانى الأكبر للكثير من المكاسب ، أما إذا فشلت المبادرة سيحمل العالم إسرائيل المسؤولية وستخسر بالتالى تأييده ودعمه وفى المقابل سيزداد الدعم والتقدير لدور السادات ، وقد عبرت عن ذلك جريدة «الفيجارو» الفرنسية فقالت « إن مبادرة السادات تواجه فرضين لا ثالث لهما : الفرض الأول أن تنجح الزيارة وتحقق الغرض منها فيكون ذلك نجاحا سياسيا لم يسبق له مثيل ولسوف تترتب عليه آثار عظيمة فى حياة مصر فتقوى وتعالج مشاكلها وتقف على قدميها فى جو من التقدم والرخاء . والفرض الثانى أن تفشل المبادرة ، وفى هذه الحالة تقع المسؤولية على إسرائيل وتخسر دوليا بقدر ما يكسب السادات داخل بلاده وخارجها من الاحترام والتأييد . » .

- بددت الزيارة الغشاوة والضباب الذى اكتنف القضية العربية جراء

التزييف والخداع الإسرائيلى لمعالم القضية ، وأصبحت حقائق القضية معروفة جيدا عند الرأى العام دون تزييف .

- فى إجراء ذكى لا يقوم به إلا داهية سياسى كالسادات ، اصطحب السادات معه فى الزيارة «مصطفى كامل مراد» زعيم المعارضة للرد على دعاوى إسرائيل من أن مصر أو البلاد العربية دول شمولية لا مكان فيها للرأى الآخر .

- لم تلزم الزيارة أى طرف عربى بالقيام بشىء لا يناسب قضيته كما لم يحدث تفريط فى أى حق عربى وخاصة الحق الفلسطينى .

- إن صلاة السادات رئيس أكبر دولة عربية العيد فى المسجد الأقصى قبل توجهه إلى الكنيست له دلالة هامة أن القدس عامة والمسجد الأقصى خاصة حق أصيل للمسلمين ويحظى باهتمام سائر العرب .

- كان ما فعله السادات يعتبر شيئًا جديدًا فى عالم السياسية والدبلوماسية وفى العلاقات الدولية وواقعة جديدة فى التاريخ الحديث ، حتى أطلق البعض على خطوة السادات «ثورة دبلوماسية» ، حيث ذهب ليخاطب عدوه فى عقر داره وقابله عدوه بهذه الحفاوة وأخذ يعرض قضيته بكل شجاعة .

وبعد هذا التقييم السريع المتواضع لأهداف ونتائج الزيارة ، لا شك أن أى منصف سيدرك أن الزيارة أحدثت انقلابا سياسيا غير الأوضاع فى الشرق الأوسط وطرح القضية العربية بصورة أفضل وبمكاسب متوقعة للعرب لو ساروا على نهجها خاصة وأن الزيارة أظهرت العرب فى ثوب جديد أمام العالم بعد أن حطم السادات كل الدعاوى الصهيونية ضد العرب ولعل أفضل تعبير عن نتائج الزيارة ما كتبه «محمد رشاد» مندوب جريدة التعاون السياسى – فى ذلك الوقت – بقوله : « إن ما شيدته إسرائيل من دعاية مركزة خلال ثلاثين عاما ضد العرب حطمه السادات فى ثلاثين ساعة ! » .

## جبهة الرفض العربية ووقفة الشعب المصرى الحضارية :

كعادة العرب لم يستغلوا الفرصة السانحة أمامهم وتباينت ردود أفعالهم وتشرذمت مواقفهم إزاء مبادرة السادات ، فأيد المبادرة كل من السودان والصومال وعمان والمغرب واليمن الشمالية ، وعارض المبادرة ( جبهة الرفض ) كل من العراق وسوريا وليبيا والجزائر واليمن الجنوبية ومنظمة التحرير الفلسطينية ( الخاسر الأكبر من هذا الرفض بعد ذلك ) ، بينما أبدت بعض الدول العربية تحفظها ( تحفظًا يميل إلى الرفض ) إزاء المبادرة كالسعودية والأردن ولبنان والكويت وقطر والبحرين والإمارات . وعاد الصف العربى إلى التصدع من جديد ، وتكونت بدون مبرر جبهة الرفض العربية وبدأنا نسمع من جديد الشعارات الحماسية والكلمات الجوفاء والخطب الحنجرية التى اعتاد العرب عليها دون عمل يذكر لم يع العرب أن الوطنية أفعال وليست مجرد كلمات جوفاء وبدأ العرب إهالة الاتهامات على مصر دون رادع وساعد الاتحاد السوفييتى على إشعال الموقف مستهدفا إخفاق خطوات مصر السلمية والحفاظ على وجوده فى المنطقة خاصة وأنه رأى أن السادات مقتنع بأن الحل فى أيدى الأمريكان ، إن العرب يريدون جر مصر إلى حرب جديدة تضحى فيها بأبنائها وتبدد فيها طاقاتها ومواردها بينما هم ينصرفون إلى البناء والتعمير والمتاجرة بالشعارات الوطنية ، وعاد العرب يرددون من جديد شعار الفناء والموت لإسرائيل دون أى عمل يذكر من جانبهم ، وعادت لإسرائيل من جديد الحجة التى فقدتها والشرعية التى سلبت منها بالتوسع الاستيطانى فى الأراضى العربية تحت ستار تهديدات العرب بالفناء وفى إطار نظرية الأمن ، وحاول الرئيس السادات إثناء العرب على إدانة مبادرته على أساس أنه لو كللت مبادرته بالنجاح سيكون النجاح لهم جميعا وإذا فشل فإنه سيتحمل المسئولية بمفرده ، ولكن دون جدوى ، ودعا السادات العرب إلى مؤتمر فى القاهرة «مؤتمر مينا هاوس» يكون مؤتمر تحضيرى لمؤتمر جينيف للسلام على أن يكون هذا المؤتمر فى ١٤ ديسمبر

١٩٧٧ ودعا السادات الفلسطينيين للتفاوض وجها لوجه مع الإسرائيليين وأعطى لهم حق الفيتو أى الاعتراض على أى أمر لا يناسبهم أو الاعتراض على طريقة المفاوضات وأنه لا تنازل عن حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ، ويقول سيد مرعى أن السادات قال له « أنا لما دعيتهم ولهم حق الفيتو قلت يارب يقلبون الترابيزة على اللى فيها .. فأنا معاهم واحنا جنبهم » ولكن للأسف عقد العرب مؤتمرا فى طرابلس فى أوائل ديسمبر تحت رعاية موسكو وجاء ردا على مؤتمر القاهرة وأعلنوا رفضهم وانتقدوا بشدة قرارات مصر بشأن زيارة القدس ، وشنت أجهزة الإعلام العربية حملة ضارية على مصر ، وأعطت العرب كعاداتهم الفرصة لإسرائيل لأن تتذرع بأنها كانت تريد حضور دول النزاع للتفاوض المباشر معها وأن غياب هذه الدول سيعرقل عملية السلام حيث أعلن الياهو بن اليسار رئيس الوفد الإسرائيلى : « أن البلاد التى يهمها الأمر هى التى ينبغى أن تتصدى لحل المشكلة لأننا لا نستطيع أن نقيم سلاما بالوكالة أو على يد آخرين .. وأن إسرائيل كانت تود حضور بقية الأطراف العربية من أجل اتفاق سلام شامل وليس إقامة سلام منفصل » وهكذا استغلت إسرائيل الفرصة على أفضل ما يكون لتظهر أنها داعية للسلام أمام العالم ولكن الأطراف العربية حالت دون اتفاق وأضاع العرب الفرصة ، وللأسف انساقت منظمة التحرير الفلسطينية وراء الرفض العربى وضيعوا على أنفسهم فرصة تاريخية بالنسبة لهم أوضح لهم المستقبل بعد ذلك أنها لن تتكرر فإن مجرد جلوس الوفد الفلسطينى والإسرائيلى وجها لوجه على طاولة المفاوضات هو فى حد ذاته اعتراف ضمنى من الإسرائيليين بمنظمة التحرير الفلسطينية وفى الوقت ذاته هو خطوة جيدة للاعتراف بالحقوق الفلسطينية المشروعة فى تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة ، وكان ياسر عرفات يرى أن الظروف لم تكن موائمة لحضور هذا المؤتمر وأنها لو حضر ما حضر الإسرائيليون ، إلا أن الإسرائيليين حضروا ولم يحضر الفلسطينيون ! فماذا استفاد

الفلسطينيون من جبهة الرفض سوى شعارات الرفض والاستنكار ؟! .

وعلى الجبهة الداخلية المصرية بهر الشعب المصرى العالم بل إنه بهر السادات نفسه بنضوجه الفكرى وكأن هذا الشعب استوعب الحضارة منذ آلاف السنين بكل ألوانها ويتوارثها جيل بعد جيل ، فبعد رجوع السادات من زيارة القدس استقبله الشعب المصرى بحفاوة بالغة وخرجت الملايين من الجماهير المصرية فى مبادرة تأييد لم يسبق لها مثيل فرحين برئيسهم معجبين بشجاعته ومقدرين لخطواته نحو السلام من أجل تحقيق الرخاء لبلادهم بعد أن طحنتها الحروب ، وكان السادات سعيدًا للغاية من تفهم شعبه له وأحس بالثقة من دعم ومساندة الشعب له ، ولكن بلا شك كانت طائفة كبيرة من المثقفين معارضين وغير راضين عن خطوة السادات .

## السادات يسعى إلى تحول فى شكل الدور الأمريكى :

فى أعقاب مؤتمر مينا هاوس كان المؤتمر الثانى فى الإسماعيلية فى الفترة من ٢٥ – ٢٦ ديسمبر ١٩٧٧ وحدثت قمة ثنائية بين السادات وبيجن إلا أنه ظهر تعارض بين وجهة النظر المصرية والإسرائيلية حول عملية السلام فتم الاتفاق على تكوين لجنتين إحداهما سياسية للنظر فى الإطار الشامل للتسوية ، وأخرى عسكرية لبحث النواحى العسكرية المتعلقة بالإنسحاب الإسرائيلى من سيناء ، وعقدت اللجنتان السياسية والعسكرية المصرية الإسرائيلية عدة جلسات من أجل التوصل إلى تسوية سلمية شاملة إلا أن التعقيدات الإسرائيلية طفت على سطح المفاوضات وظهرت العديد من العقبات فرضها التعنت الإسرائيلى ، وتوقفت المفاوضات وحاول السادات جذب أكبر للولايات المتحدة فى عملية السلام باعتبارها الضاغط الأكبر على إسرائيل وامتلاكها ل ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة كما كان يعلن السادات دائما ونجح السادات فى انتزاع اعتراف جيمى كاتر رئيس الولايات المتحدة بأهمية حل المشكلة الفلسطينية وبالفعل صدر البيان الأمريكى الذى ألقاه كارتر فى أسوان

«صيغة أسوان » والذى نص على « ضرورة إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية بكل جوانبها ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير مصيره» ، وإزاء التحول الذى أحدثه السادات فى دور السياسية الأمريكية من كونها « وسيط » إلى « شريك » فى عملية السلام ، دعا كاتر إلى مؤتمر يعقد فى قلعة ليدز بانجلترا من أجل استئناف المفاوضات والتغلب على المصاعب السابقة ، وبدأت المفاوضات فى قلعة ليدز فى الفترة من ١٨-١٩ يوليه ١٩٧٨ ، وعرضت مصر مطالبها بضرورة انسحاب إسرائيل من جميع الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية من أجل التوصل إلى عقد معاهدة سلام مع إسرائيل ، ولكن المؤتمر لم يتوصل إلى نتائج حاسمة ، وكان السادات لا يعول على مؤتمر لندن كثيرا ولكنه كان يرى أهمية التدخل الفعال الأمريكى فى المفاوضات إيمانا منه بأن أمريكا لن تسمح بفشل مفاوضات تقوم فيها بدور الشريك الرسمى ، وبالفعل كان مؤتمر لندن هو مفتاح الطريق إلى كامب ديفيد حيث قام كارتر بمبادرة شخصية دعا كل من بيجن والسادات للاجتماع فى كامب ديفيد .

### فى الطريق إلى كامب ديفيد :

### ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا .. لماذا .. ؟

كان السادات يعلن دائما أن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى قضية الشرق الأوسط فى يد الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان هذا التصريح الغريب دائما من جانب السادات يستفز الكثيرين ويثير سخطهم عليه حيث رأوا أن السادات بهذا التصريح سلب الإرادة المصرية والعربية بوضع جميع أوراق اللعبة مع أمريكا، ووضع كل مفاتيح القضية فى يديها ، ولكن كان للسادات حسابات أخرى حيث فسر تصريحه بأن ٩٩ ٪ من أوراق اللعبة فى يد الولايات المتحدة أنه يقصد أنه بسبب أن إسرائيل تعتمد فى حياتها اعتمادا كليا على أمريكا ابتداء من رغيف الخبز حتى الفانتوم فإن ٩٩ ٪ من «قوة الضغط» على إسرائيل أو أوراق اللعبة هى فى أيدى الأمريكيين ، كما

فسر البعض تصريح السادات بأن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد أبدت قلقها إزاء احتمال استغناء مصر عن دورها بعد زيارة السادات للقدس وفتح باب الحوار المباشر مع قادة إسرائيل، مما دعا الرئيس السادات إلى طمأنة الولايات المتحدة الأمريكية بهذا التصريح . كما أن السادات أراد ممارسة الضغوط على الإدارة الأمريكية بهذا التصريح حيث وضع أمام العالم كل أوراق اللعبة فى يد الأمريكان لدفع الأمريكان وتشجيعهم على ممارسة دور أكثر إيجابية نحو قضية الشرق الأوسط بعد أن حملهم السادات أمام العالم العبء الأكبر لإنجاح عملية السلام وأن فشل التوصل إلى اتفاق سلام سيعتبر فشل للإدارة الأمريكية ذاتها التى تريد بلا شك لعب الدور الأكبر كما يسعى كارتر لإحراز نصر سياسى سيفيده بلا شك فى تزايد شعبيته ومساعدته فى الانتخابات القادمة خاصة وأن كارتر كان يبدو ضعيفا للشعب الأمريكى ولم تكن سمعته السياسية بحال جيد ، ولا شك أن السادات وجه كل طاقاته لكسب ثقة الأمريكيين بعد أن استغنى عن الدور السوفيتى تماماً، وسخر كل جهوده لمحاولة جعل الأمريكان يمارسون دوراً أقرب إلى الحيادية Neutrality فى أى مفاوضات قادمة بينه وبين إسرائيل وهذا يتطلب التأثير على الشعب الأمريكى نفسه وكسب تعاطفه مع القضية العربية والتأثير على القوى الصهيونية فى الولايات المتحدة المؤثرة على القرار الأمريكى وبالفعل لعب السادات كثيرا حول هذه النقطة ومن خلال زياراته المتكررة للولايات المتحدة الأمريكية وخلال أحاديثه المختلفة فى التليفزيون الأمريكى استطاع السادات بلبقاته وبلاغته وبالكاريزما الغريبة التى يتمتع بها أن يؤثر على الشعب الأمريكى بشدة لدرجة أن كارتر قال للسادات : إن الشعب الأمريكى أصبح ينتظر أحاديثه فى التليفزيون الأمريكى ويتابعها بشغف واهتمام أكثر من أحاديث الرئيس الأمريكى نفسه وداعب كارتر السادات بأن السادات لو رشح نفسه فى الانتخابات الأمريكية أمامه لفاز بها ، وكان قد حدث استفتاء فى أمريكا يطلب من الشعب الأمريكى

اختيار رئيس لهم من خارج الولايات المتحدة، وجاءت النتيجة الغريبة باختيار الشعب الأمريكى لشخصية عربية وهو السادات ، بالفعل لقد سحر السادات بكاريزميته الشعب الأمريكى إلى حد أن قال أحد نواب الكونجرس الأمريكى – فى مبالغة غير مقبولة – فى حفل عشاء للسادات ومرافقيه « يوم أن خلق الله أنور السادات تفرغ له لأنه لم يكن من الممكن أن يخلق أحدا بجانبه » !! وبالطبع صدر الأمر بعدم نشر هذا التصريح فى الصحف المصرية لأنه ينافى ديننا الإسلامى ، ورغم المبالغة الشديدة فى هذا التصريح ومنافرته لديننا الحنيف إلا أنه يوضح بقوة كيف استطاع السادات أن يؤثر فى الشعب الأمريكى كما استطاع من قبل أن يؤثر فى كارتر وجعله يأخذ موقفا أكثر إيجابية إزاء القضية الفلسطينية ، بات من الواضح الآن لماذا وضع السادات ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا فقد رأى السادات أن التوجه إلى المعسكر الغربى متمثلا فى الولايات المتحدة فى هذه المرحلة سيكون فى مصلحة بلاده والقضية العربية، وأنه لم يعد من المجدى الاعتماد على الاتحاد السوفييتى زعيم المعسكر الشرقى بعد أن رأى السادات أنه استنفذ دوره ووهنت قوته فى الشرق الأوسط وتوقع انهياره ولم يعد مستقبلنا بمأمن معه وهو التوقع الذى أثبتت الأيام صحته وسبق السادات به الجميع ، وقد عاب البعض التحولات المختلفة فى السياسة الساداتية سواء محليا أو دوليا وأنه ليس هناك مبدأ سياسى ثابت أو وضع بعينه تستقر عليه إلا أن هذا المؤاخذة على السياسة الساداتية لم تكن فى محلها بالنسبة لرجل يمارس السياسة كالسادات ، فلا توجد عقائد سياسية مقدسة ولا يجوز تغييرها بل هى مجرد أنماط للإصلاح والتقدم قابلة للتعديل والتغيير مادام دلك من رأى رجل الدولة يحقق صالح الأمة ، فمثلا كان السادات قبل حرب أكتوبر يرى أن مصلحة بلاده تستوجب الاعتماد على الاتحاد السوفييتى باعتباره حليفا هاماً لنا ومصدر تسليحنا الوحيد، وأبرم معه معاهدة صداقة ثم رأى السادات بعد ذلك تصفيتهم قبيل الحرب ثم الاستغناء عن دورهم بعد ذلك وفى المقابل لم يكن تحالف السوفيت مع مصر سوى ترجمة للسياسة التى تحكمها المصالح

بشكل كبير فقد كان هو الآخر بتحالفه مع أكبر دولة عربية يعزز نفوذه ومصالحه فى الشرق الأوسط إذن فالرابط المشترك هو المصلحة العليا لكل بلد ولذا لم يتوان السادات فى استبعاد الورقة السوفييتية فى مرحلة معينة حينما أيقن بأهمية الورقة الأمريكية فى هذه المرحلة ، وقد اتُهم قبل ذلك الزعيم الألمانى «بسمارك» بأنه لا يستقر على وضع بعينه أو مبدأ معين فقال: « لو قيدت نفسى بالمبادئ دائماً لوجدت نفسى يوما كرجل يتعين عليه اجتياز غابة كثيفة وهو يحمل شجرة ضخمة ، فيتوقف ويتعذر عليه أن يخطو خطوة واحدة إلى الأمام »[1] .

## مفاوضات كامب ديفيد بين تشدد بيجن وورقة السادات وإدانة العرب

فى أعقاب مؤتمر قلعة ليدز ، عادت السياسة الإسرائيلية إلى المراوغة والتعنت ، وواصلت بناء المستعمرات فى الأراضى المحتلة ، ووضعت المعوقات نحو أى تسوية سلمية Peaceful Settlement ، وللتغلب على هذه الأزمة بدأت الورقة الأمريكية تقوم بدورها، ووجهت القيادة السياسية الأمريكية الدعوة لعقد مؤتمر قمة ثلاثية فى كامب ديفيد Camp David يحضره السادات وبيجن وكارتر من أجل التوصل إلى تسوية سلمية شاملة ووافقت مصر وإسرائيل على الاقتراح الأمريكى فى ظل التزام الولايات المتحدة الأمريكية بتحقيق التسوية العادلة منذ زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة فى فبراير ١٩٨٧ ، وكان السادات يعى جيداً أنه مقبل على مفاوضات شرسة مع الجانب الإسرائيلى فى ظل ظروف إقليمية صعبة فمن ناحية كان السادات يواجه التعنت الإسرائيلى برئاسة بيجن الذى كان متطرفا Extremist وذا عقلية متشددة لا تلين بسهولة خاصة فيما يتعلق بالأراضى العربية المحتلة وبالأخص القدس والمستوطنات اليهودية فى سيناء والضفة الغربية ، وتصريحات بيجن النابعة من أيديولوجيته المتشددة دليل قاطع على تشدده حتى فى

(١) محمد على الغتيت – الزعيم العبقرية والزعامة السياسية .

الشكليات والمسميات فقد صرح قبل ذلك – كان ذلك عقب توليه رئاسة الوزراء – فيما يخص الأراضى العربية المحتلة قائلاً « إن هذه ليست أراضى محتلة لقد استخدمتم هذا التعبير لمدة عشر سنوات ولكن منذ مايو سنة ١٩٧٧ آمل أن تبدءوا فى استخدام كلمة الأراضى المحررة . إن لكل يهودى الحق فى الاستيطان فى هذه الأراضى المحررة من الأرض اليهودية » ! ، وعندما سأله أحد الصحفيين : هل سيطبق القانون الإسرائيلى فى الضفة الغربية ؟

نهره بيجن قائلاً : « قل يهودا وسمرا ( الاسم العبرى للضفة الغربية ) . استخدم هذا الاسم دائما » ، حتى أن بيجن بعد ذلك فى مفاوضات كامب ديفيد كان دائما يرتل فيما يتعلق بمسألة القدس المزمور « فلتنسنى يمينى إن أنا نسيتك يا أورشليم » وكان يقول لكارتر « أفضل أن أفقد يمينى على أن أوقع بها وثيقة كهذه ! » ؛ لذا كان التفاوض مع شخص مثل بيجن يعنى أن يغير من مفاهيمه التى كانت جزءا من أيديولوجيته .

ومن ناحية أخرى وإلى جانب تعصب بيجن كان السادات يواجه عاصفة من الغضب العربى والانتقادات العربية للمفاوضات المصرية الإسرائيلية إلى جانب انتقاد الاتحاد السوفيتى للسياسة المصرية فى الشرق الأوسط وسعيها من وجهة نظره إلى حلول منفرده دون مكاسب ، ورغم كل هذه الظروف كان السادات يثق حقا أو باطلاً فى الورقة الأمريكية التى سيستخدمها جيدا فى المفاوضات، فكان السادات حريصا أشد الحرص على إنجاح هذه المفاوضات حيث كان يعتبرها فرصة تاريخية ومن الصعب تكرارها بنفس المستوى، وبنفس الأهمية خاصة وأن قوى عظمى كالولايات المتحدة تقوم بدور الشريك فى المفاوضات وتسعى لإنجاحها .

مع بدء محادثات كامب ديفيد فى الخامس من سبتمبر ١٩٧٨ ، كان منهج السادات الثابت فى مفاوضاته هو السلام الشامل الذى يحقق الانسحاب الكامل Complete Withdrawal من الأراضى العربية التى احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ ، وحصول الشعب الفلسطينى على حقوقه كاملة بما فى ذلك حقه فى تقرير

مصيره فى مقابل إقامة علاقات طبيعية بين جميع دول المنطقة بما فيها إسرائيل داخل حدود آمنه لها معترف بها وقد شبه السادات سياسته بالمثلث ، فأشار إلى أن قاعدة المثلث تمثل المبادئ التى لا نحيد عنها أبداً وهى جلاء قوات الاحتلال عن كل الأراضى العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وتحقيق الحقوق القومية للشعب الفلسطينى ، وهذه القاعدة هى الاستراتيجية ثابتة لا تتحرك ، أما رأس المثلث فهو التكتيك ، والوسيلة ، ورأس المثلث هذا يتحرك يمينا أو يسارا أو وسطا لتحقيق الهدف الاستراتيجى الثابت ، وخاض السادات مفاوضات شرسة مع الجانب الإسرائيلى المتعنت ولا شك أن عدم اشتراك القوى العربية ومقاطعتها للمفاوضات أضعف دور المفاوض المصرى وهو يفاوض على أراضى مصرية وعربية ، فكيف يتفاوض السادات حول مشكلات الضفة الغربية والفلسطينيين ويحلها دون مشاركة الأردن !كيف يستطيع السادات إقناع الإسرائيليين بالانسحاب من الجولان والسوريون يرفضون التفاوض معهم ! ، ماهو فى وسع السادات حينما يرد عليه بيجن وهو يفاوض دفاعا عن حق الشعب الفلسطينى قائلا : « يا سيادة الرئيس عن أى فلسطينيين تتحدث وهم يتهمونك بالخيانة لهم خارج هذه القاعة » ! ما هو موقف السادات حينما يغتال الفلسطينيون الكاتب المصرى يوسف السباعى ! ولكن كما قال الدكتور «عمرو عبد السميع» : « نحن لم نختر الحل المنفرد ولكنه فرض علينا نتيجة لمواقف جامدة ونظرة قصيرة لم تستوعب المستقبل بالطريقة الصحيحة فى ذلك الوقت » إلا أن السادات حمل الإدارة الأمريكية على تبنى دور أفضل فى إنجاح هذه المفاوضات ، وبالفعل استطاعت الولايات المتحدة أن تقترح حلولها لتضييق الفجوة بين المطالب المصرية والإسرائيلية وحل المشكلات المتعلقة ببعض الأمور الخلافية بين الجانبين وقد كان الدور الأمريكى واضحا عندما رفض بيجن إزالة المستوطنات الإسرائيلية من سيناء واعتبرها ذات أهمية قصوى لأمن إسرائيل حيث تعتبر حاجزا بين سيناء وقطاع غزة فى حين كان السادات مصمماً أشد

التصميم على عودة سيناء كاملة إلى السيادة المصرية وإزالة جميع المستوطنات الإسرائيلية من أراضيها ، فاقترحت الولايات المتحدة عرض قضية إزالة المستوطنات الإسرائيلية من سيناء على الكنيست الإسرائيلى والتصويت عليها من جانب أعضاء الكنيست حيث لابد من إزالتها من أجل توقيع اتفاق سلام مع مصر ، وصوت الكنيست على إزالة المستوطنات ، وكان الدور الأمريكى أيضا أكثر وضوحا وتفاعلا حينما رفضت إسرائيل التخلى عن المطارات العسكرية فى سيناء فتدخلت الإدارة الأمريكية واستطاعت أن تقنع وايزمان وزير الدفاع الإسرائيلى بالتنازل عن المطارات العسكرية مقابل تعهد من جانب هارولد براون وزير الدفاع الأمريكى ببناء بدائل لها بتمويل من الإدارة الأمريكية ، وهنا تتضح أهمية الورقة الأمريكية فى المفاوضات كما سبق وأعلن السادات كان هذا تأكيدًا لما كان يقصده السادات من أهمية الورقة الأمريكية وتأثيرها الكبير فى إنجاح عملية السلام وأن ٩٩٪ من أوراق اللعبة فى يد أمريكا إلا أن ذلك لم ينل من إرادة مصر وحفاظها على كيانها واستقلالية قرارها ولم يكن بيجن المتعصب ليهوديته وصيهونيته أشد تعصبا من السادات المتعصب لكرامته التى هى جزء من كرامة مصر وأنه لم ينس مكانته كحاكم أكبر دولة عربية يفاوض رئيس وزراء إسرائيلى ولذلك عندما طلب كارتر من السادات أن يبدأ الكلام فى إحدى مباحثات كامب ديفيد رفض السادات لعلو منصبه وطلب أن يبدأ بيجن بالكلام ثم بعد ذلك يعقب عليه السادات لأنه رئيس دولة أما بيجن فهو رئيس وزراء . وبعد أسبوعين من الجهود الكثيفة أمكن التوصل إلى عقد اتفاق إطار كامب ديفيد بما يتضمنه من وثيقتين الأولى الخاصة بالتسوية الشاملة فى الشرق الأوسط ، والتى تضع الأسس لعملية السلام بين إسرائيل والعرب[1] ، بما فى ذلك إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية ، والوثيقة الثانية الخاصة

(١) كان من المفترض أن تأتى بعد ذلك معاهدات سلام مماثلة بين إسرائيل من ناحية والفلسطينيين والأردن من ناحية أخرى وكم كان من المفترض أن تنضم سوريا لجهود عملية السلام .

بإطار الاتفاق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، بهدف التوصل إلى معاهدة سلام خلال ثلاثة أشهر من تاريخ هذا الاتفاق ثم تلا ذلك توقيع مصر وإسرائيل على معاهدة السلام فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ .

### الرفض العربى لكامب ديفيد :

كان لاتفاقية كامب ديفيد إيجابياتها وسلبياتها ولكنها كانت أقصى ما يمكن الوصول إليه فى ذلك الوقت وما وصل إليه السادات من نتائج وقتها لا يستطيع العرب أن يصلوا إلى نفس النتائج الآن ولو وقف العرب مع السادات يومها لكانت اتفاقية أفضل للجميع، ولكن العرب وقتها لم تؤمن برؤية السادات، وعارضت بشدة النتائج التى توصلت إليها جهود السلام وعلى رأسهم منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات ورفضوا شروط المعاهدة وبعد ذلك كانوا مستعدين لقبول ظروف أسوأ فى مدريد ١٩٩١ بعدما أيقن ياسر عرفات سلامة التوجه المصرى وقال عرفات بعد ذلك لجيمى كارتر « إنك رجل سلام، وأنت صانع سلام بين أكبر دولة عربية وإسرائيل، وصانع كامب ديفيد »، ثم يعلن الرئيس بشار الأسد بعد ذلك عن المفاوضات المباشرة مع إسرائيل !! ومازالت بعض الدول العربية المحتلة تندد باتفاقية كامب ديفيد وتعتبرها ضربة قاضية للقضية العربية وكأن كامب ديفيد هى السبب فى احتلال إسرائيل للأراضى العربيه المحتلة ! وأصبحت كامب ديفيد هى الحجة التى يتزعم بها العرب فى أنها سبب فى استمرار الاحتلال الإسرائيلى لأراضيهم وقد كان كل زعيم عربى فى ذلك الوقت يخدع شعبه بذلك ثم لا يلبث أن يعود إلى ظاهرة الخطب الحماسية والتصريحات العنترية والتهديد لإسرائيل بالفناء ،لاكتساب تصفيق الشعب له وذلك دون أى عمل يذكر من جانبه رغم أنه يؤمن فى قرارة نفسه بسلامة الجهود السلمية المبذولة من جانب الرئيس السادات ولكنهم لا يملكون الشجاعة لإعلان ذلك وقد لاحظ ذلك الرئيس جيمى كارتر فى أثناء مقابلاته مع القادة العرب حيث يقول فى مذكراته :

« وأدخلت فى اعتبارى للقادة العرب ، أنهم جميعا تقريبا يتحدثون بلهجتين اثنتين : فهم ، عند اللقاء بهم منفردين ، يبدون القبول بالسلام ، ولا يتوقفون عن الترحيب بالجهود المبذولة من أجله وإبداء التشجيع لها ، أما فى المحافل العامة ، فلا يجرؤ أى منهم باستثناء السادات ولا تؤاتيه الشجاعة على التسليم بأنه مستعد على مواجهة الشروع فى المفاوضات مع إسرائيل » . وبدلاً من أن يبذل العرب الجهود من أجل تحرير أراضيهم سخروا كل جهدهم للتشهير بمصر وكونوا جبهات الرفض وقطعوا علاقاتهم بها وفرضوا عليها حصارا اقتصاديا وحاولوا تعليق عضويتها فى المنظمة الأفريقية حتى أن زعيمًا إفريقيًا قال « لو كانت هذه الدول الرافضة قد بذلت نصف الجهد الذى تبذله الآن ضد مصر فى مقاومة إسرائيل لما بقيت إسرائيل على خريطة العالم »! وتلخصت دعاواهم وانتقاداتهم فى أن كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع إسرائيل أعطت لإسرائيل الحق فى الوجود والاعتراف بها ، وأن إسرائيل فرضت على مصر الحل المنفرد وتحييد الجبهة المصرية وعزلها عن الصراع العربى الإسرائيلى وعن المشاركة فى حله ، وأن السادات خرج عن مسار الوحدة العربية ، وسنفند تلك الدعاوى لأن كامب ديفيد أصبحت هى الشماعة التاريخية التى علقوا عليها كل الأخطاء، وأصبح السادات الابن العاق للأسرة العربية وأصبحت مصر هى المسئولة عن تمزق الصف العربى ! .

## هل كانت هناك وحدة عربية شاملة ؟

إن المتابع لتاريخ محاولات الوحدة العربية منذ قيام حرب ١٩٤٨ وما قبلها منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى يجد أن العرب لم تربطهم الوحدة الكاملة حتى الآن ! ولم يحدث إجماع عربى كامل ومنسق على خوض معركة ضد إسرائيل منذ زرع إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط ! بل كانت هناك حروب مشتعلة بين بعض الدول العربية وتوترات دولية وإقليمية ، وتصارع وتطاحن وحروب أهلية فى بعض الدول الأخرى ، ففى حرب ١٩٤٨ عُبئت الجيوش العربية دون نظام

وتنسيق وتحت قيادات مختلفة وبأنظمة تدريب وأسلحة بدائية ، وطنطن الإعلام العربى لتعبئة المشاعر وإشعال الحماس لتحرير فلسطين دون تخطيط وتدريب دقيق لتأديب العصابات اليهودية ، فكانت الهزيمة للجيوش العربية التى لم تتجاوز الثلاثين ألفا فى مواجهة القوات الصهيونية التى زادت على ما يقرب من ستين ألفا ، وانسحبت الجيوش العربية، وتركت مواقعها مما مكن الإسرائيليون من حصار الجيش المصرى فى الفالوجة ، فكانت شر هزيمة للعرب والتى تسببت فى نكبة فلسطين التى لاتزل تعيش آثارها ، وعندما جاء الزعيم «عبد الناصر» ليرفع راية القومية العربية ويوحد العرب وظهر مشروع الجمهورية العربية المتحدة وهو مشروع الوحدة بين مصر وسوريا ، ولكن كان بروز عبد الناصر كقيادة عربية بارزة واستقطابه لبلدان المنطقة يثير حقد بعض القوى العربية التى بدأت تدير عجلة الصراع وتشعل نار الفتنة حتى تفسخت الجمهورية العربية المتحدة وانفصلت سوريا عن مصر ، واشتعلت الحرب فى اليمن ، وعقب حرب يونيه ١٩٦٧، عقد الملوك والرؤساء العرب مؤتمر قمة في الخرطوم والذى عرف بمؤتمر اللاءات الثلاثة من أجل تعاون عربى عربى إلا أنه انهار واندثرت نتائجه ، وعندما أعلن «عبد الناصر» قبوله لمبادرة روجرز انتقد بشدة واتهمه الفلسطينيون بالخيانة وزايدت الدول العربية على مصر لأنها لم تحارب وشمتوا فى الجيش المصرى ، وبعدها حدث صراع مسلح بين الجيش الأردنى والقوات الفلسطينية وانتهى بخروج الفلسطينيين من الأردن ، وحينما تولى السادات الحكم حاول جمع شتات الدول العربية وحشد كل طاقاتها نحو عمل موحد ضد إسرائيل إلا أن محاولاته فشلت ولم تحارب معه سوى سوريا، وبعد أن لاح الانتصار للجيش المصرى والسورى بدأت بعض القوات العربية فى المشاركة واستخدم سلاح البترول ، إلا أن العرب لم يكملوا توحدهم وتمزق الصف العربى بعد اتفاقية فض الاشتباك الأولى بين مصر وإسرائيل ، وتوالت الاتهامات وحملات الإساءة على مصر وظهرت بعد ذلك جبهة

الرفض التى لا تفعل شيء سوى الرفض فماذا استفاد الفلسطينيون من جبهة الرفض سوى الرفض ! وماذا فعل العرب بعد ذلك فبجانب اشتعال الحرب الأهلية اللبنانية ، العراق تحارب إيران ومن أجل وحدة أفضل تأتى بعد ذلك لتغزو الكويت ! فهل كانت مصر مسؤولة عن هذا التمزق العربى ؟! ، هل سيقضى العرب على إسرائيل بالشعارات والخطب الحماسية ، إن زئير الأسد لا يكفى لقتل الفريسة !!!!

## هل أصبح الاعتراف بإسرائيل هو لب القضية

من خلال نصوص المعاهدة المصرية الإسرائيلية يرى البعض أن المعاهدة حققت لإسرائيل العديد من المزايا منها اكتسابها لشرعية الوجود فى المنطقة مع تحقيق ضمانات أمن كافية لها ، ولكن هل أصبح الاعتراف بإسرائيل هو جوهر القضية فى ذلك الوقت وهل عدم الاعتراف بها هو الذى سيحرر الأراضى العربية ؟ بالطبع لا بل إن مسألة الاعتراف بإسرائيل لم تعد تشغل بالها وهى منذ قيامها تلتزم القوى الكبرى بما فيها الاتحاد السوفييتى السابق والولايات المتحدة بضمان أمنها وحمايتها وتأكيد شرعية وجودها وتتمتع باعتراف دولي Internationa Recognition ، وذكر الكاتب اليسارى «عبد الستار الطويلة» فى كتابه « أنور السادات الذى عرفته » أنه فى حديث تليفزيونى مع «جولدا مائير» عام ١٩٧٢ سألها المذيع : هل يمكن أن تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة مقابل اعتراف العرب بإسرائيل ؟

فأجابت : « مسألة الاعتراف لم تعد تهمنا ألا ترى أن ألمانيا الديمقراطية لا يعترف بها إلا عدد قليل من الدول ولكنها موجودة وقائمة .. مسألة الاعتراف بنا كانت مسألة مهمة أيام زمان ..١٩٤٨..١٩٥٦ حتى ١٩٦٧ كان ممكن أن نرد الأرض مقابل علاقات طبيعية .. أم الآن فالعرب يصرون على القضاء علينا .. » ، ألم يعن قبول العرب قرار ٢٤٢ الذى ينص على انسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى ٦٧ ولكن مع ضمان سيادتها واستقلالها وبحقها فى العيش فى حدود آمنة Secure Borders معترف بها اعترافا من جانب العرب بوجود إسرائيل !

كما أن الدول العربية قد ارتضت الالتجاء إلى الوسائل السلمية من خلال قبولها المشاركة فى مؤتمر جنيف الذى كان سيضم وزراء الخارجية العرب ثم بعد ذلك الرؤساء والملوك وذلك للتفاوض مع إسرائيل أليس هذا اعترافا من جانب العرب بوجود إسرائيل فكيف تتفاوض مع شخص دون الاعتراف بوجوده ! إن العرب يتبنون شعارات الفناء لإسرائيل، وهم معترفون بها ! ثم يأتى العرب بعد ذلك ليعلنوا أن مصر هى أول دولة عربية تعترف بإسرائيل ! وكأن إسرائيل أقسمت يمينا أنها لن تمارس وجودها واستيطانها إلا بعد أن تعترف مصر بها ليرتاح ضميرها وهى تمارس عدوانها على الأراضى المحتلة ! .

لقد ردد كثيرون أن بيجن بعد اختفائه من المسرح السياسى ، عاش فى عزلة تامة من الاكتئاب فهو لا يتصور كيف عادت سيناء إلى مصر وكان يردد : « أعطانا السادات ورقة .. وأعطيناه سيناء » ! تلك هى الورقة التى اعتبرها العرب الطامة الكبرى والجريمة العظمى ، وآسفا أن أصف العرب كما وصفهم الكاتب «عبد الله القصيمى» بأن « العرب ظاهرة صوتية » .

## هل عزلت المعاهدة مصر عن دورها الريادى فى المنطقة ؟

فى تحليل سئمنا منه طاب للبعض أن يجعل من معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية حلا منفردا يفرض على مصر العزلة عن عالمها العربى، وتحييد جبهتها فى الصراع العربى الإسرائيلى وعزوفها عن القيام بدورها كقلب العروبة النابض وكأن استمرار احتلال سيناء كان سيساعد مصر على القيام بدورها ويا ليت إسرائيل مازالت ترزح على أراضى سيناء حتى تكون السند الأقوى للعرب ! أليس من الواقعى أن تحرير جزء من الأراضى العربية هو فى صالح القضية العربية أم أن العرب يحبون الوحدة فى الاحتلال ! لو كان الساداتساير العرب وتاجر بشعارات براقة وأننا سنفنى إسرائيل لكان حال سيناء الآن كحال بقية الأراضى العربية المحتلة

كالجولان السورية أو الضفة الغربية وابتلعت المستعمرات شبه جزيرة سيناء ، أكانت مصر ستستطيع المشاركة فى تحرير الكويت من الغزو العراقى وسيناء مازالت محتلة ، أكانت مصر تستطيع القيام بدورها على أكمل وجه تجاه القضية الفلسطينية وأراضيها مازالت محتلة ! هل كان العرب يعتقدون أن مصر ستتخلى عن دورها بمجرد تحرير أراضيها ، إن قدر مصر أن تضحى من أجل القضية العربية بوجه عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص ولا تطلب ثمنا مقابل تضحياتها ولكنها ترفض أن يكون الثمن مزايدة على وطنية قوادها وعلى عروبتها .

## تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية !

ظن البعض أنه بإبرام معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية سيحتضن المصريون الإسرائيليين وستكون العلاقات غاية فى الود والحرارة وتبادل وتزايد الأنشطة والصفقات فى إطار من التعاون الاقتصادى طبقا لما ورد فى المعاهدة من إلغاء المقاطعات الاقتصادية وتفعيل التعاون الاقتصادى ، ولكن الرؤية الصحيحة تؤكد استحالة تطبيع العلاقات المصرية الإسرائيلية بهذا الشكل منذ اللحظة الأولى لزيارة السادات للقدس ، فرغم الاستقبال الأسطورى للسادات من جانب الشعب الإسرائيلى ، كان استقبال بيجن فى الإسماعيلية بارداً فلم يكن هناك أعلام ولا موسيقى ولا أناشيد بل كانت كل اللافتات المعلقة تمجد مصر ورئيسه فحسب حتى أن ديان قال لبيجن « انظر ليس هناك علم واحد إسرائيلى وليس هناك لافتة ترحب بقدومنا ! » إن تأييد الشعب المصرى للسلام ينبع من أمنيته فى تحرير أرضه وتخليص وطنه من ويلات الحروب التى كلفته الكثير ولتنعم مصر بالسلام والاستقرار من أجل حياة أفضل ، إن إسرائيل لم تستطع اختراق المجتمع المصرى وتفكيك أوصاله لم تستطع أن تثنيه عن مساندة إخوانه العرب لم تستطع أن تكفه عن التضحية من أجل القضية الفلسطينية ، إن الشعب المصرى يلاحق أى بادرة توصله بالمجتمع الإسرائيلى ليقطعها يلاحق أى تبادل للمنفعة ليوقفه وخير دليل على ذلك معارضة

الشعب المصرى لتصدير الغاز لإسرائيل ، إن العلم الإسرائيلى يحرق آلاف المرات فى العديد من المظاهرات وتدوسه النعال ، نعم بيننا وبين إسرائيل سلام ولكنه سلام بارد ، لا يفرض علينا ما يقيدنا تجاه واجبنا القومى وواجبنا تجاه العروبة ولا يعزلنا عن عالمنا العربى . إن الرئيس السادات حينما وافق على تطبيع العلاقات بشكل كامل كان يبيع الوهم لإسرائيل .

## سيناء كاملة وجيشنا قادر على حمايتها

عندما تأتى ذكرى تحرير سيناء فبدل من الاحتفال بالنصر تخرج علينا بعض القنوات الفضائية وبعض الكتاب بفتوى تاريخية سأمنا منها وهى أن مصر بموجب معاهدة السلام مع إسرائيل استردت سيناء غير كاملة السيادة ! كما أن حجم القوات المصرية بسيناء لا يمثل رادعًا لإسرائيل أو لا يمثل حماية أمنية لسيناء ! ولا أعرف كيف أرد على هؤلاء ، هل أرادوا تشويه تحرير سيناء عن قصد أو عن جهل فمن المؤسف أن تكون الأولى ومن المخجل أن تكون الثانية ، ففى إطار كامب ديفيد تشير الديباجة الخاصة بإطار الاتفاق لمعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل إلى «الممارسة «التامة» للسيادة المصرية حتى الحدود المعترف بها دوليا بين مصر وفلسطين تحت الانتداب ، هذا فيما يخص السيادة المصرية على سيناء ، أما بالنسبة لحجم القوات المصرية فى سيناء فتنص المعاهدة على تمركز فرقة مشاة ميكانيكية من القوات المسلحة المصرية بإجمالى ٢٢ ألف فرد ومنشآتها العسكرية وتحصيناتها الميدانية داخل منطقة تبعد قرابة ٥٠كيلومترا شرقى خليج السويس وقناة السويس وهى منطقة المضايق خط الدفاع الرئيسى الوحيد فى سيناء ، وتتكون العناصر الرئيسية لهذه الفرقة من : ثلاثة ألوية مشاة ميكانيكية ، لواء مدرع ، سبع كتائب مدفعية ميدانية تتضمن حتى ١٢٦ قطعة مدفعية ، سبع كتائب مدفعية مضادة للطائرات ، ٢٣٠ دبابة هذا بخلاف قوات الحدود التى تصل إلى ٤٠٠٠ فرد وقوات الشرطة ، تلك هى القوات المنقوصة !!! حتى لو سايرنا هؤلاء فى وصفهم

لطبيعة القوات ، فهل أصبحت النظرية هى «نظرية الكم» إن التاريخ العسكرى لا يقر هذه النظرية تماما ولا داعىَ لسرد دلائل على ذلك ، كما أننا كنا قد حشدتنا كل قواتنا قبل ذلك فى سيناء فى ١٩٦٧ وكانت لدينا ترسانة عسكرية جيدة من المخازن السوفييتية وحُشدت كل قواتنا بكامل تسليحها فى سيناء ومع ذلك ضربتنا إسرائيل فى الخامس من يونيو وتقهقرت كل هذه القوات وتراجعت وانسحبت من سيناء ، فهاهى سيناء كانت مكدسة بالقوات ومع ذلك هزمنا لذلك فإن الفيصل هو حسن التخطيط والكفاءة والدقة فى التنفيذ هذا تسايراً مع الاعتقاد الخاطىء بأن القوات فى المعاهدة لا تكفى أو منقوصة . إن مجرد التحكم فى منطقة المضايق الاستراتيجية والسيطرة عليها كخط دفاعى رئيسى وحيد فى صحراء سيناء يكفل للقوات المدافعة أوضاعا استراتيجية ممتازة تحطم أى قوات عدائية مهاجمة ، ولا أعتقد أن إسرائيل التى دائما ما تسعى لاصطياد الفرص وتنجح فى استغلالها كانت سترى تلك القوات غير رادعة لها على مدار أكثر من ربع قرن منذ انسحابها من سيناء وحتى الآن دون أن تعيد الكرة وتهاجم سيناء مرة أخرى ولكن إسرائيل تعرف جيداً قوة الردع المصرية فى سيناء .إن مناورات الجيش المصرى فى سيناء خير رد على من يقولون أن سيناء منزوعة السلاح نتيجة لمفاوضات كامب ديفيد حيث شككوا في إمكانية قيام القوات المسلحة المصرية بفرض سيطرتها على سيناء في حالة نشوب حرب فعلية مع إسرائيل وزعموا أن مصر لن تستطيع تحريك كل تلك القوات الضخمة فى الفترة المطلوبة وسيكون أمراً فوضوياً إذا ما تم تنفيذه ، فكان رد الجيش المصرى بإجراء مناورات ضخمة فى سيناء استطاع خلالها أن ينقل حجمًا كبيرًا من القوات إلى وسط سيناء فى زمن قياسى وباحترافية شديدة بدايةً من المناورة بدر ٩٦ التى كانت مثار الحديث والتحليلات لفترة طويلة وأثارت ذعر نتنياهو وقتها حيث استطاع الجيش المصرى نقل ٥٠ ٪ من معداته إلى عمق سيناء في ٦ ساعات واستطاع أن يصل لحالة الاستنفار الهجومي في ١١ دقيقة فقط ( يعمل القادة على

تقليل معدل الوقت المستهلك مع التدريب على حرية الحركة بسرعة فائقة من مناورة لأخرى ) ! وتم إصدار العديد من الدراسات الأمريكية حول هذا الإنجاز ، وكانت المناورة تتضمن عمليات برمائية لتشكيلات عسكرية مصرية لصد هجوم إسرائيلي مفترض علي سيناء ثم القيام بهجوم مضاد والتوغل داخل إسرائيل ، ودائماً ما تثير مناورات الجيش المصرى فى عمق سيناء ذعر وقلق الإسرائيليين حيث يعتبرونها خطراً موجهاً لأمنها القومى ! كما أشارت إسرائيل عقب مناورة الجيش المصرى الأخيرة بدوى ٣ بأنها موجهة إليها وتمس أمنها القومى ! . كل هذا يظهر لنا حقيقة جلية وهى أن الجيش المصرى هو دائماً درع الوطن وسيفه ومبعث فخر الأمة وصمام أمانها ومستعد دائماً فى أى وضع وتحت أى ظرف للدفاع عن مصرنا الحبيبة ولم لا؟ وهو يمتلك خير أجناد الأرض .

## حقائق يجب أن يعرفها العرب

هل تخلت مصر عن دورها منذ نشوب الصراع العربى الإسرائيلى حتى الآن ؟ هل تخلى السادات عن قضية فلسطين والأراضى العربية المحتلة فى خطابه فى الكنيست ؟ هل سعى لحل منفرد فى مفاوضات كامب ديفيد ؟ هل كان العرب سيوافقون على إعادة الدول العربية علاقاتها الدبلوماسية مع مصر إلا أنها غيرت رأيها من مبادرة السلام ؟ ألا يعنى سعى العرب الآن إلى إقامة السلام العادل الشامل هو تأكيد لرؤية السادات السليمة ؟ نعم كان للمعاهدة سلبياتها ، وربما لم يحصل السادات على كل شئ ولكنه حصل على أقصى ماكان متاحاً فى تلك الفترة .. ... فى النهاية نرجو أن يتحد القادة العرب وأن يلتفوا حول شقيقتهم الكبرى مصر وترك الخلافات العربية جانبا والعمل من أجل توحيد الجهود لتحرير الأراضى العربية المحتلة وعلى رأسها القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر القضية ولب الصراع ، ويجب أن يدرك العرب أن صراعهم مع إسرائيل لم يعد صراعا عسكريا فحسب كما يعتقدون بل هو صراع شامل عسكرى واقتصادى وحضارى وثقافى

واجتماعى لأن زرع إسرائيل فى منطقة الشرق الأوسط بواسطة الغرب كان ولا يزال مخططا لجر الأمة الإسلامية العربية إلى النكبات والكوارث واستنزافها فى حروب طويلة الأمد مع إسرائيل حتى تنهك قواها وتهوى فى بئر الجهل والتخلف بعد أن يتم تجريف خصوبتها الثقافية والحضارية ، وتحت شعار إعرف عدوك يجب أن يعى العرب أن هناك بعداً هاماً وعاملاً أساسياً ساهم فى نجاح قيام الدولة الصهيونية وهو «التنظيم» - الذى يفتقده العرب - وليست الدعاية والإعلام الصهيونى وحده كما يظن العرب ، فالكاتب الكبير عبد العال الباقورى فى كتابه «العرب وإسرائيل وفلسطين نصف قرن من الصراع» يقول « التنظيم هو الأداة التى تحقق الهدف ، وهو قبل ذلك الوعاء الذى يتقبل الفكرة ويستوعبها ، وينقلها من المجال النظرى إلى واقع الحركة والفعل ، وعندئذ تكون الدعاية – مهما برعت – مجرد أداة للتهيئة والمساندة . صحيح أن المعركة تدور أولاً فى العقول ، وحول العقول من أجل غسلها ومسخها ، ولكن الأهم هو ما يدور فى الواقع ، هو تحويل الإقناع والاقتناع إلى عمل ، وهذا هو دور «الأداة التنظيمية» . ......... إن هذا لا يقلل من اعتماد الصهاينة للدعاية كسلاح فعال ، لكنه سلاح ثانوى ، سلاح تابع . هل كانت الدعاية الصهيونية والإسرائيلية الواسعة النطاق بعد عدوان يونية ١٩٦٧ ستجدى الصهاينة والإسرائيليين شيئا لو أن إسرائيل لم تحقق النصر الذى حققته ؟ إن انتصارها هو الذى جعل كلمتها مسموعة ومدوية .»، ومما يؤكد ما نشير إليه ما قاله «البريجادير هود» قائد الطيران الإسرائيلى عن حرب ١٩٦٧ والتخطيط الإسرائيلى لخطة الحرب فيقول : « لمدة ست عشرة سنة عشنا مع الخطة ، ونمنا مع الخطة ، وأكلنا مع الخطة ، وهكذا بلغنا درجة الإتقان » ورغم مبالغة القول ولكنه يدل بشكل واضح على عنصر التنظيم الذى نشير إليه والاستعداد الجيد للجيش الإسرائيلى وهو ما فقده العرب فى هذه الحرب وبعد هزيمة العرب ، آن لإسرائيل أن تستخدم سلاحها الآخر الدعاية فأوهمت العرب أنها قوى لا تقهر وأوهمت

العالم أنها تدافع عن نفسها ضد البرابرة العرب الذين يودون إلقاءها فى البحر! ولذا فإننا نستطيع أن نقول : إن الصهاينة استطاعوا تحقيق أهدافهم بـ«نقل أهدافهم من حيز الفكرة إلى الواقع» فلقد ساهم التنظيم بشكل مباشر فى كل مرحلة من مراحل الحركة الصهيونية إلى جانب أسلوب الحملات الدعائية التى روجتها من أجل كسب الرأى العام ؛ لذا فلزاما على هذه الأمة أن توحد مقاصدها وأن تنبذ خلافاتها ولا تختزل صراعها مع إسرائيل على الصيغة العسكرية فلابد من قوى اقتصادية عربية موحدة وتكاتف عربى موحد ومنظم فى جميع المجالات لتنهض هذه الأمة من كبوتها وتسترد عافيتها .





# الفصل السابع

## السادات والقادة العرب ..
## وعلاقات مثيرة للجدل

◆◆◆



« فى الغابة تتخاصم الأشجار بأغصانها ، لكنها تتعانق بجذورها »

« مثل أفريقي »

بدأ السادات خطواته السياسية على المستوى العربى بداية موفقة منذ توليه الحكم وكان أكثر دهاء وتعلم من التجارب، فلم يسع إلى زعامة العالم العربى وتصدير الثورة خارج الحدود حتى ينأى بنفسه عن المؤامرات والتحريضات التى ستواجه كما واجهت سلفه عبد الناصر وعدم التورط فى صراعات دعما للانقلابات الثورية كما لم يفرق بين دول رجعية أو محافظة ودول تقدمية فمع حفاظه على علاقات مصر مع الدول الثورية وطد علاقاته بالدول المحافظة وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية ، وعلى الرغم من عقده معاهدة صداقة مع السوفييت فإنه حاول تحسين علاقاته بالدول الغربية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية ومهد بحنكة لتضامن عربى يساعده فى حربه المقبلة مع إسرائيل وبالفعل نجح فى جذب سوريا للقتال المشترك ضد إسرائيل، كما أظهر العرب تضامنا أثناء معركة ١٩٧٣ ، إلا أن التضامن العربى لم يدم طويلاً ، ولم تلاقى خطوات السادات بعد الحرب استحسانا من العرب وبدأت علاقاته تتوتر مع القادة العرب إلا أن حدث ما يشبه القطيعة التامة بعد مفاوضات كامب ديفيد وتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل .

## السادات والشاه مواقف لا تنسى

أحدث استقبال السادات لشاه إيران «محمد رضا بهلوى» بعد قيام الثورة الإيرانية، وطرد الشاه من إيران جدلاً كبيراً، ولم يكتف السادات باستقبال الشاه المخلوع بل أعد له استقبالاً شعبياً ضخماً وأكرم ضيافته فى مصر وغادر الشاه إلى المغرب ثم إلى أمريكا وتفاقم عليه المرض، ودبرت المؤامرات لاغتياله إلا أن دعاه السادات إلى مصر وأكرم معاملته وزاره فى المستشفى وبعد وفاته أقام له جنازة رسمية وكان هذا مدعاة للنقد من كثيرين خصوصا وأن الثورة الإيرانية التى

خلعت الشاه بقيادة «الخومينى» كانت تجد هوى وتأييد لدى جماهيرية عريضة داخل مصر وخارجها وبخاصة الجماعات الإسلامية واعتبر الإيرانيون استقبال السادات للشاه دليلاً على عدائه للثورة ورغبة الشعب فى التخلص من الشاه وكان هذا مرجعا لسوء العلاقات بين مصر وإيران إلى الآن ولكن السادات كان يرى استقباله للشاه موقفا إنسانيا من الدرجة الأولى خاصة بعد تدهور صحته كما أنه يثمن مواقف كثيرة للشاه ولا ينساها ، فحينما حدثت لنا أزمة بترولية حادة فى حرب ١٩٧٣ واستنجد السادات بالشاه أمر الشاه على الفور ناقلات البترول بتغيير مسارها فى أعالى البحار والتوجه مباشرة لتفريغ شحنتها فى ميناء الإسكندرية وبعث الشاه ببرقية للسادات مفادها أنه فى الطريق إليه ٦٠٠ طن من النفط التى يتم شحنها إلى أوروبا وطلب من السادات أن يرسل وزير البترول إلى إيران ليبلغه حاجته من النفط ، كما أن الشاه عرض على السادات بعد الحرب قبول قرض من مئتي وخمسين مليون دولار ، يتم سدادها على مدى طويل لإعادة إعمار مدينة بورسعيد كمنطقة حرة ستعزز التجارة العالمية ، كما أنه كان دائم الدعم لمبادرة السادات السلمية ،كما أنه أمد مصر بصفقة حافلات مرسيدس لحل مشكلة النقل فى مصر حيث كانت إيران قادرة على تصنيع هذه الأنواع من الحافلات كما أنه بعث للسادات بقرض قيمته ٥٠ مليون دولار إثر تعرض محصول القطن المصرى لأزمة بيع خلال أحد الأعوام وحاجتنا إلى عملة صعبة ، كانت كل هذه المواقف من جانب الشاه حاضرة فى ذهن السادات وهو يستقبل الشاه فلم يكن استقباله للشاه سوى رد الجميل لرجل وقف بجانبه فى مواقف صعبة وكان على قدر المسؤولية إلا أن السادات لم يكن أيضا يخفى نقده للثورة الخومينية فى إيران مماسبب أزمة سياسية حادة بينه وبين إيران وتعددت وسائل التعبير عنها من كلا الطرفين بحرب إعلامية وقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين ورغم عودة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين مطلع ٢٠٠٤ فى عهد الرئيس «خاتمى» كشفت إيران من جديد عن عدائها فى عام

٢٠٠٨ بعرض فيلم وثائقى من إنتاج إيرانى بعنوان «إعدام فرعون» ويصف الفيلم السادات بالخائن ، ويمجد قاتليه[١] ، مما زاد في توتر العلاقات بين البلدين .

### السادات والقذافى .. صراعات ومصادمات:

كان السادات يرى القذافى دائما شابا متحمسا ثوريا تنقصه الكثير من التجارب والخبرات ، وتفتقد قراراته إلى الكثير من العقلانية ، وأراد أن يلعب دوراً أكبر من حجمه فى المنطقة ، وكان كثير الدعوى لإقامة الوحدة بينه وبين مصر دون أن تكون الظروف مهيأة لذلك ، وبدأ توتر العلاقات بين السادات والقذافى إبان اقتراب حرب أكتوبر وبعدها حيث طلب السادات من القذافى تزويده بالنفط ، وبقطع غيار لطائرات ميراج ، كما أشار إليه بأن يكون ميناء طبرق الليبية على استعداد أن يكون بديلا لميناء الإسكندرية فى حال قصف الطيران الإسرائيلى له حيث أكد السادات أن الحرب أصبحت وشيكة الوقوع وجاءت رسالة القذافى بالموافقة على طلبات السادات ، وبعد نشوب الحرب أعلن القذافى من إذاعة صوت العرب التى تبث من القاهرة عن عدم رضاه عن قرار الحرب ووجه الكثير من الإهانات لمصر وتوقع الخسارة للعرب فى المعركة وانتصار إسرائيل كما أخلف القذافى وعوده مع السادات ولم يرسل شيئا من طلباته، وأخذت حدة التوتر تزداد بين البلدين وتبادلت الصحف ووسائل الإعلام الاتهامات ، كما سخر السادات من القذافى فى أكثر من موقف إلى حد وصفه بالجنون وفى المقابل كان السادات الخائن الأعظم فى ليبيا وازداد التوتر عنفا وتم مهاجمة سفارات البلدين من المتظاهرين وازداد الاضطراب الأمنى فى مصر بعد وقوع الكثير من التفجيرات الإرهابية وأشارت أصابع الاتهام إلى تورط الرئيس القذافى فى دعم هذه المجموعات الإرهابية ، وبلغ الأمر ذروته بعد

(١) كانت إيران قد أطلقت اسم خالد الإسلامبولى على أحد شوارعها بعد مقتل السادات واشترطت مصر تغيير اسم الشارع حينما طلبت إيران عودة العلاقات بين البلدين فى ٢٠٠٤ ، فعدلت إيران الاسم إلى شارع محمد الدرة .

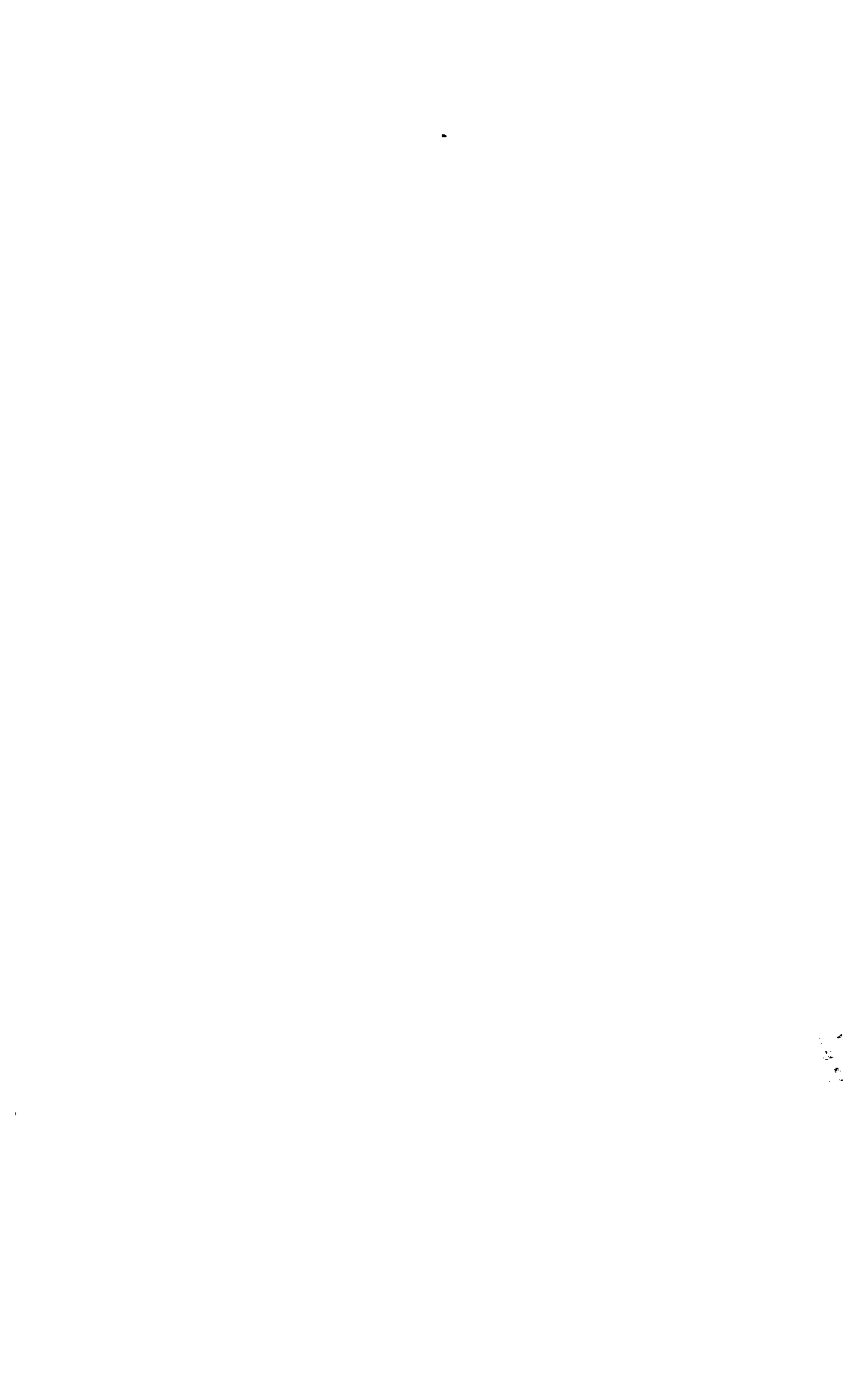
زيارة السادات للقدس وخطابه فى الكنيست الإسرائيلى عام ١٩٧٧ حيث بدأت بعد التحرشات الليبية على الحدود المصرية فقصفت المدفعية الليبية بلدة السلوم المصرية الحدودية ، فكان رد السادات حاسما وقويا حيث قصف الطيران المصرى القواعد العسكرية الليبية ودمرها كما احتلت فرقتان من الجيش الثالث المصرى مدينة أمساعد الليبية وحدث نوع من اشتباكات الحدود Border Clashes حتى أعطى السادات أوامره بالانسحاب معتبراً ما حدث درسا لن ينساه القذافى ، وبعد اغتيال السادات لم يخرج القذافى من دائرة الاتهام بتدبير اغتياله ، ويعتبر الرئيس القذافى هو الأكثر جدلاً فى المنطقة نتيجة للكثير من أفعاله المبهمة وتصريحاته وآرائه التى تثير الاستغراب ومصطلحاته ومؤلفاته الأكثر غرابة فلا يمكنك أن تفهم الكتاب الأخضر والكتاب الأبيض وإسراطين والنظرية الثالثة والولايات المتحدة العربية ! ومازال الرئيس القذافى يثير دهشة واستغراب العالم !

## السادات وفيصل تقدير واحترام متبادل

«رجل الكرامة والمهابة» هكذا كان يتحدث السادات عن الملك «فيصل بن عبد العزيز» ملك المملكة العربية السعودية ، كان السادات يقدر شخصه ويصفه بالنزاهة والاستقامة وأنه رجل ذو حكمة سياسية ورؤية مستقبلية ومن القادة الذين أصقلتهم التجارب ويتمتع بالكثير من الخبرات وله العديد من المواقف التاريخية النبيلة فمنذ هزيمة ١٩٦٧ وهو دائم الدعم لمصر ، فعند انعقاد مؤتمر الخرطوم صيف ١٩٦٧ فاجأ الملك فيصل الجميع بدعمه لمصر بـ ٥٠ مليون دولار كما طلب من الكويت دفع ٥٥ مليون دولار فى ظل الدعم العربى لدول المواجهة وذلك رغم توتر العلاقات بين البلدين بسبب حرب اليمن ، حيث كانت مصر تدعم الجانب الجانب الجمهورى بينما كانت السعودية تدعم الجانب الملكى، وكانت السعودية متهمة بالرجعية Reactionism فيما عرف بالدول الرجعية والدول التقدمية ، وكان الملك فيصل يحب الرئيس السادات ويقدره ودعمه فى مواقف كثيرة مثل

دعمه لموقف السادات من الثورة الشيوعية Communism Revolution فى السودان الأمر الذى أغضب السوفييت ، كما زود الملك فيصل السادات بالقاذفات بعيدة المدى – إنجليزية الصنع – للدفاع عن عمق أراضيه من الطائرات الإسرائيلية وذلك بعد رفض السوفييت إمداد السادات بهذا النوع من القاذفات ، كما لعب الملك فيصل أروع أدواره التاريخية فى تزعمه الحملة الداعية إلى قطع النفط العربى عن الولايات المتحدة والدول الداعمة لإسرائيل واستطاع الضغط على الغرب بسلاح البترول وفرض الحظر الكامل للدول المؤيدة لإسرائيل لقد كان بالفعل « بطل النفط» حتى قامت مجلة التايم الأمريكية بتسميته «رجل العام » لسنة ١٩٧٣ ، ثم اغتالته رصاصات الغدر فى ٢٥ مارس ١٩٧٥ وحزن عليه السادات حزناً شديداً حيث كان الرجل يحب مصر ويقدر مواقفها ويعتز بعروبته ويدافع عن أمته العربية ولعل أبلغ ما يمكن أن يكون ختاما عن الملك فيصل هو مقولته الشهيرة التى صرح بها «هنرى كيسنجر» وزير خارجية أمريكا حيث قال : « هل ترى هذه الأشجار.. لقد عاش آبائي وأجدادي مئات السنين على ثمارها ونحن مستعدون أن نعود للخيام ونعيش مثلهم ، ونستغني عن البترول ، إذا استمر الأقوياء وأنتم في طليعتهم في مساعدة عدونا علينا ».





# الفصل الثامن

## أزمات داخلية

◆◆◆



« إن جميع مشاكل السياسة تخرج من حبة القمح »

« ميرابو »

يمكن القول بأن عصر السادات كان عصر التحديات الكبرى ، فمنذ توليه الحكم كانت تنتظره قضايا خطيرة تحتاج للحسم أشفق عليه البعض منها ، وواجهته تحديات كثيرة وخطيرة فرضتها الأحداث ، والحقيقة أن طبيعة المرحلة السياسية فيما بعد وفاة عبد الناصر كانت تتطلب شخصية فى كاريزمية السادات تغامر وتناور وتخرج بقراراتها المفاجئة الحاسمة سواء كانت إيجابية أو سلبية ، فقد كان على السادات أن يحل قضايا وأخطاء الماضى ضمن أعباء تركة ثقيلة ورثها ثم عليه أن يواجه تداعيات ونتائج قراراته بشأنها وبين هذا وذاك كانت الأحداث تفرز قضايا جديدة اشترك السادات فى صنع بعضها ، ورغم قصر فترة السادات التى لم تتجاوز ١١ عاماً فإنها كانت فترة خصبة سياسيا وشهدت تحولات كثيرة كان السادات سببا مباشرا في إحداثها .

## الصراع مع مراكز القوى وثورة التصحيح

توفى الرئيس عبد الناصر وقد خلف وراءه مجموعة ممن يحسبون على التيار الناصرى اعتقدت أنها ورثت الثورة وكانت تسيطر على الأجهزة الرئيسية فى الدولة ، وكان قد تم تعيينهم كأهل ثقة وليس كأهل خبرة ! فكان من الطبيعى أن يكونوا رموزا للنكسة ، واستطاعت هذه المجموعة أن تسيطر على كل أجهزة الدولة من قوات مسلحة ومخابرات وشرطة واتحاد اشتراكى وإعلام فى نهايات عصر الرئيس عبد الناصر وصارت مراكز قوى لها نفوذها وسيطرتها ، ورأت هذه المجموعة بعد وفاة الرئيس عبد الناصر أن تسرع فى تعيين نائبه أنور السادات رئيسا للجمهورية على أساس أنه ضعيف ومطيع وأنه لقمة سائغة يمكن الإطاحة به فى أى وقت أو مجرد واجهة يحكمون من ورائه ولا يتحملون المسؤولية حتى أنهم أداروا الحملة

الانتخابية للسادات فى الاستفتاء على ترشيحه رئيسا للجمهورية ، وبعد تعيين السادات رئيساً آثر التريث وعدم الاصطدام بمجموعة مراكز القوى ، وتصنع الضعف وأسرف فى تأكيد ضعفه لهم ، والحقيقة أن السادات كان مشحونا بالكثير من الأفكار وكان حائراً لا يعرف من أين يبدأ فكل القوى فى أيديهم وهو لم يمتلك بعد قوة شعبية تسانده ، ولكن استعجال مراكز القوى الصراع كان فى مصلحة السادات ، كما أن التوفيق والحظ حالف السادات كثيرا فى هذه الفترة حيث كانت السلطة تسعى إليه سعيا وخيوط المؤامرة تتجمع فى يديه .

بدأ السادات يتحرك سياسيا ، وبدأ بطرح بعض المبادرات الدبلوماسية ، وبدأ بتحرك على الجبهة العربية حيث شرع فى عقد اتفاقية بنغازى بإقامة وحدة بين مصر وسوريا وليبيا وكان السادات يريد تغيير فى مؤسسات الدولة وهو ما يتعارض مع نفوذ مراكز القوى التى تسيطر على المؤسسات الموجودة منذ العهد الناصرى ، ومن هنا بدأ الصطدام واعترضت مراكز القوى على مشروع الوحدة ، وعند عرض مشروع اتفاقية بنغازى على اللجنة التنفيذية العليا لم يوافق عليه سوى ثلاثة من ثمانية ؛ فطلب السادات عرض الأمر على اللجنة المركزية ورغم انقسامات حادة تمت الموافقة فى النهاية على مشروع الوحدة .

واحتك السادات بمراكز القوى أيضا عندما قرر تجديد مبادرة روجرز ومد فترة وقف إطلاق النار مع إسرائيل فاعترضت المجموعة على قرار السادات وكانوا يريدون الحرب ورفض السادات وقال أن مصر غير مستعدة لحرب حاليا ، ويتعجب الدكتور «عبد العظيم رمضان» من هذا الموقف من جانب مراكز القوى فيقول : « هل كانوا يريدون تحرير الأرض فى وقت قمنا فيه بنقل الكلية الحربية المصرية إلى السودان والكلية البحرية إلى ليبيا[1] .. وسماء مصر قبل حائط الصواريخ

(١) كان هذا جزءا من ((خطة الانتشار)) التى وضعتها القيادة العامة بتوزيع وحداتها ومنشآتها العسكرية على مناطق شاسعة داخل وخارج الجمهورية للحد من الخسائر التى تلحق بالقوات المسلحة جراء هجمات الطيران الإسرائيلى .

كانت مفتوحة تماماً؟! .. لقد كان السادات عقلانيا غير متعجل للسياسة التى يريد أن يحققها » ولم يتورط السادات فى الحرب فى هذا الوقت وتريث لحين اكتمال استعداد القوات المسلحة .

وقررت مراكز القوى تصعيد الصراع مع السادات ، ففى أول مايو ومع شروع السادات فى إلقاء خطبة عيد العمال فوجئ بلافتات وصور لعبد الناصر وتأبين وهتاف له أثارتها مراكز القوى لإحداث الفوضى وإظهار السادات بالشخص الضعيف وعمل مظاهرة بعبد الناصر ضد السادات ، وبسرعة البديهة وبدهاء قال السادات «عبد الناصر لم يمت ..كلنا عبد الناصر» ونجح فى تهدئة الهتافات وجذب الناس لحديثه . ، وفى اليوم التالى مباشرة أقال السادات على صبرى نائب الرئيس وأحد أقوى مراكز القوى ، فبدأت المجموعة بسرعة تحيك خيوط المؤامرة للتخلص من السادات قبل القضاء عليهم ، وقد حاول السادات استمالة الفريق «محمد فوزى» وزير الحربية لصفه ولكن الفريق كان ضمن مجموعة مراكز القوى ، وكان قد بعث بأمر مكتوب[1] بتاريخ ٢١ أبريل ١٩٧١ إلى الفريق صادق رئيس المخابرات العسكرية فى ذلك الوقت بأن يكون مستعداً لإصدار أوامره بتحرك الجيش لأغراض تأمين القاهرة وحصار الإذاعة حينما تأتى اللحظة الحاسمة ، ولكن لحسن حظ السادات أن الفريق «صادق» لم يصدر أوامره بالتنفيذ ، وعلى الجانب الأخر استطاع السادات فى ظل هذا الصراع المحموم أن يضم لصفه «الليثى ناصف» قائد الحرس الجمهورى ، وازداد الصراع ضراوة وأصبح الجو مشحونا والكل مترقبًا وبدأ كل جهاز يسجل للآخر سواء الداخلية بقيادة شعراوى جمعة أو المكتب الخاص بسامى شرف .. أو جهاز المخابرات العامة بقيادة أحمد كامل ، وكانوا فى تسجيلاتهم يعترضون على سياسة السادات، وأنهم سوف يعتقلونه لو ذهب إلى الإذاعة كما أشار اللواء طه زكى الذى سمع هذه الأحاديث التى تحكى

(١) كشف الفريق فوزى عن هذه الوثيقة الخطيرة فى مذكراته التي نشرت عام ١٩٨٢.

المؤامرة بالكامل وذهب بها إلى السادات الذى مسك بيده دليل إدانتهم وقرر تصفيتهم جميعاً ، وقدم شعراوى جمعة وزير الداخلية استقالته ، وقامت بقية أفراد مراكز القوى بتقديم استقالة جماعية هادفين إلى إحداث فراغ دستورى أو أزمة دستورية Constitutional Crisis ، وظنوا أن الشعب سيخرج مؤيدا لهم ولم يعرف السادات أمر الاستقالات إلا قبلها بدقائق حينما أخبره أشرف مروان[1] مدير مكتب سامى شرف وزوج كريمة الرئيس عبد الناصر أن الاستقالات ستذاع بعد دقائق ، فطلب السادات من سكرتيره أن يتصل بإلاذاعة ويطلب منهم إضافة جميلة لقرار الاستقالات تفيد أن الاستقالات عرضت على الرئيس وأنه قد قبلها ، وهنا جاء دور الليثى ناصف حيث طلب منه السادات القبض على مراكز القوى وتحديدا قامتهم ، وفى اليوم التالى أعلن السادات عن المؤامرة وحركة التصحيح ١٥ مايو ١٩٧١ ، وخرجت المظاهرات تؤيد السادات ، و قدمت مجموعة مراكز القوى للمحاكمة ، وأعاد السادات تشكيل الوزارة الجديدة برئاسة الدكتور محمد فوزى ، وهكذا انتهت قصة الصراع واستتب الأمر للسادات ، ولا شك أن الأستاذ «هيكل» ساعد السادات فى صراعه مع مراكز القوى وسانده ودعمه وبارك خروجه منتصراً من الصراع وكتب كثيراً عن أحداث ١٥ مايو ومدح فيها السادات وتصرفه ومن أقواله فى مقالاته عن تلك الأحداث :

«لقد عشت لحظة الانفجار ، ولحسن الحظ ان الكارثة لم تحصل إنها شهادة تاريخية لصالح أنور السادات ، لشجاعته المادية والروحية فى ظروف صعبة وخطيرة »

«لقد كان أمامهم مجرداً من السلاح ومعهم جميع أسلحة السلطة فى مصر ، ومع

(١)توفي في ٢٧ يونيو ٢٠٠٧ إثر سقوطه من شرفة منزله بلندن فى حادث غامض أثار الكثير من الجدل خاصة وأنه كان متهم بالعمالة لصالح إسرائيل وأنه كان عميلاً مزدوجًا إلا أن السلطة المصرية نفت هذه التهمة تماماً عن مروان ووصفته بأنه كان وطنيا مخلصا وقام بالعديد من الأعمال الوطنية لم يحن الوقت للكشف عنها .

ذلك فقد كنسهم من فوق الأرض كنساً لأن الشعب كان معه »

« كانت قراراته لمواجهة التطورات المفاجئة ، مزيجا مدهشاً من الهدوء والحسم » .
وهذا يكشف التناقض الغريب للأستاذ «هيكل» مع نفسه ، حيث جاء بعد ذلك فى كتابه «خريف الغضب» يسند كل نجاح السادات فى أحداث ١٥ مايو بل فى كل قراراته الناجحة بعد ذلك إلى الحظ والتوفيق الذى قال الأستاذ «هيكل» أنه رافق السادات طوال عمره !! ولم يغفل الأستاذ «هيكل» أن يبرز للقارئ نصائحه للسادات فى تلك الفترة ، وبأسلوب تهكمى تحدث الأستاذ «هيكل» فى الكتاب عن أحداث ١٥ مايو قائلاً « هكذا فشلت المحاولة «يقصد مؤامرة مراكز القوى» ، وخرج السادات منها وهو بطل الساعة الذى استطاع أن يتصدى لإخطبوط أعدائه ، بينما الواقع أن الظروف خدمته بأكثر مما كان يتصور . لقد أنقذه حظه الذى لم يتخل عنه حتى هذه اللحظة » كان هذا هو رأى الأستاذ «هيكل» بتجريد السادات من أى دور بعد أن كان يقول عنه فيما قبل أن «قراراته مزيجا من الدهشة والحسم» !!! ، ولا شك أن الظروف خدمت السادات فعلاً فى هذا الصراع وقد بينا ذلك من خلال سياق أحداث الصراع ، ولكن هذا لا ينفى أن السادات تحرك بهدوء وذكاء فى هذه الأحداث وكان قد استطاع توسيع الفجوة بين الجيش ومراكز القوى باتصاله بالفريق «صادق» الذى لم ينفذ أوامر برقية الفريق فوزى وزير الحربية ، والتحليل المقبول لدى البعض لموقف الأستاذ «هيكل» المتناقض هو أنه دعم وساند السادات إبان أحداث ١٥ مايو آملاً أن يحظى بنفس المكانة التى حظيها لدى الرئيس عبد الناصر بجانب كرهه لمجموعة مراكز القوى التى كانت تريد التخلص منه خاصة بعد مقالة هيكل«عبد الناصر ليس أسطورة» ، وبعد أن اصطدم الأستاذ «هيكل» بالسادات بعد ذلك وكان أحد المعتقلين فى اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ كان للأستاذ «هيكل» رأى آخر بعد ذلك فى أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ فى كتابه «خريف الغضب» !.

***

## أحداث ١٥ مايو صراع أم انقلاب أم ثورة :

حار كثيرون فى وصف أحداث ١٥ مايو هل كانت صراع على السلطة أم مجرد إنقلاب قام به السادات للإطاحة بمعارضيه ، هل كانت ثورة على ثورة يوليو ، أم أنها كانت حركة تصحيح لمسارها أو ثورة تصحيح ؟

يقول الدكتور «عبد العظيم رمضان» أن الانقلاب هو « تغيير يحدث فى البناء السياسى للمجتمع تسقط به السلطة القائمة ، وتقوم غيرها ، دون أن يترتب على هذا السقوط والقيام أى مساس بأوضاع الملكية السائدة فى المجتمع » وعلى هذا الأساس فإن «١٥ مايو» لم تكن انقلاباً لأن السلطة الشرعية الممثلة فى السادات لم تسقط بل سقطت القوى المعارضة لها ، إذن فهل كان يوم «١٥ مايو» ثورة تصحيح لثورة يوليو أم ثورة عليها ، ويضيف المؤرخ «عبد العظيم رمضان» أن الفيصل فى «حجم التغير وكنهه واتساع نطاقه وموقعه فى بناء المجتمع ومدى ما أحدثه من تغير فى الأوضاع القائمة» ، وعقب انتصار السادات فى ١٥ مايو على مراكز القوى قام بعدة إجراءات تصحيحية مثل وقف الرقابة على التليفونات والصحف ، وأصدر الدستور الدائم وأغلق المعتقلات مُرسياً للديمقراطية السياسية التى افتقدتها ثورة يوليو ولكنه فى نفس الوقت حافظ على إنجازات ثورة يوليو فى مجال الديمقراطية الاجتماعية بإصدارها قوانين الإصلاح الزراعى وقوانين التأميم ، إذن فإن الوصف الدقيق لأحداث ١٥ مايو هو ثورة تصحيح أو عملية تطهير Purge وليس ثورة على الثورة .

## الانفتاح الاقتصادى بين الوهم والحقيقة

يقول لينين : « السياسة هى تعبير دقيق عن الاقتصاد » . ومما لاشك فيه أن للاقتصاد دوره الرئيسى فى رسم وصياغة سياسة أى دولة ، فهو حجر الزاوية لأى تقدم ونمو فى المجتمع . كانت مصر تواجه أزمة اقتصادية طاحنة بعد الحرب ، فقد أنهكت الحرب الميزانية المصرية واستنزفت مواردها طوال ست سنوات فالديون

العسكرية وحدها لا تقل عن ٢٠٠٠ مليون جنيه هذا إلى جانب الزيادة السكانية واستشراء الفساد البيوقراطى كما أن المصانع الضخمة لا تعمل بكافة طاقاتها لنقص قطع الغيار ، وكان الاقتصاد المصرى من الخمسينيات إلى أوائل السبعينيات يهيمن عليه القطاع العام فلجأ السادات إلى تبنى سياسة اقتصادية جديدة عرفت بـ«الانفتاح» وتم بموجب تلك السياسة تغيير التوجه المالى للدولة من الاشتراكية Socialism إلى الرأسمالية Capitalism والاقتصاد الحر وتشجيع القطاع الخاص للمساهمة فى الإنتاج بجانب القطاع العام وكانت هذه السياسة تهدف إلى تشجيع رؤوس المال الأجنبية والعربية للاستثمار داخل مصر على ألا يضر ذلك بالقطاع العام وبالصناعة الوطنية ويكون دفعا لعجلة التنمية ولكن إزالة القيود على الاستثمار وفتح الباب للرأسمال الأجنبى أدى إلى نمو سريع لرؤوس الأموال الصغيرة التي كانت موجودة في ظل النظام الاشتراكى، وظهور طبقة رأسمالية طفيلية ووسطاء وسماسرة أصبحت تنمو بشراهة واتسعت وتضخمت واستغلت هذه الحرية ومارست احتكارها وانتشر الفساد، والرشوة ونهب الثروات حيث شهدت هذه الفترة «١٩٧٤ – ١٩٨١» نموا سريعا للدخل القومى حيث بلغ معدل النمو السنوى Growth Rate فى الناتج المحلى ٨,٩٪ وهو لم تشهده مصر من قبل وكان السبب فى هذا النمو السريع يرجع إلى نمو التجارة بشكل ملحوظ وأعمال الوساطة، وتحويلات المصريين العاملين فى الخارج ، وحصيلة تصدير البترول ، ودخل قناة السويس إلى جانب السياحة فضلا عن التدفق الهائل للمساعدات والقروض الأجنبية، وبالنظر إلى هذه المصادر فإنها مصادر غير إنتاجية مما حول الانفتاح إلى «انفتاح استهلاكى» ، وهذه المصادر يطلق عليها اقتصاديا «مصادر ريعية» ، وفى ظل هذا الرواج والتضخم الهائل Hyper Inflation الذى يصاحب تدفق الأموال دون أن يقابله إنتاج مواز وبنفس القدر زاد معدل الاستهلاك المحلى Local Consumption ، مما أدى إلى نمو حجم الواردات السلعية بمعدلات فاقت نمو

حجم الصادرات السلعية، وبالتالي بلغ متوسط المعدل السنوي لنمو العجز في الميزان التجاري Balance of Trade خلال هذه الفترة ١٢ ٪ من الناتج المحلي الإجمالي، وعليه ومن أجل تحقيق التوازن الخارجي تم اللجوء إلى الاستدانة الخارجية ، وحدث عجز كبير فى الميزان التجارى ، وبالتالى لم تفلح سياسة السادات فى تحسين الاقتصاد المصرى بل ازداد الأمر سوءا ، ولكن هل كانت سياسة الانفتاح فى حد ذاتها خاطئة أم أن تنفيذها لم يكن صحيحا فلم تحقق النتائج المرجوة ؟

لم تكن سياسة الانفتاح كخطوة اقتصادية لدفع عجلة الاقتصاد خاطئة ولكن جرى تنفيذها بشكل غير منضبط وسليم ، فالحل ليس فى الانغلاق بل كان لزاما على مصر أن تنفتح على العالم ولكن تحت ضوابط ومراقبة معينة حيث يقول الفرنسى «شارل زوجيب» – أستاذ العلاقات الدولية – « كان يجب على مصر بعد انتصار ١٩٧٣ أن تختار سياسة الانفتاح، لأن مصر الخالدة المنهكة بفعل أربعة حروب ، والمجمدة بفعل البيروقراطية الناصرية nasserism Bureaucracy مشحونة بالأمل أمام الانفتاح ، فمصر تحتاج إلى السلام والتنمية بشكل عاجل » .

حتى أن الاتحاد السوفييتى معقل الاشتراكية والعدو اللدود للرأسمالية كان يدرس تجربة السادات فى الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص !! ، وبالتالى لم يكن اتجاه السادات إلى الانفتاح خاطئا إن لم يكن ضروريا كما أوضح زوجيب ، ولكن جرى تنفيذه بشئ من العشوائية المفرطة ، وعدم مراقبة ووضع ضوابط معينة فاختلط الحابل بالنابل ونال الثراء الفاحش فئة معينة والذى جرى وصفهم بالقطط السمان وتم التعبير عنهم بشكل أدبى ودرامى ، وبقى معظم الشعب فقيرا ، ورغم أن سياسة الانفتاح التى انتهجها السادات كانت من عوامل تدهور وتردى أحوال الاقتصاد المصرى والذى ظل يعانى منها لسنوات طويلة إلا أنه من غير المنصف أن نحمل السادات كل أخطاء وأمراض الاقتصاد المصرى ؛ فقد ورث عن سلفه عبد الناصر اقتصادا محطما وكان مجبرًا أن يوجه كل ثمار الاقتصاد إلى المجهود الحربى

حتى وصل الاقتصاد المصرى إلى مرحلة الصفر إبان حرب أكتوبر .وخلال هذه الأيام ومع تفاقم الأزمة الاقتصادية[1] conomic Crise واجتياحها الاقتصاد العالمي وسقوط جميع المذاهب الاقتصادية ، أصبح العالم حائراً يسأل ما هو الوضع الاقتصادي الأمثل Optimum Economic Position .كان من الواضح أن سقوط جميع المذاهب الاقتصادية من اشتراكية ورأسمالية ما هو إلاسقوط للأقنعة المختلفة للاقتصاد الوضعي الذى أثبت فشله فى معالجة مشاكل المجتمع الاقتصادية ، ومما للموضوع من أهمية قصوى ؛ فمن الواجب أن أتحين تلك الفرصة للمنادة بالنظام الاقتصادى الإسلامي الشامل الذى قدم القواعد لكل أنواع العلاقات والمعاملات الاقتصادية في مجالات الملكية والحرية والعدالة والضمان الاجتماعي وتدخل الحكومة وتوازن المصالح ونظم شؤون الفرد والجماعة والدولة في مختلف النواحي الشخصية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في السلم والحرب وكل ذلك على قواعد ثابتة وأحوال مستقرة تخدم أغراضا محددة وتحقق أهدافا معروفة بتنظيم دقيق ومنطق راق ، فما بين نظام رأسمالي نجد فيه الفرد هو أساس الاقتصاد الرأسمالي بحيث يتحكم فرد أو أفراد قلائل بالأسواق تحقيقاً لمصالحهم الذاتية دون تقدير لحاجة المجتمع أو احترام للمصلحة العامة وشيوع الأنانية والاحتكار ، ونظام اشتراكى يجعل المجتمع هو الأساس ولايقر الملكية الفردية نجد الاقتصاد الإسلامي يخالفهما ويقوم على أساس توازن عجيب بين الفرد والمجتمع فيقر بالملكية الفردية وحرية الفرد فى التملك ولكن وضع لها الضوابط والقيود ، كما راعى مصلحة المجتمع بفئاته المختلفة ، وليسع لى صدر القارئ أن أقتطف هذه الفقرة المطولة من حديث الشيخ القرضاوي حول الاقتصاد الإسلامي فى حوار

---

(١)تعرف الأزمات الاقتصادية Economic Crises بأنها اضطراب فجائي يطرأ على التوازن الاقتصادي في قطر ما أو عدة أقطار ، وهي تطلق بصفة خاصة على الاضطراب الناشئ عن اختلال التوازن بين الإنتاج والاستهلاك .

أجرى معه فى هذا الشأن ، يقول الشيخ القرضاوي « نجد أن الإسلام أقر وشرع من الفرائض ما يقيم التوازن بين الفرد والمجتمع، وجعل هناك من المحرمات أيضاً في قسم المنهيات في الشريعة أيضاً ما يقيم هذا التوازن ويقيم العدل وأهم أمرين في الاقتصاد الإسلامي وهما أمران بارزان جداً في جانب المأمورات فريضة الزكاة، هذه دعامة من دعائم الاقتصاد الإسلامي وهي دعامة من دعائم الإسلام، هي الركن الثالث من أركان الإسلام وهذه لها أهدافها الاجتماعية، الاقتصادية والدينية والسياسية، وفي الجانب الآخر نجد تحريم الربا وتحريم الاحتكار وتحريم الضرر الذي يسبب النزاع والمجازفات فهذه الأشياء أساسية تجعل الاقتصاد الإسلامي مخالفاً للاقتصاد الوضعي، الاقتصاد الإسلامي يختلف أيضاً عن الاقتصاد الوضعي في أنه ليس هدفه الناحية المادية فقط، الاقتصاد الرأسمالي يهمه أن يربح الفرد، يكسب أموالاً ولأن قيمة الفرد عندهم بما معه من مال، « فقيمة رب الألفِ ألفٌ وزِد تزِد، وقيمة رب الدرهمِ الفرد درهمُ »، أي حسب ما معك تكون قيمتك في المجتمع ، الإسلام يقول ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ففيه مال ولكن فيه باقيات صالحات ، فالإسلام يجعل مهمة الفرد أنه يسعى في الدنيا ليكسب رزقه ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾، ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ والعمل في الإسلام عبادة وجهاد وفي كل الأيام مشروع العمل، فاليهود مثلا يوم الأحد يحرم عندهم العمل، نحن عندنا حتى يوم الجمعة قبل الصلاة هناك بيع وشراء وعندما يسمع النداء ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ وبعد الصلاة ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾، فالاقتصاد الإسلامي يجعل من الناحية المادية خادمة للناحية الروحية يعني الناس عليهم أن يكسبوا ليعبدوا الله بعد ذلك ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هذه وصايا لأصحاب المال ثم أن الاقتصاد الإسلامي يتميز بأنه اقتصاد أخلاقي، الاقتصاد

الوضعي يقول لك لا علاقة للاقتصاد بالأخلاق، الاقتصاد المهم أن يحقق مكاسب، إنما الاقتصاد الإسلامي لابد أن يرتبط بالأخلاق في عمليات الاقتصاد الأربعة الأساسية، فالاقتصاد إنتاج واستهلاك وتداول وتوزيع، هذه أركان الأعمال الاقتصادية، المسلم مرتبط بالقيّم الأخلاقية والعقدية والتشريعية الحلال والحرام في كل هذه الأشياء، ففي الإنتاج عليه ألا ينتج الشيء المحرم ولا الشيء الضار للناس، وفي الاستهلاك أيضاً مأمور بأن يستهلك في حدود معينة ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾، وفي التداول ممنوع أيضاً أنه يكسب المال من حرام أو ينميه بالحرام فهو مرتبط بطرق معينة ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ أى أن الاقتصاد مرتبط بالأخلاق فى كل عملياته » . أى نظام اقتصادى إذن يضاهى الاقتصاد الإسلامي ، هل سنظل نفكر طويلاً فى الوضع الاقتصادى الأمثل ؟!

## أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧

تعد أحداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ من أصعب المواقف فى حياة السادات منذ توليه الحكم وحتى رحيله ، وأحدثت شرخا كبيرا فى النظام الساداتى وجرحا غائراً للسادات نفسه ؛ حيث كانت أشبه بثورة شعبية عارمة كان من الممكن أنْ تطيح بالنظام الساداتى للأبد . كان من الواضح أن أمراض الاقتصاد المصرى لم تفلح سياسة الانفتاح التى جرى تنفيذها بشكل سيئ فى علاجها وأصبح الأمر أكثر سوءا مع تزايد الديون ، وفى محاولة فى سبيل الإصلاح الاقتصادى عرضت مقترحات اقتصادية على السادات توصى برفع الدعم عن بعض السلع الضرورية «كالخبز والأرز والزيت والسكر وغيرها» ، ولم تكد تصدر صحف يوم ١٧ يناير ١٩٧٧ تحمل على صدر صفحاتها قوائم بالسلع التى ارتفع أسعارها حتى هب الشعب ثائراً صباح اليوم التالى ١٨ يناير مستنكراً لقرارات رفع أسعار السلع واشتعلت

المظاهرات العنيفة التى اجتاحت شوارع القاهرة والإسكندرية وأسوان ومعظم مدن الجمهورية، واصطدمت بالشرطة والأمن الذى لم يفلح فى إخمادها واستمرت المظاهرات إلى اليوم التالى١٩ يناير بكثير من العنف ولم يتم إخمادها إلا بسيطرة الجيش على الموقف وإعلان السادات إلغاء قرارات رفع الأسعار ، وكان السادات قد أطلق على هذه الانتفاضة الشعبية « انتفاضة حرامية » ! حيث استغلت بعض العناصر هذا الموقف واتجهت إلى النهب والتدمير وقامت بأعمال تخريبية Sabotage ، كما ألصق السادات التهمة للشيوعيين فى إشعال لهيب تلك الانتفاضة وتفجير الأحداث فى مناطق عديدة فى وقت واحد وبتكتيك واحد منظم على نطاق واسع من الصعب حدوثه تلقائياً وشبه السادات هذه الأسلوب من جانب الشيوعيين بأسلوب لينين فى الاستيلاء على موسكو عندما أشعل شرارة الثورة البلشفية[1] ، ورغم أن الشيوعيين كانوا بالفعل فى انتظار أى فرصة لركب موجة الأحداث وإشعال الموقف لخلخلة النظام الحاكم إلا أنه لا يمكن اعتبار الشيوعيين مسؤولين عن أحداث يناير حيث كانت الانتفاضة شعبية بالفعل وخرج الشعب مدفوعاً بالغضب لقرارات رفع الأسعار وإن كان هناك دور للشيوعيين فى إشعال الموقف وزيادة حدته .

كان السادات حزيناً للغاية ولم يكن يتوقع أن يخرج عليه الشعب بهذه الصورة وأن يكون هذا هو جزاء بطل أكتوبر الذى اكتسب شعبية وهتاف وتأييد الكثير من جماهير الشعب ، ولكن السادات نسى فى هذه اللحظة حقيقة تاريخية هامة وهى أن تلك الجماهير التى ترفع من منزلة زعمائها وتمجدهم هى نفسها التى تحط من قدرهم ، وهى ذاتها التى تجعل من أبطال ثوراتها السابقة وقوداً لثوراتها القادمة ، لذا فعلى الزعيم أن يستهدف مصلحة الوطن دون الاتكاء على شعبيته وأعماله ودون اعتبار لرصيد

(١) الثورة البلشفية أو ثورة أكتوبر كانت المرحلة الثانية من الثورة الروسية عام ١٩١٧ قادها البلاشفة بزعامة فلاديمير لينين وليون تروتسكي في ١٩١٧ ، بناء على أفكار كارل ماركس ؛ لإقامة دولة شيوعية وإسقاط الجمهورية الديموقراطية ، وتعد الثورة البلشفية أول ثورة شيوعية في القرن العشرين الميلادى .

جماهيرى سابق .

## أحداث الفتنة الطائفية :

منذ دخول الإسلام مصر وبعد أن حرر المسيحيين من الاضطهاد الرومانى أصبح المصريون مسلمون ومسيحيون نسيجًا مصريًا وطنيًا واحدًا وصهرتهما معاً بوتقة وطنية ساهمت فى التصدى لكل من حاول العبث بورقة الفتنة الطائفية بينهما ، وعلى مدار تاريخ مصر وفى كافة مراحل نضالها جمع المسلمين والمسيحيين نداء وطنى واحد ، وحاربوا على جبهة واحدة ، وامتزجت دماؤهم فى كفاح مشترك ، ولقد كفل عدل الإسلام ورحمته وسماحته حرية ممارسة المسيحيين لشعائرهم الدينية وأن تربطهم بإخوانهم المسلمين كل أواصر المودة والمحبة وشاركوا جميعا فى بناء صرح مصر الثقافى وخاصة وأن اللغة العربية وعاء ثقافى للجميع ، ولكن كان ولايزال هناك مخططات خارجية تهدف دائما إلى زرع بذور الفتنة فى البنية المصرية وتشيع التطرف الدينى بين الأوساط المصرية ، ورغم استمرار هذه المخططات ونجاحها فى اختلاق نوعًا من الاحتقان الطائفى وإشعال حوادث الفتنة الطائفية إلى يومنا هذا ، مازالت بعض الأقلام السوداء تدين الرئيس السادات وتعتبره مفجراً للفتنة الطائفية فى مصر مدعين فى ذلك رعايته للجماعات الإسلامية التى انبثقت منها جماعات التطرف الدينى والتى ناصبت العداء لنظيرتها من الجماعات المسيحية وظهور أحداث العنف الطائفية بدءا من حادثة «الخانكة» عام ١٩٧٢ وانتهاءً بحادثة «الزاوية الحمراء» ، وأن السادات يشعل نار الفتنة ليجد ذريعة يمارس بها العنف ، وهكذا علقت هذه الأقلام مشانقها للسادات وظنت أنها مصافحة للحقيقة ، ولكنها ماكانت إلا صافعة لوجه التاريخ بعد أن زيفت ملامحه وافترت على مصداقيته ، فمخطط إشعال الفتنة الطائفية فى مصر ظهر قبل مجيء السادات واستمر بعده إلى الآن ، ولا شك أن فترة السادات شهدت توترات طائفية شديدة ولكنه لم يسع إلا إشعالها ؛ فبدأ بحادثة «الخانكة» عام ١٩٧٢ بسبب إحراق كنيسة

في المدينة قيل : إن وراءها الجماعة الإسلامية ، كيف يسعى السادات إلى أى محاولة لإثارة القلاقل فى المجتمع المصرى وهو يستعد لحرب سيتحدد فيها مصير الأمة بأكملها ويحتاج فيها إلى تضافر وطنى ! ، ونحن نعلم جميعا أن السادات سعى بشكل واضح إلى خلق نوع من المصالحة الوطنية بين جميع الجبهات داخليا وخارجيا قبل الحرب ، وأعتقد أن عبء الاستعداد للحرب كانت هم السادات الأول فى هذه الفترة ولهذا فرجل بعقلية السادات لن يسعى على الأقل فى هذه الفترة الحرجة على إحداث أى شيء يعكر الصفو ، فلقد كان يصارع ثورات الشعب من أجل بدء الحرب ، فهل كان سيسعى إلى فتح جبهة أخرى من الصراع ! كما أن الجماعات الإسلامية المتطرفة لم تكن بعد قد أخذت حيزها من التواجد ، ربما كانت تصريحات السادات سببا فى زيادة التوتر ولكنه لم يكن أبدا سببا فى وجود الفتنة .

أما حادثة الزاوية الحمراء عام ١٩٨١ بسبب خلاف بسيط بين عائلتين اتسع نتيجة التعبئة والإثارة فى منطقة سكنية مكدسة بالمسلمين والمسيحيين وتحول إلى أحداث دموية وقع على أثرها العديد من القتلى والجرحى ، ولا شك أن الجماعات المتطرفة فى كلا الجانبين سعت إلى تأجيج نيران الفتنة واستمرارها ، فمع لجوء بعض الجماعات الإسلامية إلى التطرف والعنف ، سعت بعض الجماعات المسيحية إلى تحويل الكنيسة إلى ما يشبه الحزب السياسى ومحاولة عزل الكنيسة عن يد الدولة وإثارة أقباط المهجر ضد السادات وقد استطاعت هذه المنظمات إصدار تقارير من الإدارة الأمريكية تتضمن وجود اضطهاد للأقباط في مصر ، ومن هنا اصطدم السادات فى غمرة تصادماته السياسية خلال هذه الفترة بالبابا شنودة ووضعه رهن الإقامة الجبرية ، فليس من الصحيح أن السادات سعى إلى إشعال فتنة طائفية ، ومن الذى يضمن أن يطفئ نار الفتنة بعد أن يشعلها التى ربما يكون مُشعِلها هو مقدمة حطامها ، لو كانت الفتنة الطائفية ارتبطت بوجود السادات فما سبب وجودها إلى الآن !! فقد حدثت العديد من حوادث الفتن الطائفية بعد ذلك مرورا بـ «إمبابة»

١٩٩١، و«أسيوط»١٩٩٤ ، ثم أحداث «الكشح» بمحافظة سوهاج عام ١٩٩٨ و٢٠٠٠ ، وحادثة «محرم بك» فى الإسكندرية عام ٢٠٠٥ ، وحادثة نجع حمادى عام ٢٠١٠، ومازالت حلقات مسلسل العنف الطائفى مستمرة إلى يومنا هذا من خلال المتربصين بمصر من الخارج والذين يسعون إلى إساءة العلاقة بين المسلمين وإخوانهم المسيحيين ، فيجب علينا أن نتخذ من وحدتنا الوطنية درعا لتلك الهجمات الخسيسة ، وأن ننشر ثقافة التسامح وقبول الآخر بين المصريين .

## اعتقالات سبتمبر وعهد الديكتاديمو

ستظل اعتقالات سبتمبر عام ١٩٨١ نقطة سوداء فى سجل النظام الساداتى خاصة بعدما أرسى السادات قواعد الديمقراطية فى بداية حكمه ، وقطع شوطا كبيرا فيها ، حيث كان قد ألغى الرقابة على التليفونات والصحف ، وأصدر الدستور الدائم ، وأغلق المعتقلات حتى ضربته الأخيرة فى سبتمبر ١٩٨١ «لم يحدث أن قضت مصر عشر سنوات متتالية دون اعتقال أو معتقلات منذ إعلان الحرب العالمية الثانية !»[١] ، وسمح بتشكيل المجالس الشعبية لأول مرة ، وتعدد الأحزاب ، ولكنه جاء فى أواخر أيامه لينقض على الديمقراطية التى أرساها ، ويلهب ظهرها بسوط اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ ، مما دعا البعض إلى القول بأن عهد الرئيس السادات هو عهد «الديكتاديمو» أى عهد ديكتاتورى مع مساحة من الديمقراطية ، لقد كانت مشكلة العصر الساداتى أنه كان يواجه تحديات كبيرة تتطلب قرارات حاسمة فى ظروف غاية فى الصعوبة ، فقد شهدت تلك الفترة الحرب ، والسلام ، العجز الاقتصادى ، التطرف الدينى والفتنة الطائفية ، وغيرها من التحديات التى نجح السادات فى التعامل ببراعة مع بعضها وفشل فى البعض الآخر وهكذا كان منحنى القرارات السياسية للسادات بين الارتفاع والهبوط ،

(١) عبد الستار الطويلة – أنور السادات الذى عرفته .

فرغم أن السادات ربح بورقة الديمقراطية رصيدًا كبيرًا من الشعبية فى بداية حكمه ، إلا أنه حرقها فى أواخر أيامه باتجاهه نحو الديكتاتورية Dictatorship ، فبعد اتفاقيات كامب ديفيد وتوقيع معاهدة السلام مع إسرائيل وتأييد جانب كبير من الشعب للسلام ، أصبح السادات لا يقبل الرأى الآخر وأصبح حساسا لأى نقد ، وانتابته العصبية والتوتر فى ظل تنامى القوى المعارضة له ، فالدول العربية تهاجمه من جهة وتغذى الجبهة الداخلية التى تنتقد سياسته ، إلى جانب تضخم فاعلية الجماعات الإسلامية واتجاهها إلى التطرف والعنف واصطدامها به ، وكانت تلك الفترة حساسة بالنسبة لاتفاقية السادات السلمية مع إسرائيل ، ولم يصمد السادات أمام كل هذه التيارات المعارضة له والتى كانت تجذبه جذبا نحو الانزلاق والاصطدام فانجرف يهاجمهم ويتوعدهم فى كل مكان ، وكان السادات أشبه بالبركان الثائر فهاجم الكل بشراسة وصنع العداء مع كل الجبهات فلم تبق له جبهة تسانده ، خاصة بعد أن ساهمت تصريحاته المختلفة فى إشتعال العداء مع خصومه وفتح على نفسه جبهات وصراعات كان فى غنى عنها ، وبدأ يتحدث أنه منح الديمقراطية ولكن الديمقراطية لها أنياب ! ولكنه لم يع وقتها أن «الديمقراطية تؤخذ ولا تمنح» ، وكان السادات قلقاً جداً بشأن أن تتخذ إسرائيل اعتراض بعض القوى السياسية على معاهدة السلام ذريعة للتنصل من تنفيذ تعهداتها بالانسحاب من سيناء ، لأن مناحم بيجن قال للسادات كيف نضمن استمرار مصر في الالتزام بالسلام معنا بينما هناك معارضة شديدة له ؟ ، ففاجأ السادات – كعادته – الجميع باعتقال قائمة عريضة ضمت ١٥٣٦ شخصًا من السياسيين والكتاب ورجال الدين إلى جانب المنظمات الدينية المتطرفة والإرهابية ، فكانت ضربة قاضية أو نكسة للديمقراطية وكان هذا القرار بمثابة نهاية لحياة السادات السياسية ، حيث زاد التوتر والعنف والهجوم على السادات وكان السادات لايفتأ أن يشعله بوقود من تصريحاته الصادمة ، وكان يرى أن هذا الاعتقال مجرد تحفظ وقتى لإنقاذ البلد من

الفتنة ، ومن الجدير بالذكر أن أغلب اعتقالات البيادات لم تشهد تعذيبا للمعتقلين وأن أغلبهم عومل معاملة كريمة . كان كل هم السادات فى ذلك الوقت هو حصوله على سيناء أولا حيث كان يعتبرها مرحلة فاصلة فى تاريخ مصر ، وكان الرئيس السادات قد وعد إخراج هذه القائمة من المعتقل عقب تنفيذ إسرائيل لوعدها بالانسحاب من سيناء حيث حدد لهم موعد خروجهم فى ٢٥ أبريل ١٩٨٢ وهو موعد إتمام الانسحاب الإسرائيلي من سيناء ليبين ثمار السلام لمن عارضوا كامب ديفيد ، ولكن القدر لم يمهله بتنفيذ وعده .

## الجماعات الإسلامية ...واغتيال السادات

كان السادات لاعبًا ماهرًا على طاولة اللعب السياسية ، وربح كثيرا من ألعابه وأوراقه السياسية ، ولكن اللعبة ليست دائما فى صالح أصحابها ، فمن الممكن أن تدور الدائرة على صاحب اللعبة ، وهو ما حدث مع السادات ، حينما أعطى الحركات الإسلامية قبلة الحياة ، وأطلق يد التيار الإسلامى وأعطاه مزيدا من الحرية والدعم ليواجه به التيار اليسارى والشيوعى ويحد من انتشاره ، وبذلك يتحقق للسادات إحداث نوع من التوازن ، ولم يعتقد السادات أن هذا التيار الدينى سيتحول إلى تيار سياسى دينى أكثر تطرفا سيصلى السادات بناره فيما بعد ، أو على حد تعبير كثيرين أنه أخرج المارد من القمقم . أخرج السادات تلك الجماعات بعد أن لاقت التعذيب والاضهاد فى السجون والذى ولد لديهم فكرة العنف والتكفير ، فانشقت عن الجماعات الإسلامية جماعات متطرفة تستخدم العنف وسيلة ، كان أغلبهم شبابًا متحمسًا لم ينالوا حظهم من الخبرة ، وجرى تلقينهم دينيا بطريقة مغلوطة ، فصاروا يرون كل المجتمع فاسدًا وكافرًا ، وظهرت الكثير من هذه الجماعات مثل جماعة (التكفير والهجرة) التى اغتالت الشيخ الذهبى وزير الأوقاف الأسبق فى يوليو ١٩٧٧ ، وجماعة (الناجون من النار) ، وجماعة (الجهاد) التى اغتالت الرئيس السادات وغيرها وقد انشقت بعض هذه الجماعات عن تنظيم

الإخوان المسلمين بعد أن وجهت اللوم على الإخوان لقصر دورهم على إسداء النصح لحكام بلدان المسلمين بدلاً من السعى للاستيلاء على السلطة مباشرة ، وقد حاول «عمر التلمسانى» المرشد العام للإخوان المسلمين فى هذا الوقت أن يقضى على فكرة التكفير من عقول هؤلاء الشباب لأن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين فى العقيدة الإسلامية مهما بلغ المسلم فى انحرافه أو قسوته ، وكان يقول :« لا تجعلوا همكم الدعاء على الظالمين ولكن فكروا كيف تكفونهم عن الظلم » ، ولكن هؤلاء الشباب كانوا مدفوعين دفعا بأفكارهم بطريقة لا شعورية ، وفرضت الأحداث نفسها وركب هذا التيار موجة العنف ، وبعد توقيع السادات لاتفاقية كامب ديفيد وتزايد الهجوم عليه واصطدامه ببعض رجال الدين ، وتهديده لأفراد هذه الجماعات فى زمرة تهديداته ترسخ لدى هؤلاء الشباب شعور التخلص من السادات والاستيلاء على الحكم زعما أنه لا يطبق الشريعة الإسلامية وأنه تصالح مع اليهود وحاولوا أكثر من مرة اغتياله ولكنهم فشلوا ثم جاءت أحداث سبتمبر لتعد ضربة قاضية لتلك الجماعات بعد أن اعتقلت العديد منهم ، فمن نجا منهم حاول أن يضرب ضربته الأخيرة بعد تساقط الجماعات الواحدة تلو الأخرى ، واغتالوا الرجل فى يوم عرسه وهو يحتفل بنصره وسط جنوده ، ثم حاولوا بعد ذلك أن يقيموا ثورة ويستولوا على البلد، ولكنهم فشلوا وهذا يعطى لنا انطباعا ببعد نظر الرئيس السادات حتى فى أسوأ قراراته، حيث لو لم يعتقل عددًا كبيرًا من هذه المنظمات لكان من الممكن أن ينجح مخططها فى الاستيلاء على الحكم بعد اغتيال السادات ، ولو كانت قرارات سبتمبر اقتصرت فقط على هذه الجماعات لكان قرارا مثالياً .

وكانت بعض هذه الجماعات الإسلامية قد أطلقت مبادرتها لوقف العنف فى يوليو ١٩٩٧ ، وأصدرت بعض المراجعات الفقهية التى عدلت فيها الكثير من أفكارها ، كما أعلنوا أن اغتيال السادات كان خطأً أضر كثيراً بمصر وبالحركة الإسلامية وأنه لو عاد الزمن بهم للوراء لما أقدموا على اغتيال السادات ! وفى حوار

أجرته مجلة الإذاعة والتليفزيون مؤخرا مع دكتور «ناجح إبراهيم» منظِّر الجماعة الإسلامية أشار بعدة تصريحات أهمها أنهم أعلنوا فيه ندمهم على اغتيال السادات وقصر تفكيرهم فى هذه الفترة وهم شباب حيث كانوا يرون السادات وكأن كله شر ولم ينظروا لإيجابياته الكثيرة ، وأضاف أنه لو عاد بهم الزمان لاقتربوا من السادات وخاصة وأنه كان يسعى للاقتراب من الحركة الإسلامية وكان يود أنها تناصره وتقف إلى جواره ، وأنه على الرغم من الانتقادات الحادة التى وجهت للرئيس السادات فى كامب ديفيد والتى كانت واحدة من أهم أسباب إقدام الجماعة على اغتيال السادات ، يتسابق الحكام العرب الآن على أقل من عشرة بالمائة مما حصل عليه السادات فى كامب ديفيد ولا نجد من ينتقدهم بكلمة واحدة ! .

وهكذا انتهت حياة السادات الصاخبة بأحداثها الساخنة وحركتها السريعة المحتدمة ... رجل أحب مصر .. لم يوفر لنفسه حياة هادئة .. قضى شبابه مضطهداً يقاوم الاحتلال الإنجليزى ... ساهم بدوره فى قيام الثورة ... تولى حكم مصر وهى تعانى من هزيمة مريرة فحولها إلى نصر مؤزر ... فتح نوافذ الديمقراطية وأعاد الأحزاب مرة أخرى ...ألغى الرقابة على الصحف ... تنفس المصريون الديمقراطية فى عهده أكثر من أى عهد سابق .... سعى من أجل السلام العادل لاسترداد أرضه ..... وسقط فى يوم عرسه وهو يحتفل بين جنوده أو أبنائه كما كان يحلو له ... إنه الرجل الأكثر غموضاً والأكثر جدلاً... الشخص الأبسط إنسانيا ، والحاكم الأشرس سياسيا ، ورجل الدولة الأكثر واقعية ... إنه الرجل الذى لا يزال مطلوبا ميتاً بعد أن كان مطلوبا حياً ..... إنه كما يقول عنه الكاتب الصحفى «موسى صبرى» « إنسان فى جوهر تصرفاته .... غولاً سياسياً فى قراراته ..... أستاذ فى فن التعامل مع الواقع » ....... إنه بالفعل كما كتب على شاهد قبره

« بطل الحرب والسلام ... عاش من أجل السلام واستشهد من أجل المبادئ ..» ..

## ولم تنتهى علامات التعجب !!!

اغتيل الرئيس السادات فى المنصة وهو يحتفل وسط جنوده بطريقة دراماتيكية غريبة صعبة التكرار فى وسط غفلة أمنية وفى ظل حراسة الرئيس التى شلتها المفاجئة ، ومازال حادث اغتيال السادات يمثل لغزاً كبيراً حتى الآن !

وهكذا رافقت علامات التعجب حياة السادات وأحداث عصره ، رافقته فى مشواره النضالى قبل الثورة ، وفى مواقفه بعدها ، وفى توليه الرئاسة ، وفى قراراته السياسية المفاجئة الصادمة ، وحتى فى طريقة اغتياله !!! ، وكما سبق أن أشرنا فى مقدمة هذا الكتاب أننا بدأنا الحديث عن السادات بـ «علامات تعجب» ، ها نحن ننهيه بعلامات تعجب أيضاً وكما بدأت حياة السادات بـ «علامات تعجب» ، انتهت حياته باغتياله بطريقة أثارت العلامات نفسها !!!!.



## رفقًا بالأجيال..!

« التاريخ الحقيقى لا المزيف أحسن فلسفة »

« نابليون »

«لو كان الموتى يتكلمون لما أصبح التاريخ مجموعة من الأكاذيب السخيفة»

«مارك توين »

ما زالت حملات التشويه لزعمائنا مستمرة ، حتى أصبحنا كشباب لا نرى فى زعمائنا غير صور العمالة والخيانة والتفريط فى حق الوطن ، ونشأنا ممزقين فكرياً وذهنياً لا نجد القدوة التى نتكئ عليها ونتخذها رمزاً ونبراساً فى طريقنا . لقد تربينا على أن أحمد عرابى هو قائد ثورة وطنية ضد الخديوى ومناضل وطنى ضد الاستعمار ، وأن سعد زغلول هو زعيم الأمة ومفجر ثورة ١٩١٩ ، ومصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد وقائد الحركة الوطنية ضد الانجليز والمفاوض السياسى الشرس ، وعرفنا أن عبد الناصر هو مفجر ثورة يوليو وزعيم الأمة العربية ، وأن السادات هو الرجل السياسى الوطنى وبطل الحرب والسلام ، ولكن خرج علينا البعض من أدعياء الحقيقة يعبثون بالتاريخ ، فيدعوا أن عرابى اندفع وجازف بالجيش وجر الاحتلال الإنجليزي لمصر ، رغم أن المؤرخين والمحللين يرون عرابى زعيماً وطنياً عبر عن ثورة الفلاح ضد الطبقة الحاكمة وعبر عن الحق المصرى وكرامته ! . زعموا أن سعد زغلول ارتبط بسياسة الاحتلال البريطاني فى كل مراحله ، وأن الاحتلال هو الذي هيأ له السبيل لامتطاء الركب الثوري سنة

١٩١٩ ، رغم أن «غاندى» عندما قاد الهند ضد بريطانيا كان يقول أن أستاذه هو «سعد زغلول»! . واختفى الزعيم «مصطفى النحاس» من كتب التاريخ ومن الإعلام رغم أن الشعب المصرى ناضل الاحتلال البريطاني تحت زعامته لأكثر من ربع قرن ! ورغم كل إنجازات الرئيس عبد الناصر لم يروا فى عصره إلا الهزيمة وجرهم الاشتياق للعودة إلى أيام الملك ! . وأخيراً كانت مكافأة السادات الذى خلص البلاد من هزيمة موجعة وفرض السلام على إسرائيل بعد أن كسر أنفها أن يتهم بالخيانة والعمالة رغم أن الغرب يراه من أعظم الشخصيات فى القرن العشرين !.

ماذا يريد هؤلاء هل يريدوننا أن نتنصل من تاريخنا وأن نشعر بالخجل بالانتساب إليه ! هل يدفعوننا إلى أن نسب زعماءنا وأن نشكك فى وطنيتهم ! . إن كل شعوب العالم تمجد زعماءها وتحيى ذكراهم وتغذى بسيرتهم وكفاحهم الحماسة والوطنية لدى أفرادها حتى يكونوا قدوة للأجيال على مر العصور لا ينقبوا عن أخطاء حكامهم ويتصيدونهم . ما هو رد فعل الأجيال الناشئة حينما يتم تلقينهم أن زعماءهم كانوا خونة ومتآمرين وأن الغش والخداع هو الذى وضعهم فوق رؤوس الشعب ، ما فائدة تمسكهم بالشرف والأمانة والإخلاص طالما أن الغش والنفاق والخداع هو المعبر الذى يؤدى إلى المناصب والنفوذ ! أين يجدوا قدوتهم التى يستندوا إليها طالما أن كل زعمائهم كانوا مزيفين ! كيف يعتزوا ويفتخروا بتاريخهم ويدافعوا عنه طالما أن كل إنجازاته مشوهه !

لقد أرادوا هدم الماضى الذى يستند إليه الأجيال ، فماذا ينتظرون من بناة المستقبل ...... !



# المصادر والمراجع

## أولاً المراجع العربية والمعربة :

### ١ - وثائق رسمية

- قرارات مجلس الدفاع المشترك ، الدورة الثالثة عشرة ٣٠ يناير ١٩٧٣ ، الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .
- توجيه استراتيجي من رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، وثائق الرئيس ، البحث عن الذات .
- خطاب الرئيس السادات بالكنيست الإسرائيلي ، الهيئة العامة للاستعلامات المصرية، القاهرة ، ١٩٧٧ .
- يوميات مؤتمر كامب ديفيد فى ثلاث مجلات أسبوعية ، مجلة أكتوبر ، ٨/ ١٠/ ١٩٧٨ .
- وثائق مؤتمر كامب ديفيد ، إطار السلام فى الشرق الأوسط ، وزارة الخارجية المصرية ، معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل واتفاق الحكم الذاتى فى الضفة والقطاع ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

### ٢ - مذكرات شخصية

- أنور السادات ، « البحث عن الذات – قصة حياتى » ، الطبعة الثالثة ، المكتب المصرى الحديث ، ١٩٧٩م .
- الفريق سعد الشاذلى ، « مذكرات حرب أكتوبر » ، الطبعة الرابعة ، دار بحوث الشرق الأوسط ، سان فرانسيسكو ، ٢٠٠٣ م.

- المشير الجمسى ، « مذكرات الجمسى – حرب أكتوبر ١٩٧٣ م» ، الطبعة الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م.

- جيمي كارتر ، « مذكرات جيمي كارتر – كامب ديفيد : حرب على حرب » ، ترجمة ( شبيب بيضون ) ، دار الفارابي ، بيروت ، ١٩٨٥م.

- موسى صبرى ، « مذكرات موسى صبرى – ٥٠ عاماً فى قطار الصحافة » ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ١٩٩٢م.

**٣ - كتب**

- فتحى فهمى ، « السادات على طريق عبد الناصر » ، الطبعة الخامسة ، فتحى فهمى ، ١٩٧٢ م.

- د.محمود جامع ، « عرفت السادات » ، الطبعة الرابعة ، المكتب المصرى الحديث

- عبد الستار الطويلة ، « أنور السادات الذى عرفته » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

- نفسه ، « السادات فى إسرائيل حرب أم سلام » ، دار التعاون للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م .

- د. عمرو عبد السميع ، « أحاديث الحرب والسلام والديموقراطية – الحرب (الجزء الأول) » ، الطبعة الأولى ، الدار المصرية اللبنانية

- جوزيف فينكليستون ( ترجمة : عادل عبد الصبور ) ، « السادات وهم التحدى » ، الطبعة الأولى ، الدار العالمية للكتب والنشر ، ١٩٩٩م .

- طه المجدوب ، « حرب أكتوبر طريق السلام » ، وزارة الإعلام ، الهيئة العامة للاستعلامات ، ١٩٩٣ م.

- طارق حبيب . « ملفات ثورة يوليو » ، الطبعة الأولى ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٩٧م .

- أحمد منصور ، « جيهان السادات شاهدة على عصر السادات » ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الشروق ، ٢٠٠٢ .
- د. عبد العظيم رمضان ، « تاريخ مصر والمزورون »، الطبعة الأولى ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٩٣ .
- نفسه ، « حرب أكتوبر فى محكمة التاريخ » ، القاهرة مكتبة مدبولى ، ١٩٨٤ .
- محمود فوزى ، « حكام مصر : السادات » ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، مركز الراية للنشر والإعلام ، ١٩٩٧ .
- نفسه ، « الضباط الأحرار يتحدثون » ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٩٠ .
- الفريق أول محمد فوزى ، « حرب الثلاث سنوات »، الطبعة الرابعة ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٦ .
- خالد داود ، « اعترافات كيسنجر – الملفات السرية لحرب أكتوبر ١٩٧٣ » ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار مصر المحروسة ، ٢٠٠٧ .
- محمد عبد المنعم ، « ٦ أكتوبر الحرب الإلكترونية الأولى »، الهيئة المصرية العامة للكتاب ( الأعمال الخاصة ) ،مكتبة الأسرة ، ١٩٩٨ .
- اللواء طيار أركان حرب على محمد لبيب ، « القوة الثالثة تاريخ القوات الجوية المصرية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧.
- محمد على الغتيت ، « الزعيم العبقرية والزعامة السياسية »، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مؤسسة دار الشعب ، ١٩٧٥ .
- رجب البنا ، « تاريخ ليس للبيع »، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٨ .
- جماد حماد ، « المعارك الحربية على الجبهة المصرية : حرب أكتوبر ١٩٧٣ العاشر من رمضان » ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، ٢٠٠٢ .

- حسن البدرى وطه مجدوب وضياء الدين زهدى ، « حرب رمضان الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة – أكتوبر ١٩٧٣ » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع ، ١٩٧٤ .
- محمد حسنين هيكل ، « خريف الغضب – قصة بداية ونهاية عصر أنور السادات » ، الطبعة المصرية ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر
- د.فؤاد زكريا ، « كم عمر الغضب ؟ هيكل وأزمة العقل العربى » ، الطبعة الثانية ، دار القاهرة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ .
- سيار الجميل ، « تفكيك هيكل – مكاشفات نقدية فى إشكاليات محمد حسنين هيكل » ، الطبعة العربية الأولى ، عمان ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ .

### ٤ - مقالات منشورة بدوريات عربية

- ميادة العفيفى ، « السادات فى مذكرات كارتر وكيسنجر .صانع الدهشة عاشق المفاجآت » ، صحيفة الأهرام العربى ، ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٣ .
- جمال بدوى ، « حراس التاريخ » ، صحيفة الجمهورية
- لميس جابر ، « الغيبوبة العربية » ، صحيفة المصرى اليوم ، ٢٥/ ١٠/ ٢٠٠٨ .
- خالد سيد أحمد ، « الفتنة الطائفية في مصر..حقيقة أم وهم ؟ » ، صحيفة البيان الإماراتية ، ١٦/ ٨/ ٢٠٠٨ .
- محمد على إبراهيم ، « سر لا يتحدث عنه الرئيس » ، صحيفة الجمهورية ، ١٧/ ١٠/ ٢٠٠٨ .

### موسوعات

- موسوعة مقاتل الإلكترونية.

## ثانياً المراجع الأجنبية

### الوثائق الرسمية

- Memcon between Dinitz and Kissinger، 9 October ، Document 21A ،The National Security Archive ، The George Was ıngton University .

- Minutes ، «Washington Special Action Group Meeting ،» 17 October ، Document 36A ، The National Security Archive ، The George Washington University .

### كتب

- Anwar El Sadat. Revolt on the Nile , The john day Company , New York.
- Anwar el – Sadat ، Those I Have Known



# الفهرس